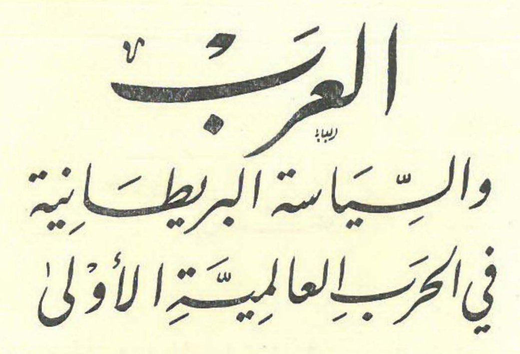


العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى

تأليف
الدكتور مكي شبيكة
استاذ التاريخ الحديث
بجامعة الكويت

نشر وتوزيع
دار الثقافة
بيروت - لبنان

العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى

تأليف

الدكتور مكي شبيكه

استاذ التاريخ الحديث

بجامعة الكويت

نشر وتوزيع

دار الثقافة

بيروت - لبنان

تقـــديم

أقدّم للقراء قصة العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) . وبالرغم من أن الكثير من الكتب والمقالات ظهرت عن هذه القصة بمختلف اللغات إلا أن تفاصيلها وأسرارها تظهر لأول مرة لأنهـا استندت على وثائقهـا الأصلية والتي لم تكن ميسورة لمن كتبوا قبلي من الباحثين . وبفضل التصوير الحديث الجاف (الزيروكس) تمكنت من تصوير كل الوثائق التى لها علاقة بالموضوع دون استثناء واحدة منها ثم رتبتهـا ترتيباً زمنياً وتركت الوثائق نفسها تحكي قصتها . ولم أقتصر على نصوص الوثائق فحسب بل تابعت تعليقات المختصين عليها من أصغر موظف إلى الوزير نفسه . وكل هذه الوثائق التي استندت عليها محفوظـــة في دار الوثائق البريطانية (Public record office) وتحت عنوان(F. O. 371) والرقم المكتوب أمام كل فقرة من الكتاب هو رقم المجلد هكذا (٢١٤٧) مثلاً .. اتخذت هذه الطريقة للتوفيق بين المنهج العلمي بالإشارة إلى المراجع والمصادر وبين عدم إنشغال القارىء بالهوامش التي ربما تفسد عليه متابعة القصة وتسلسلها .

وقد أبعدت أية إشارة لمذكرات أو كتب أو ترجمات للرجال الذين اشتركوا في القصة لأنها لا تمثل الواقع ولأنها قد تكون عدّلت نوعاً ما

في القصة بعد تطورات كانت في علم الغيب عندما اتخذت القرارات في حينها . كل ذلك لتكون الحقائق واضحة حسبما حدثت في حينها وفي جوّها وحسب المواقف التي اتخذت القرارات نتيجةً لها . وبعبارة أخرى رأيت أن أقدّم صورة حقيقية واضحة بكل أجزائها دون إضافات أو حذف . ولا داعي لأن ألفت نظر القارىء أن الحكم على مسلك الجمعيات العربية والزعماء العرب الذين ورد ذكرهم في هذه القصة يجب أن يكون حسب وضعهم وموقفهم آنذاك . لا بحسب الأوضاع الحاضرة . فكلنا يعلم ما كانوا يعانونه من الحكم التركي وخاصة في السنين التي سبقت اندلاع تلك الحرب عندما تسلم زمام الحكم في الدولة العثمانية رجال « لجنة الاتحاد والترقي » وسياستهم نحو تتريك الامبراطورية وإخضاعها للعنصر التركي . وكان العرب قد قطعوا شوطاً في سياستهم الرامية للفكاك من النير التركي والاتجاه نحو القومية العربية . ورأوا أن فرصتهم مؤاتية للتعاون مع بريطانيا لنيل حريتهم وتحقيق أمانيهم . ولو ان آمالهم خابت كما ظهر فيما بعد نتيجة معاهدة « سايكس بيكو » والتي ستكون بإذنه تعالى موضوع كتاب آخر بنفس النهج والطريقة وزاد الطين بلة بوعد بلفور والوطن القومي للصهيونية .

وللقصة بداية ونهاية . بدأت أولى الحلقات في اغسطس سنة ١٩١٤ عندما دوّن الكابتن (رَسِل) محادثة مع عزيز علي المصري في القاهرة وانتهت في فبراير ١٩١٦ وفي القاهرة أيضاً بخطابات تبودلت بين السير هنري مكماهون والشريف حسين حيث اتفقا على بعض الأمور واختلفا على البعض الآخر . وبعد ذلك دخل الفريقان في مرحلة الاستعداد حتى تحن الفرصة المناسبة لإعلان الثورة العربية وقد حدث هذا في يونيو ١٩١٦ . وأثناء ما كانت المفاوضات بالخطابات بين ماكماهون والشريف بدأت المفاوضات بين فرنسا وبريطانيا لتحديد مناطق نفوذ كل منهما في الأقطار العربية التي تستظل بالراية العثمانية وانتهت إلى اتفاق تام بين

الفريقين بمعاهدة (سايكس - بيكو) في نفس الشهر (فبراير ١٩١٦) وما بقي من الزمن لتوقيعهـــا الرسمي في مايو من نفس السنة لم يكن إرجاء لتسوية اختلافات بينهما بل لتكملة التفاوض مع روسيا لتحديـد نصيبها هي الاخرى من أسلاب الدولة العثمانية .

فالموقف في فبراير ١٩١٦ إذاً يتلخص في اتفاقية رسمية وقّع عليها فيما بعد لتحديد مناطق النفوذ بينهما ، بينما انتهت المكاتبات بين الشريف وماكماهون دون توقيع اتفاقية رسمية . وكان هذا موقف العرب عندما أعلنوا الثورة ضد الترك في يونيو ١٩١٦ .

وقد ظهرت وثيقة بريطانية بعد إعلان الثورةالعربية في قالب مذكرة وزعت على الدوائر البريطانية التي لها علاقة بالثورة في نواحيها العسكرية والسياسية . والمذكرة تلخص تطورات الحركة القومية العربية واتصالاتها مع بريطانيا وموقع الزعماء العرب خاصة في الجزيرة العربية ومدى مـا يستطيعون حشده من قوة . وفي ملحق لهذه المذكرة بينوا التزامات كل من بريطانيا والعرب وما اختلفوا عليه . وسنتصدى لهذه المذكرة إن شاء الله عندما نستأنف قصة الثورة العربية حسبما دونتها الوثائق البريطانية في بحث آخر .

الكويت ١٩٧٠

مكي شبيكه

نشاط عزيز علي المصري

(٢١٤٠) في يوم ١٦ اغسطس ١٩١٤ وفي القاهرة تمت مقابلة بين عزيز علي المصري والكابتن رسل دوّن الأخير ملخصاً لهـا في اليوم التالي ، فبعد تبادل المجاملات ، بدأ عزيز حديثه بأنه منتدب من لجنة مركزية مقرها في بغداد بهدف تلمس موقف الحكومة البريطانية نحو الدعاية لإقامة دولة عربية متحدة مستقلة عن تركيا ولا ارتباط لهـا بأي دولة أخرى ، ما عدا بريطانيا التي تطلب رعايتها وتمارس السياسة الخارجية لهذه الدولة العربية نيابة عنها . ويعرّف عزيز بلاد العرب بأنها الأقاليم التي تتحدث باللسان العربي وتمتد حدودهـا الشمالية بخط يمر بالاسكندرونة والموصل إلى الحدود الإيرانية .

وهذه الحركة لا ارتباط لها بالجامعة الإسلامية والخلافة العربية ولذلك لم يطلب القائمون بأمر الدعوة تأييد المتعصبين أمثال الشيخ رشيد رضا ولكنهم في الوقت نفسه يدركون أهمية تأييدهم إذا ما كانوا على استعداد للخروج من آفاقهم الضيقة . ويعتقدون أن قوة الحركة تتمركز في بغداد ونجد وسوريا . أما الجنوب العربي فهو مشحون بالخلافات الداخلية ممـا يباعد بينه وبين التأييد الفوري لها . ولم يذكر عزيز في هـذه المقابلة اسم زعيم لهذه الحركة .

ويلاحظ رَسل حماس عزيز الفائق للمشروع وليعتقد أن العرب على

استعداد تام وأن أغلبية نصارى سوريا والدروز يقفون بجانبهم ، ويرى رَسل أن عزيزاً يبـــالغ في أهميتهم وحماسهم للدعوة . ويتحدث عزيز بصراحة بأن حسن نية انجلترا وحيادها لا يكفيان بل لا بد من عون فعال في قالب أموال وأسلحة حديثة تسلم سرياً في العراق أو في أي مكان آخر ، ومقابل ذلك تضمن انجلترا لنفسهـا إلى الأبد أي اعتداء عليها في الهند عبر الأراضي الإيرانية ، وتكون لهـا أفضلية خاصة في المعاملات التجارية مع هذه الدولة العربية وتشمل سوريا .

وأنصت رسل بهدوء لعرض هذه القضية ورد عليه بأنـه يطلب من انجلترا مواجهة مخاطر جسيمة تشمل علاقتها بدول صديقة مقابـل مزايا هي موضع الشك وأخيراً أخبر رسل عزيزاً في وضوح بما لا يدع مجالاً للشك وكرر مراراً بأنه (رسل) يملك الصلاحية الكاملة في السلطة بأن ينقل إليه أن انجلترا ترى أن الوقت غير مناسب لإثارة هـذا المشروع وأن حركتهم سوف لا يكتب لهـا النجاح في التنفيذ بدون حسن نية انجلترا وأنه سيفقد أي أمل في الحفاظ على هذه النية الحسنة إذا مـــا حاول وضعها أمام الأمر الواقع أو اتخذ خطوات إيجابية. وأخيراً أجاب عزيز بأنه سينقل فحوى هذه المقابلة إلى لجنته ووعد كدليل لحسن هذه النية أن ينقل إلى رسل أية تحركات مريبة وخطيرة من الأتراك في مصر وافترقا كأصدقاء .

وأرفق ملن شيتام (Milne Cheetam) القائم بأعمال قنصل بريطانيا الجنرال في مصر تلخيص رسل (R. E. M. Ruseell) لهذه المقابلة في رسالة للسير ادوارد جراي (Edward Gray) وزير خارجيـــة بريطانيا يوم ٢٤ اغسطس ١٩١٤ ووصلت لندن يوم ٤ سبتمبر وهي تروي باختصار قصة نشاط عزيز المصري في القاهرة ، ويتضح من هذه الرسالة أن الدوائر البريطانية في القاهرة انزعجت من نشاط عزيز وبتعليمات من

وزارة الخارجية البريطانية أرسل شيتام عميلاً لهم لينذر عزيزاً بأن يلتزم الهدوء ، ومع ذلك فقد علموا أنه ما زال في نشاطه ، وأحاديثه مع بعض الناس في القاهرة ، ورأى شيتام أن يبعث بضابط بريطاني وهو رسل لمقابلته والتأكيد عليه بالتزام الهدوء والحد من نشاطه . وفي هذه المقابلة تم تدوين آراء عزيز . وبديهي أن لا تظهر بريطانيا آنذاك في الثوب المؤيد لحركات عربية مناوئة لتركيا بالرغم من احتمال انضمام تركيا لالمانيا .

ونلاحظ هنا أن عزيزاً آنذاك يرى حركة التحرر العربي تتمركز في بغداد ونجد وسوريا . ولم يرد ذكر للحجاز أو الشريف حسين .

الموقف في الجنوب العربي

(٢١٣٩) في يوم ١٩ أغسطس ١٩١٤ بعث المقيم السياسي البريطاني بالإنابة في عدن المستر جيكوب (Jacob) برقية للهند عن الوضع في الجنوب العربي ، ففي رأيه أن هناك ثلاث قوى في المنطقة وهي الإدريسي والإمام يحي والأتراك ، وقد فشل الأتراك في التفاهم مع الإدريسي ولذلك قرروا محاصرة موانيه . فإذا ما تم التفاهم بين الإدريسي والأمام وهذا موضع شك في نظر جيكوب سوف يتبعه تفاهم أولاً بين الإدريسي والأتراك ، أما إذا تم تفاهم بين الإدريسي والأتراك فيحتمل أن ينقض الإمام عهوده مع الأتراك غيرة من منافسه الإدريسي وهناك في الوقت الحاضر صداقة ظاهرية بين الإمام والاتراك لسبب إغداق الآخرين الاموال له للاحتفاظ بصداقته ، فإذا ما اتخذت تركيا موقفاً معادياً لنا في استطاعتنا ببذل المال لان نجعل الإمام يتخلى عن عهوده مع تركيا وتنتهي إلى نتيجة اتحاد الإمام والإدريسي ضد الاتراك لا سيما أن إرادتهم

وأعمالهم مكروهة لدى العرب وموقف الإمام في الوقت الحاضر ودي مع انجلترا في تقدير جيكوب والإدريسي يرقب الامور .

وبذلك نجعل موقف الاتراك حرجاً في جنوب الجزيرة العربية دون اتخاذ إجراءات عسكرية أو عدائية في البر لان هذا إن حدث سيثير الريب والشكوك في الاراضي التي تستظل بحمايتنا وعليه سيكون ضرب موانىء الاتراك على البحر الاحمر أمراً سهلاً بينما لا يصيب موانىء الإدريسي أي ضرر . وقدم جيكوب هـذه الاقتراحات بعد خبرته وتجاربه في تلك الجهات ، فالعرب في الحدود التركية يتلهفون منـــذ وقت ليس بالقصير أن تظللهم الراية البريطانية تحت حمايتها حيث عدالتهـا مضرب المثل بينهم .

وبعد أن كتب هـذا الجزء من التقرير وردت تعليمات لجيكوب من بمباي ليتصل بالإمام وتقديم عروض له . أما من يقطن عدن من مسلمي الهنود فإنهم في موقف حيادي عند النزاع بين العرب والاتراك . واستطرد جيكوب قائلاً عن شريف مكة انه في موقف المتشكك نحو الاتراك وينعم الآن بالهدوء في مصيفه في التلال .

وتستمر التقارير من ضباط بريطانيـا المقيمين في الاراضي العربية . فها هو المقيم البريطاني في الخليج يبعث ببرقيـة إلى الهند في يوم ٣١ اغسطس ١٩١٤ وتنقل صورتهـا إلى لندن في ٣ سبتمبر ١٩١٤ فحوى رسالة برقية من السفارة البريطانية في استنبول لكل قناصل بريطانيـا يخبرهم فيها بموقف تركيا الحرج ، فيجب عليهم ترحيل النساء والاطفال تدريجياً دون أن يلاحـــظ عليه أو يفسر بأنه ذعر . وأبرق القنصل البريطاني في البصرة بأن جنوداً تركية تتقاطر بكثرة لتتخذ مواقفها في الطريق إلى الكويت وأن مواطني الكويت الذين يقيمون في البصرة

يتحدثون بصوت مرتفع ضد انجلترا ويشيعون بأن مسلمي الهند أعلنوا الثورة وأن الافغان احتلوا جويتا .

بريطانيا والاماكن المقدسة في الجزيرة العربية

(٢١٣٩) وهناك وثيقة بتاريخ سبتمبر ١٩١٤ توضح الآراء المتبادلة بين الحكومة الهندية ووزارتها في لندن ووزارة الخارجية البريطانية وكلها تدور حول التأكيدات التي تعلن عن احترام بريطانيا للأراضي المقدسة في الحجاز ليطمئن المسلمون من رعايا بريطانيا خاصة في الهند وستقوم وزارة الخارجية البريطانية باتصالات دبلوماسية بكل من فرنسا وروسيا لإصدار إعلان مماثل لرعايا الدولتين من المسلمين . ويرى السير ادوارد جراي وزير خارجية بريطانيا تشجيع وتأييد العرب للسيطرة على بلادهم والأماكن المقدسة بها إذا ما أعلنت تركيا الحرب في جانب المانيا . ويرى أن وزارة الهند أدرى لتنفيذ هذه السياسة وإدارتها سواء من عدن أو أي مكان آخر والطرق التي تستخدم لنجاحها ، وعليه فلا بد من وضع الخطة الكاملة والتحضير لها للتنفيذ الفوري في وقت قصير ، ويبدو لنا واضحاً من هذه الوثيقة أن الأتراك إذا ما انضموا في الحرب ضد الحلفاء ترك أمرهم لوزارة الهند وحكومتها تديره من مناطق نفوذها في الجزيرة العربية .

رأي سفير بريطانيا في استنبول

(٢١٣٩) وهذه الخطط التي ذكرناها سابقاً لا بد من إبراقها للسفير

البريطاني في استنبول للتعليق عليها . وقد بادر السفير في يوم ٤ سبتمبر ١٩١٤ والحرب الاوروبية قد بدأت فعلاً إلا أن تركيا ما زالت تراقب ولكن انضمامها لالمانيا محتمل في أية لحظة فهو يوافق على خطـة تأييد وتنظيم حركة عربية ضد تركيا إذا ما اتخذت الاخيرة موقفاً عدائيـاً واضحاً وأصبح حربها أمراً لا مفر منه سواء كان هذا التأييد للعرب مباشر أو غير مباشر . غير أن حركة عربية بأهداف غامضة قد لا تقود إلى نتيجة ما وتحتاج إلى تنظيم دقيق ويرى السفير إلى إدارة هذه المقاومة العربية يجب أن تكون عن طريـق ابن سعود بمعاونة شيخ الكويت والاصدقاء من مشايخ العرب الآخرين ويشير بهـذه المناسبة إلى رسالة سابقة في ١٨ مارس مما يدل على أن عقد هذه المحالفات والصداقات مع مشايخ العرب كانت موضوع بحث ، ويرى السفير أيضاً أن أول هدف يجب أن يكون هو مهاجمة بغداد واحتلالها موقتاً مترقبين تطور الحوادث. ويمكن تحقيق هذا الهدف بطريق التوجيه البريطاني وتعزيز القوة البريطانية الهندية والمال والأسلحة والذخيرة والأصدقاء الموالين من السكان لا سيما ان تركيا سيكون اهتمامها الاكبر مواجهة روسيا ، واحتلال بغداد سيكون له أثره الفوري في نشاط وتطور الحوادث في الجزيرة العربية .

ويرى السفير أنه من الخطورة بمكان تأييد هجوم على الحجاز اللهم إلا إذا كان هذا الإجراء مقبولاً لدى المسلمين في الهنـد والجزيرة العربية ، ويوصي بأن يتم كل هذا عن طريق ابن سعود وبمشورة مس بل (Bell) والكابتن شكسبير (Shakespeare) . ويفضل السفير هذا الاقتراح على اقتحام مضيق الدردنيل الذي تزداد العمليات العسكرية فيه صعوبة يوماً بعد يوم ولا نتيجة له سوى القيام بأمر يجب أن تقوم بـه روسيا . فاحتلال الموقع أمر ميسور نسبياً لقوة عسكرية ولكنه عملية شاقة لقوة بحرية في الظروف الراهنة وعلى أية حال يستحيل الاحتفـاظ بالموقع إلا

بقوة عسكرية كبيرة . ويختم السفير برقيته بتكرار ما أشار به من قبل وهو أن تتريث بريطانيــا وألا تلجأ للعمل العدائي مهما بلغ الأمر من الخطورة في تركيا وأقصى مـا يمكن عمله إذا دعت الظروف هو قطع العلاقات ثم الترقب وكسب الوقت .

رأي حكومة الهند

في نفس اليوم الذي تسلمت فيه وزارة الخارجية برقيــة سفيرها في استنبول (٥ سبتمبر ١٩١٤) وصلت برقية خاصة طويلة من نائب الملك في الهند إلى وزارة الهند في لندن والتي بعثت بصورة منها للخارجيــة أشار نائب الملك إلى برقيتين خصوصيتين تسلمهما من الوزير بتاريخ ١٨ اغسطس و٢ سبتمبر تتعلق بعمليات عسكرية ضد تركيا ، يتلقى نائب الملك بسرور موافقة الوزير بأن نتابع إعلاننا السابق عن موقف بريطانيا بنشر إعلان يؤكد فيه عدم المساس بالأراضي المقدسه وجدة بأذى من جانب بريطانيا طالما أن طريق الحج للهنود يظل مفتوحاً وذلك عنـد إعلان الحرب مباشرة وسيكون لهذا وقعه الحسن .

وفيما يختص بالإجراءات الأخرى يقدم نائب الملك المقترحات التاليــة بعد استشارة دوائره الحكومية والضباط ذوي الخبرة . ففي الخليج فعلاً حصلوا على التعاون المخلص من شيخي الكويت والمحمره وأنه تأكد لهم الاعتماد على صداقة أو على الأقل الموقف الصحيح تجاه المصالح البريطانية من جانب عواهل الخليج الآخرين ومنهم سلطـــان مسقط وسيبعث لهم جميعاً البيان المبدئي لموقف بريطانيا .

ومن الصعوبة بمكان أن يتنبأ الإنسان بمدى مقدرة تركيا لإثارة التعصب الديني . وإلى أي حد تستطيـع بإثارتها هذه التغلب على الكراهية التي

يقابل بها عادة القبائل العربية في العراق وأواسط الجزيرة العربية الأتراك ، وهناك احتمال كبير أن تنشب هذه الثورة العربية بدون إيعاز من بريطانيا . وعليه فلا بد من سفينة حربية ترابط في الخليج مع السفينة الحالية ، ولو ان احتلال بريطانيا للبصرة أكثر الإجراءات فعالية لكان من المستحيل في الوقت الحاضر معرفة ما إذا كانوا يستطيعون حشد قوة كافية لاحتلال المدينة في وجه مقاومة تركية مسلحة ، والبديل للتدخل المباشر هو ما أكده شيخ الكويت وهناك أسباب معقولة لتصديقه . والخطة هي أن شيخ الكويت وشيخ المحمرة متعاونين مع بعض وجهاء البصرة الذين لهم معهم اتصالات وبمعونة بعيدة من ابن سعود في استطاعتهم إما تسهيل احتلال البصرة السلمي أو حفظ الموقع هادئاً ومعزولاً إلى أن تتمكن حكومة الهند من عمل إيجابي .

وللوصول إلى هذه النتائج يقدم نائب الملك تأكيدات بأن البصرة سوف لا ترجع لحكم واحتلال تركي مرة أخرى ويقدم لشيخ الكويت سيطرته الكاملة لمزارع نخيله في الساحل التركي بين الفاو والقرنة وتعفى من الضرائب ، ثم تقديم الحصانة ضد ردود الفعل المحتملة عند اقصاء الحامية التركية الصغيرة إلى صفوان أم قصر وبوبيان وبعدها الاعتراف باستقلال امارة الكويت تحت الحماية البريطانية ولشيخ المحمرة السيطرة على والاعفاء من الضرائب لنخيله في الجانب التركي من النهر وربما وعد ليبذل مجهوداً مع فارس لبقائه في حالته الراهنة من حيث الحكم الذاتي المحلي ، ويطلب من ابن سعود تعاونه في طرد الاتراك من البصرة لتسيطر عليها حكومة الهند سلمياً وطرد الأتراك من الاحساء والقطيف ، وفي مقابل ذلك تعقد معه معاهدة يعترف فيها باستقلاله حاكماً على نجد والاحساء مع ضمان عدم الاعتداء عليه من ناحية البحر . أما حاكم قطر فليس باستطاعته طرد الحامية التركية دون معاونة فعلية من الهند .

غير أنه في حالة الحرب فإن خروجهم أمر سهـــل ميسور خاصة إذا تعاون في ذلك الشيخ بعد إخطاره أولاً وتقديم تأكيدات يعترف له فيها بمكانته وامتيازاته شيخاً حاكماً لقطر .

وعن الموقف في غرب الجزيرة العربية فالمقيم السامي في عدن يعتقد أن كلاً من الإمام والادريسي يحمل نوايا طيبة نحو حكومة الهند .وبعروض مغرية وأموال وأسلحة يمكن اتخادهمـا لمقاومة الاتراك . ويضيف نائب الملك بأنـــه في موقف لا يسمح له تقديم العروض عن طريق وسيط موثوق به . ومن المحتمل أيضاً التأثير على شريف مكة ليتخذ نفس الموقف عن طريق ابن سعود ويجب استثناء موانىء البحر الأحمر التي يستخدمها الإمام والادريسى من الأعمال العدائية بقدر الإمكان .

ويجب على حكومـــة الهند احتلال شيخ سعيد قبالة بريم ومكتب تلغراف فاو ، وكما يعلم معـــالي وزير الهند فإن قبائل أواسط الجزيرة العربية يدينون بالمذهب السني بينما تدين القبائل الرئيسية في وادي دجلة بالمذهب الشيعي وكذلك بعض سكان البصرة شيعة أيضاً . فإذا ما ترك موضوع الجهاد جانباً فإن نائب الملك لا يرى في الجالية الإسلامية من أي مذهب اهتماماً بثورة عربية ضد الاتراك . ولو ان المثقفين منهم لا يرضون عن هذا الانقسام في الجبهة الإسلامية . ومع ذلك فمن المشكوك فيه أن يترجوا عدم الرضاء هذا إلى أعمـال إيجابية . ويختم نائب الملك برقيته بأن الطريقة التي يؤثر بها على زعمـــاء المسلمين في حالة إثارة الاتراك للسيطرة الدينيــة كان موضوع تفكيره وسيعمل للتمهيد والاستعداد على الأسس المتضمنة في برقية الوزير بتاريخ ٢ سبتمبر .

والإجراءات التي تتبع بشكل روتيني عندما ترد اقتراحات وآراء كهذه من مراكز مختلفة في الامبراطورية يتناولها الموظفون المختصون في

الوزارة بالتعليق كل في قسمه من أدنى درجات السلم ألى أعلى سلطة وهو الوزير . وها هي الآراء والمقترحات قد وصلت من حكومة الهند ومن السفير في استنبول تتناول بصفة عامة نفس الموضوع وهو الاستعـــداد للسياسة التي تتبع في العلاقات العربية البريطانية وخاصة تلك التي يقع جزء منها في دائرة النفوذ التركي وعن ما يجب الاهتمام به والحذر منه نحو إثارة النعرة الدينية . وكما يبدو فإن هناك خلافاً جوهرياً بين الهند واستنبول . فالسفير يرى الاستعـداد ولكن في تريث وحذر بينما يظهر على حكومة الهند الاستعجـــال وعلى هذا الأساس الى تعليق الموظف المختص في أدنى درجات السلم . ويرى هذا الموظف في تعليقه أن مهمته الخارجية هي الحد من نشاط حكومة الهند بين مشايخ العرب المتذمرين طالما أن بريطانيا في حالة سلم وصداقة مع تركيا ، ولكن عندما تكون مسألة الحرب موضع بحث يجب أن يترك توجيه السياسة والخطط العسكرية بصفة عامة لحكومة الهند لما لديهم من معلومات الكابتن شكسبير والضباط المحليين ونتائج رحلة مس بل الأخيرة ، ووافق الموظفون في درجات السلم المختلفة إلى أن وصلت إلى السير ادوارد جراي حيث وقع كغيره بالأحرف الأولى من اسمه .

رأي البحرية البريطانية

(٢١٣٩) من البديهي أن تبعث الخارجية البريطانية بصورة من برقية السفير البريطاني في استانبول إلى البحرية البريطانية للتعليق وإبداء الرأي وقد أجابت البحرية في ٩ سبتمبر تبدي موافقتها على الرأي الدي يقول بتنظيم حركة مقـــاومة عربية في منطقة الخليج مكونة من ابن سعود وشيخ الكويت وغيرهما من مشايخ العرب في المنطقة . فهذا التجمع عنصر له قيمته في حالة القيام بعمليات عسكرية تدعو الضرورة لها ضد تركيا .

وزيادة على الاعتبارات التي ذكرها السفير والفوائد التي تجنى من السيطرة على منطقة البصرة فبريطانيا ستستفيد من منطقة إنتاج القمح كما أنهـــا تضع يدها على منطقة إنتاج البترول ذات الأهمية العظمى . وضياع العراق زيادة على أنه سيكون ضربة لتركيا لها عواقب بعيدة المدى وستكون أيضاً نكسة للمطامع الالمانية وتطورها . وقد بذلت المانيـا الكثير من المال والجهود لتركيز مصالحها في تلك المنطقة وبطريقـة منظمة حاولت بكل السبل المستطاعة لإقصاء المصالح البريطانية والهندية .

والموقف الحقيقي في الوقت الحاضر كما تراه البحرية هو أنه قد اتضح نشاط الاتراك الفائق في تلك المناطق . فقـد وضعوا أيديهم على كل المخزون من الفحم والبترول الذي تمتلكه الشركات البريطانية في البصرة . وبغداد بما فيها من بترول تتراوح قيمته بـين أربعة آلاف وستة آلاف جنيه استرليني يخص شركة البترول الانجليزية - الإيرانية . ولو أنه يبدو أن حكومـــة الهند على غير استعداد للتنفيذ الكامل للاقتراحات التي أبدتها البحرية من قبل بهدف تثبيت الوجود البريطاني في الخليج إلا أن البحرية مع ذلك تنظر في إرسال السفينة ألرت (Alert) للخليج زيادة على السفينة اودين (Odin) الراسية هناك في الوقت الحاضر . وتأمل البحرية في أن يكون من الميسور إعادة النظر في وقت مبكر في قرار عدم إرسال جنود هندية لتلك المنطقة .

تقرير من عدن لحكومة الهند

(٢١٣٩) رداً لبرقية وردت له من حكومـة الهند يوم ٨ سبتمبر أجاب المقيم السياسي بعدن يوم ١١ منه وبرقية الهند تختص بالإجراءات التي تتخذ في حالة إعلان تركيـــا الحرب ، وروى المقيم أن الادريسي

أرسل وزيره لعدن في أغسطس من السنة الماضية ليستفهم عن موقف بريطانيا نحوه ويتواجد مندوبه السري الآن في عدن وعليه يمكن تقديم الصداقة والحماية للادريسي وتأييد مطالبه ضد الإمام وتضم إليه منطقة فرسان التي كانت تحت سيطرته حيناً ما وانتزعها منه الاتراك زيادة على جعل موانئه مفتوحة .

ويتواجد الآن رسول من الإمام في عدن ، ويرى المقيم أن يعرض على الإمام الحكم الذاتي في الاقليم الذي يسيطر عليه الآن وتحدد مطالبه الاقليمية ضد الادريسي مع الايعاز له بأن يعيش في سلام معه . ويجب أن تذكر الصداقة التي كانت قائمة بين الإمام وبريطانيا وعقد عهود صداقة معه ويرى المقيم أن ضرب موانىء الحديدة ومخا سيقطع الامدادت التركية وبذلك يتجه تموين الإمام نحو عدن كما سيتجه غيره من المشايخ نحوها أيضاً ويطلب المقيم نياشين لبعض المشايخ كما حدث في منطقة الخليج.

إشاعة انضمام ابن سعود لتركيا

(٢١٤٠) كل التقارير التي وردت من قبل عن منطقة نجد تؤكد عداء ابن سعود لتركيا إن المشروعات التي قدمت لإثارة العرب ضد الاتراك في حالة إعلانهم الحرب تجعل ابن سعود العنصر الفعال في هذه المقاومة العربية . ولذلك لا نستغرب دهشة الخارجية البريطانية عندما وردت لهم برقية من القائم بأعمال قنصل بريطانيا الجنرال في القاهرة يوم ٢١ سبتمبر ١٩١٤ يقول فيها أن المخابرات تلقت أنباء من مصادر مختلفة بأن الأمير ابن سعود أمير نجد قد انضم إلى الاتراك ووعدهم بإرسال قوة كبيرة من العرب في اتجاه سوريا . ويطلب شيتام أن تستفهم حكومة الهند من المقيم السياسي في الكويت عن حقيقة اتجاه ابن سعود . وكان

التعليق على البرقية ما يلي : « يصعب علينا أن نصدق هذا » وأرسلت صورة البرقية لوزارة الهند لمعرفة الحقيقة . وقد نقل نائب الملك في الهند البرقية التي تلقاها من المقيم البريطاني في الخليج « رجعت من زيارة خاطفة للكويت والبحرين قابلت فيها الشيخين والمعتمد السياسي فلم أجد أقل تأييد للاشاعة الصادرة من الهند عن اتجاه ابن سعود والمعروف عنه أنه يقيم هادئاً في الرياض ودوائر البحرين تقول بأنه لا يمتلك قوة كافية يستطيع تحريكها لأي جهة في الوقت الحاضر وينتظر قدومه للاحساء بعد أيام قليلة » .

ووردت رسالة أخرى يوم أول اكتوبر من السفير البريطاني في استانبول تذكر أنه من الطبيعي والمحتمل أن يكون أنور باشا وغيره على اتصالات مع ابن سعود . ويتحدث عن احتمال دخول تركيا الحرب . ففي اعتقاده أن الحكومة العثمانية لا تفكر جدياً في دخول الحرب إلى جانب المانيا ولو أن الجهات العسكرية ذهبت بعيداً في استعداداتها ومن المحتمل أن تبعث بجيش للحدود المصرية ، ولا يعتقد أن هذه الإجراءات بالضرورة حركات معادية .

تقرير من القاهرة عن الحالة في (الجزيرة العربية)

(٢١٤٠) وكما هو منتظر فقد نشطت المراكز البريطانية في الخارج خاصة تلك التي للأعداء أو للأعداء المرتقبين مثل الدولة العثمانية نفوذ فيها في إمداد وزارة الخارجية بالمعلومات الدقيقة عن الاحوال كل في منطقته ، وعلى هذا فقد دونت إدارة المخابرات البريطانية في مصر في السادس من سبتمبر ١٩١٤ تقريراً عن الحالة في الجزيرة العربية وبعث به المستر شيتام في اليوم التالي ليصل لندن في ٢١ سبتمبر .

بدأ التقرير بالمصاعب التي لاقتها الحكومة التركية في السنين الأخيرة في تهدئة الحالة في الجزيرة العربية ونتيجة لذلك فقد ظلت السلطة التركية تتدهور تدريجياً في تلك الاقاليم . وقد ظهرت بوادر تشير إلى اتجاه واضح نحو التكتل من جانب كبار عواهل العرب أمثال ابن سعود حاكم نجد والادريسي حاكم عسير وشريف مكة . ومن المحتمل أيضاً أن يتجه ابن الرشيد هذا الاتجاه ، وهدف الجميع التخلص من السلطة التركية والعمل لأن تكون بلاد العرب للعرب . وهناك ما يشير إلى أن سمو الخديوي في مصر يغذي إلى حد بعيد هذا الاتجاه ببذل المال وإرسال الرسل وهو يرمي في النهاية للجلوس على كرسي الخلافة في حالة طرد الاتراك من الجزيرة العربية .

وتشير التقارير التي وصلت مؤخراً إلى أنه قبل إعلان الحرب الاوربية مباشرة ومنذ إعلانها بذلت الحكومة التركية مجهودات ضخمة لتصل إلى تفاهم مع مشايخ العرب الرئيسيين لتضمن حيادهم الذي يميل نحوهم على الأقل إن لم يكن عونهم الفعال . والاحتمال كبير في إنجاح مجهوداتهم كما يبدو وعلى كل حال فإنه قد وضح تماماً أن شريف مكة اتخذ موقفه الواضح مع تركيا . ويكون هذا الالتقاء كما يبدو جزءاً من حركة الرابطة الأسلامية العامة التي ترسم خططها استانبول ، ويبدو أن ثالوثاً يتكون من عبد العزيز شاويش وسليمان البارودي وشكيب أرسلان (درزي) يكون المحركين الرئيسيين لهذا الاتجاه الإسلامي وليس هناك من شك في أن رسلاً قد بعثوا لا للجزيرة العربية وحدها بل أيضاً للهند ومصر وطرابلس وإلى جميع الاقطار الإسلامية لبث الدعاية . وإنشاء جامعة في المدينة أيضاً حقيقة تستحق الملاحظة . وقد ظل الضباط الاتراك يتوافدون بأعداد متزايدة من استانبول إلى موانىء الجزيرة العربية على البحر الأحمر وتدل التقارير على أن عدد الجنود الاتراك ارتفع في حامية مكة

إلى ستة عشر ألفاً . ولعل أهم مسألة ظهرت في تقرير المخابرات هـذا هو التأكيد بأن شريف مكة انضم إلى الاتراك واتخذ موقفاً لا شك فيه في ذلك الجانب . فكل الدعاية البريطانية في البلاد العربية والاسلامية تتخذ من عدم المساس بالمقدسات الدينية الإسلامية ومن بلاد العرب للعرب عناصر رئيسية في دعايتها ضد الاتراك . والمراكز البريطانية الأخرى تشير إلى أن الشريف قد يتخذ موقفاً ضد الاتراك متكاتفاً مع الزعماء العرب الآخرين أو على الاقل يتخذ موقف الحياد ولعل أول المندهشين من هذا التقرير عن الشريف حسين هو اللورد كتشنر والمستر ستورز السكرتير الشرقي لدار المعتمد البريطاني في القاهرة ، فهما يتذكران اتصال الأمير عبدالله بن الحسين بهما في مفتتح سنة ١٩١٤ وهو في طريقه من الاستانة لمكة وحديثه عن مدى العون الذي يلقاه والده إن أراد الفكاك من السلطة التركية ولم يتصل الطرفان إلى اتفاق ما . ولذلك عندما عرض التقرير على لورد كتشنر بدأت اتصالات بالشريف من جانب كتشنر .

أول اتصال رسمي بين بريطانيا والشريف حسين

(٢١٣٩) ففي يوم ٢٤ سبتمبر (بعـــد ثلاثة أيام من استلام تقرير القاهرة) بعث لورد كتشنر برقية إلى شيتام في القاهرة وبعـد أن أشار فيها إلى التقرير المذكور والمعلومـات التي وردت فيه عن شريف مكة أمره بأن يخبر ستورز ليبعث رسولاً يختاره بعناية ودقة بطريقة سرية من كتشنر إلى الشريف عبدالله برسالة فحواها ما يلي : « إذا مـــا أجبر النفوذ المسلح الالماني في استانبول الخليفة ضد إرادته وإرادة الباب العالي للقيام بأعمال عدائية وحرب ضد بريطانيا ، فماذا يكون موقفه ووالده وعرب الحجاز ؟ مع بريطانيا أم ضدها ؟ وقام ستورز بالمهمة حيث بعث

برسول كما طلب منه ورجع بعد غيـــاب دام أكثر من شهر بخطاب من الأمير عبدالله نرويه في موضعه من تسلسل الحوادث .

(مقابلة بين السفير البريطاني في استانبول ومهدي بك نائب كربلاء)

(٢١٠٤) بعث السفير البريطاني في استانبول بنسخة من برقيته إلى بغداد في يوم ٢٥ سبتمبر وسلمت في لندن في اليوم التالي تحوي معلومات قدمها مهدي بك للسفير فحواها « أخبرني مهدي نائب كربلاء قبل مدة بأن الحكومة التركية أمرته باستخدام نفوذه على مجتهدي الشيعة في العراق والقوقاز وإيران والهند للقيام ببث الدعاية للرابطة الإسلامية مع أنه في الحقيقة لا يوافق عليهـا . والوسيلة لهذا الغرض هي المكاتبات . وقدم مهدي بك اقتراحات بأن يعارض دعايته هذه بخطابات عن طريق السفير تعارض الخطابات الأخرى . وبما أنه لم يتقدم بهذا الرأي منـذ المناسبة الأولى لم أتخذ إجراءات هنا حيث أنني لا أثق فيـه . وعليه يمكنك إخطار نائب القنصل في كربلاء فيما إذا كان هؤلاء المجتهدون استغـــل نفوذهم في الدعاية ضدنا وما هو حقيقة موقفهم وعلى نائب القنصل أن يستخدم ما لديه من تأثير عليهم بعناية وتحفظ للوقوف في جانبنا ... »

(تقرير من القنصلية العامة البريطانية في بيروت)

(٢١٤٣) وقد كانت بيروت مركزاً هاماً من مراكز الوعي العربي آنذاك ، ولكن لبنان وبلاد الشام مليئة بالمشاكل عامة والطائفية خاصة ، ولا بد والحالة هذه أن تكتمل المعلومات من الاقاليم الخاضعـة للسيطرة

التركية . ففي يوم ١٥ سبتمبر ١٩١٤ بعث القنصل البريطاني العام في بيروت بصورة من تقريره الذي كتبه للسفير في استانبول وتسلمته الخارجية في لندن يوم ٧ اكتوبر ..

يرسم التقرير صورة قاتمة للحالة في لبنان عقب إعلان الحرب الاوربية. فركود حالة التجارة عقب إعلان الحرب أثار القلق بين المسيحيين والأجانب. واستعدادات تركيا العسكرية وحشد جنودها استدعى استخدام العنف والقهر من جانب السلطات العسكرية مما قاد إلى خراب جزئي للبلاد . هذا زيادة على الحملات العنيفة ضد فرنسا وروسيا وبطريق غير مباشر ضد انجلترا . وقد شاع الذعر في لبنان نتيجة تفوهات الحاكم العام التركي الطائشة ومرؤوسيه من الجندرمة والبوليس ضد السلطات اللبنانية . ففي أول الأمر تركزت شكواهم في الحماية المزعومة التي تعطيها حكومة لبنان للهاربين من العسكرية من المقاطعتين المجاورتين ومن أصحاب الجمال والبغال الذين يخفونها لئلا تستخدمها السلطات العسكرية .

وهناك عدة محاولات من جانب الجندرمة التركية بقيادة ضباط من الجيش لعبور الحدود اللبنانية للقبض على الهاربين من العسكرية أو لأخذ حيوانات النقل . ففي كل الحالات ما عدا واحدة نجح حرس الحدود اللبناني عندما كان قوياً في سد الطريق أمامهم . وقد هدد الحاكم العام التركي علناً بأنه سيرسل الجنود للقبض على الهاربين وعلى الحيوانات المطلوبة للحملة . وقد توصل الحاكمان إلى اتفاق والأمل معقود على أن لا تتجدد حوادث الحدود هذه .

وقد شاع رعب حقيقي حوالى منتصف اغسطس نتيجة التقارير التي تواردت عن احتشادات الجنود في حمص وطرابلس وقد فسرت حسب الاعتقاد السائد على أنها تشير إلى احتلال للبنان تكون نتيجته القضاء

على الحكم الذاتي الذي يتمتع به لبنان ، ومما يزيد في التأكيد تفوهات حاكم لبنان التهديدية علناً . ولكن أخطر الظواهر هي محاولة من الخارج تهدف إلى إضعاف العلاقات الودية بين الدروز وانجلترا وإغرائهم لاتخاذ موقف في جانب المانيا . وفي حالة اتخاذ تركيا اجراءات عسكرية يسمح لهم بانقضاض على المارونيين والارثوذكس في الجبل ، ولحسن الحظ حسب قول القنصل البريطاني العام أنه سمع بتلك المؤامرة في الوقت المناسب وبعث لبعض زعماء الدروز أصحاب النفوذ ونقل لهم ما لديه من معلومات ونتيجة لذلك قتلت الحركة في مهدها بواسطة العمل السريع من جانب هؤلاء الزعماء . ومن وقتها تواردت إلى القنصل التأكيدات عن إخلاص الدروز للقطر الذي كان دائماً يكنفهم برعايته وحمايته . ويبدو أن الحجة التي يقدمونها لهم للانضمام لجانب المانيا هي أن فرنسا حليفة انجلترا ستحتل لبنان وتفضل المارونيين عليهم إن خرجت منتصرة من الحرب وستتخلى انجلترا عنهم حفاظاً للعلاقات بينها وبين حليفتها ولم يجد القنصل صعوبة في إقناع الدروز على حد قوله . فقد ظلت حكومة جلالة ملك بريطانيا تحميهم ضد المارونيين طيلة خمسين سنة مع العلم بأن علاقتها مع فرنسا لم تكن ودية إلا منذ وقت قريب .. فإذا ما تدعمت هذه الصداقة بين القطرين بالخروج منتصرين من الحرب فسوف لا تكون هناك مشكلة بينهما في هذا النزاع بين الطائفتين . ويختم القنصل تقريره بأنه نصح للدروز والمارونيين والارثوذكس التزام الهدوء وأن لا يتنازعوا فيما بينهم حتى لا يجد الاتراك مبرراً للتدخل في لبنان .

تقرير من عدن عن نشاط الاتراك في الجنوب العربي

(٢١٣٩) بعث المقيم في عدن برقية إلى الهند بصورة إلى وزارة

الهند يوم ٣١ سبتمبر ١٩١٤ يروي ما نقله إليه مخبره الرسمي من الحديدة وتاريخ خطاب المخبر يوم ٢٢ سبتمبر . وروى وصول مكاتبات من استانبول لكل من الإمام والإدريسي تحتمهما على التوقف عـــن المعرك بينهما بينما يطوف الحاكم لليمن الاقاليم لإنشاء جيش وطني وعقد مقابلات مع الإمام بحثا فيهـــا الأحوال .. والليالى من الزمان حبالى على حد قول المخبر ومليئة بالمفاجآت وقد أعلن في الحديدة إلغاء الامتيازات الأجنبية ومنع تصدير الذهب ورفع الحصار على الموانىء واستدعيت طرادتان تركيتان لاستانبول من مياه الحديدة .

ويعلق المقيم على هذه الأنباء إذا صحت بأن الاتراك سبقوهم مما يجعل البرنامج الذي رسمه من قبل صعب التنفيذ ولكنه لم يصل إلى درجـــة الاستحالة فهو يطلب تنفيذ برنامج محدود . أولاً – تقديم المساعدة للإمام لتمكينه من صنع البـــارود وكان يطلبه من قبل ، ثانياً – تقديم النياشين لزعماء لحج والمكلا وهما تحت حماية بريطانيـــا . فهذه الامتيازات المبدئية لها أهميتها العظمى وفي الواقع هي ما يستطاع تقديمه قانونياً قبل إعلان الحرب لتكون دليلاً على حسن نية بريطانيا وعطفهـــا للعرب ويجب أن تتذكر أن سلطان لحج له نفوذ بالغ على الإمام . وقد ترك وزير الهند الأمر لنائب الملك أن ينفذ هذه المطالب بطريقته الخاصة إن هو وافق عليها . وتسلمت وزارة الخارجية يوم ٧ اكتوبر هذه المعلومات ولم يتبين فيما إذا كانت قد نفذت .

مهمة الكابتن شكسبير (لمقابلة ابن سعود)

(٢١٤٠) في يوم ٤ اكتوبر ١٩١٤ بعثت وزارة الهند في لندن إلى المقيم البريطاني في بو شهر على الخليج ببرقيـــة تحوي رسالة لابن سعود

لترسل عن طريق الكويت والبحرين هذا مضمونها :

سيغادر صديقك الكابتن شكسبير انجلترا متجهاً نحوك لمقـابلتك في أمور هامة منتدباً من الحكومة البريطانية عن طريق البحرين ويرجو أن تجهز له الجمال في العقير حوالى ٤ نوفمبر (منتصف ذو الحجة) .

وفي اليوم التالي وجهت وزارة الهند رسالة لشكسبير تحوي المهمة التي أوكلت إليه والتي وضحت له من قبل شفوياً .. فهم استدعوه للخدمة في الحال للقيام بعمل يتعلق بإجراءات تتخذ لحماية المصالح البريطانيـــة في الخليج والأراضي العربية للتي تقع تحت النفوذ التركي . وعليه أن يسافر بأسرع فرصة ممكنة ويتصل بابن سعود في الحال ويستخدم نفوذه للوصول إلى هدفين أولهما منع وقوع اضطرابات بـــين الأوساط العربية نتيجة للاجراءات التي ستقوم بريطانيا باتخاذها . وثانياً التأكـد بأن لا يقدم العرب مساعدة للأتراك إذا ما قامت الحرب بينهم وبين بريطانيا . وبقية التعليمات تتعلق بشروط خدمته وما يأخذه من هدايا وأموال لمهمته .

وفي يوم ٨ اكتوبر أبرقت وزارة الهنـــد نائب الملك تخطره بمهمة شكسبير كما وردت في التعليمات له وعلى نائب الملك قبل وصول شكسبير أن ينقل لابن سعود عن طريق شيخ الكويت فحوى الرسالة التاليـة : « يعلم الشيخ أن المانيا الآن تستخدم نفوذها على تركيا لتقوم بأعمـــال عدائية يضطر بريطانيا وحلفائها لخوض غمار حرب يودون تفاديها بإخلاص وخاصة حكومة جلالة الملك صديقة الإسلام التقليدية ، وحكومـة جلالة الملك وهي مضطرة لاتخاذ احتياطـات عسكرية في الخليج نظراً لموقف هذا تؤكد للعرب أنها لا تتوقع أو تفكر في عمليات عسكرية إلا في حالة اعتداء تركي . فالشيخان مبارك وابن سعود يستطيعان حفظ السلام بتأثيرهما على قبائلهما وعلى أصدقائهما الأقوياء أمثال شريف مكة وبن شعلان

الذين تؤثر فيهم معلومات خاطئة أو وعود خداعة ، ولذلك فحكومة جلالة الملك تبعث الكابتن شكسبير وهـو معروف عند العرب ليقوم بشرح نواياها » . وهم يعتمدون على مشايخ الساحل وابن سعود للوقوف على الحيـاد حتى عند قيام الحرب إلى أن تنقل إليهم تفاصيل نوايا الحكومة البريطانية .

(خطابات الشيخ مبارك لابن سعود)

(٢١٤٠) وفي يوم ١٤ اكتوبر ١٩١٤ كتب الشيخ مبارك لابن سعود ينقل إليه ملخصاً لمهمة شكسبير حسبما وصلته من حكومة الهند ويقول له بعد ذلك : « قابله ورحب به وارض ربك وسلمه إجابة تسره لأن طريقنا المراحة والسعادة لكلينا واحد يا ولدي وهو في اتباع نصائحهم ، وابعث في الحال لعبدالله الجلوي لتجهيز ترحيله في العقير » . وارفق مع هذا خطابين أيضاً أحدهما من المقيم لينقل فيه نوايا الحكومة البريطانية واضطرارها للقيام بأعمال عسكرية في منطقة الخليج إذا ما خضع الاتراك للالمان وأعلنت الحرب على بريطانيا وحلفائها ومهمة شكسبير تدور حول هذا الموضوع . والخطاب الثاني يخاطبه دائماً بيا ولدي يشرح له فيه أنها حرب المانية أقحمت فيها تركيا فإذا ما تم النصر لالمانيا ستمكن تركيا من استعباد العرب جميعهم ويذكره بالعداوة التقليدية للاتراك ضد العرب.

آراء الترجمان الأول بالانابة
(بالسفارة البريطانية باستانبول)

(٢١٤٠) تسلمت وزارة الخارجية بلندن من سفيرها باستانبول يوم ٨ اكتوبر ١٩١٤ تقدم مذكرة مرفقة من مستر ريان (Ryan) ترجمان

السفارة الأول بالانابة عن تركيا والعرب وما يجب أن يكون عليه موقف بريطانيا وتاريخها ٢٢ سبتمبر ١٩١٤ بعد إعلان الحرب الاوروبية ولم يتبين موقف تركيا رغم أن الاحتمال كبير في انضمامها لجانب المانيا وليس هناك من جهة بريطانية يستطيع تتحسس وتقدر هذه الاحتمالات أكثر من سفارتها في استانبول . فماذا قال المستر ريان .

في حالة إعلان تركيا للحرب ضد الحلفاء يتحتم على بريطانيا كجزء من سياستها تحطيم أي نفوذ لتركيا في جزيرة العرب إلى حدود سوريا وفي العراق إلى الموصل مثلاً وستصاب تركيا بأضرار بالغة إذا ما شجعت بريطانيا ورعت الحركات العربيــة المتحرر من النفوذ التركي في تلك المناطق فإذا ما امتد بصرنا المستقبل يظهر لنا أنه ليس من الحكمة أن نزج بأنفسنا في أي عمل يتعلق بمقاطعات البحر الأحمر (الحجاز ـ اليمن) فتحطم سلطة السلطان الحقيقية ولو انها ليست كاملة في الحجـاز يفسر أنه يتحدى العالم الإسلامي إذا ما كان علناً . وحتى إذا ما كان خفياً فإنه يثير من المشاكل ما يستعصى حله إلا إذا كنا على استعداد وثقـة بتقديم برنامج لحلها وقد نفكر في خلق خلافة جديدة ولكن حسب ما أراه من ظروف وملابسات فالأفضل من وجهة نظرنا أن نبقي على سيادة السلطان في الأرض المقدسة من جانبها النظري مهما كانت فعاليتها . أما اليمن فبعيد من مناطق نفوذنا ومهما أثرنا فيه معارضة تركيا فتكون النتيجة تافهة بالنسبة لنا . وفي الوقت نفسه فالإمام قوي وغير صديق لنا وسنخسر بتقويته بدون أن نجعله يعتمد علينا .

أما الموقف في نجد والعراق فحسن بالنسبة لنــا . فشيخ الكويت ولاؤه لنا وابن سعود معاد للاتراك ويميل لصداقتنا فازدياد قوته لا يضرنا طالما يحترم موقفنا في الخليج ويحكم في الاحساء بما يرضينا أما العرب الذين يقطنون شمال هـذه المنطقة ويتصفون بالشغب والتمرد فليس لهم

ولاء طبيعي للأتراك ولو أن بعض زعمـائهم تربطهم مصالح معهم من من وقت لآخر . فإذا ما زالت السلطة التركية تماماً ففي الإمكان خلق تنظيم في المنطقة يتكون من ابن سعود وشيخ الكويت وبعض الزعماء في الشمال قوي لإدارة المنطقة ولكنه ضعيف يعتمد علينا في الأماكن التي تقترب من النهرين . أما القبائل الداخلية فتترك وشأنها إلى أن يحين الوقت الذي لا بد فيه أن نتحمل مسؤوليات هناك .

وإذا ما انتهى الموقف الحالي بحرب بين انجلترا وتركيا يجب أن يعلن لمصر والهند أن هذه الحرب سببتها تركيا بالرغم من إنـذارنا وعروضنا الصديقة وبذلك أصرت على الارتماء في أحضان أعدائنا فحرب كهذه فرضتها الظروف علينا ستقود إلى تحطيم مادي لتركيا وقد حاولنـا بإخلاص تفاديه وسيقود هـذا حتماً إلى الحد من نفوذ تركيا وما كنا نود ذلك لأن سياستنا الثابتة نحو وحدة أراضي تركيـا الآسيوية كانت لصالحنا كما انها لصالح تركيا وهـذا التفكك في وحدة الأراضي الآسيوية لتركيا سيلقي علينا مسؤوليات نحن في غنى عنها . ومهما كان من أمر هذه الحرب فإنه ليس بحرب ضد الخلافة وليس في نيتنا تحطيم مكانـة السلطان خليفة وراعياً للمدن المقدسة . ويختم ريان مذكرته بأن أي تشجيع للحركات العربيـة في نجد والعراق يجب أن يتسم بالسرية بقدر الإمكان وأن تستشير وزارة الخارجية المستر فيتسموريز(Fitzmaurice) لأنه خبير بالشؤون العربية .

وعرضت هذه المذكرة بالفعل على المستر فيتسموريز وعلق عليهـا بمذكرة في يوم ١١ اكتوبر ١٩١٤ فماذا قال ؟ في حالة إعلان تركيـا الحرب يجب علينا في صراع الموت والحياة هذا أن نعمل على إبعـاد أذاها لنا غير عابئين بالاعتبارات مثل إدارة بعض أراضيها الحالية وحتى مسألة الخلافة . فقد كانت هناك حركة قومية عربية واضحة ونشيطة نحو

الحكم الذاتي إلى يوليو ١٩١٣ عندما احتلت تركيا القناة ادرنه . فاذا ما أعلنت تركيا الحرب على دول الغرب الديمقراطيـــة المتحررة (انجلترا وفرنسا) ستنشط حركة القوميـــة العربية خاصة إذا ما وجدت عوناً بريطانياً من الكويت وفرنسياً من سوريا حيث يميـل العرب المسيحيون (في لبنـان مثلاً) والمسيحيون الآخرون في أرجاء الدولة العثمانية نحو بريطانيا وفرنسا وضد المانيا وسيكون شعار الحركة (التحرر من النير التركي) .

وبدون شك ستكون المحمرة مركزاً حسناً للعمل فيها ويجب أن يكون مفهوماً أن معظم العرب في منطقة بغداد شيعة لم يكونوا راضين في أي وقت من الأوقات عن الاسلوب التركي في الادارة منـــذ أن سيطرت تركيا على المنطقـة وانتزعتها من إيران واستاء شيعة إيران والهند من سيطرة الاتراك على أماكنهم المقدسة في النجف وكربلاء بمـا يلاقونه من متاعب من السلطة التركية في حجهم ، وإذا ما نجحت حركة مقاومـــة الاتراك في العراق فإن إدارتها على الأسس التي اتبتعه في المحمرة لا تعترضها صعوبات .

أما عن احتفاظ تركيا بالخلافة الفعلية فالاحتمالات هو حتى لو امتنعنا امتناعاً باتاً من التدخل فإن حركة مقاومة عربية لا بد وأن تصحبهـــا محاولة من العرب وغيرهم من المسلمين لإرجاع الخلافة لأصحابهـا الشرعيين وهم العرب ويجب أن نتذكر أن فريقاً من العرب رشح إمام اليمن فهو زيادة على شبه استقلاله يرجع بنسبه إلى قريش ، بخلاف الخديوي الذي يحكم تحت نفوذ قوة غير مسلحة .

ونقل الخلافة من الاتراك للعرب مسألة داخلية تخص المسلمين ولكنهـا قد تبرهن على أضرارها بالنسبة لنا . فالرابطة الإسلامية التي تبعث من وقت لآخر في مصر والهند كانت مزعجـة لأن جذورها مغروسة في

اتحاد السلطتين الروحية والزمنية في فاتيكان الإسلام في استانبول فانفصال السلطتين من بعضهما ولو انـه يتمشى مع روح الزمن سيزيل اللسعة من هذه المسألة السياسية الطائفية وبهذه المناسبة يجب عدم الإشارة بتاتـاً للخلافة في الإعلان المقترح في مذكرة ريان وأستحسن قول الأراضي العثمانية بدلاً من أراضي السلطان . ومن الحكمة أن يبعد اليمن والحجاز من مجال نشاطنا وربما تكون سوريا أنسب منطقة لحركة عربية مناهضة للأتراك ، ولكن طريقة العمل تعتمد على التوافق بـين وجهتي نظر فرنسا والقاهرة .

(٢١٤٠) برقيات من السفير البريطاني في استانبول تنقل برقيات من قناصل بريطانيا في مدن سوريا الرئيسية عن الحالة

في أيام ١٣ و ١٤ و ١٥ اكتوبر ١٩١٤ تسلمت الخارجية برقيـات من سفيرها في استانبول ينقل فيها وصفاً للحالة في مدن سوريا الرئيسية من قناصل بريطانيا في المنطقة ، فقنصل القدس يقول الحماس هنا فاتر بالنسبة للحملة التركية الموجهـة نحو مصر فالسكان معظمهم معادون للحكومة التركية لدرجة عظيمة . وعدد كبير منهم كانوا دائماً باستمرار متعلقين بأمل الاحتلال البريطاني . والشعور المعادي لبريطانيا خفت حدته نوعاً ما ولكنه ما زال قوياً عند بعض طبقات المسلمين وفي حالة هجوم على الساحل يفترض حدوث إخلال بالأمن في الداخل يثيره سرياً العسكريون ولا تشترك السلطة المدنية فيه . »

ومن بيروت كتب القنصل يقول :

« لا حماس في سوريا لاستعدادات الحرب ضد بريطانيا وحلفائها ،

بل هناك تذمر عام نتيجة المصادرات العسكرية بالجملة والتوقعات العامة هي أن الحملة على مصر سيكون نصيبها الفشل يعقبه احتلال الجيوش الانجليزية والمصرية لسوريا وفي هذه الحالة أكد لي مراراً أن نتيجة هذا الاحتلال الانجليزي - المصري ستكون الترحيب من أغلبية السكان فالمسلمون في سوريا ولو أنهم في الوقت الحاضر يظهرون الميل نحو جانب المانيا نتيجة دعاية قوية من السلطات المحلية إلا أنني اعتقد انهم في دخيلة أنفسهم يميلون لجانب بريطانيا ولو انهم يحزنون لتأييدها لفرنسا لترقبهم الشر من نواياها نحو سوريا. أما في لبنان ولو أن بعض الدروز أثرت فيهم الدعاية الالمانية فالحركة نحو مصر ستحي الآمال في احتلال الحلفاء ويحتمل استعداد المسيحيين للتعاون. أما الدروز فسيفكرون مرتين قبل معارضة القوات البريطانية والمصرية ولكنهم يشاركون المسلمين في سوريا توقع الشر من فرنسا.

ومن دمشق أعطى القنصل هذه الصورة « الشعور هنا دائماً ضد الروس، وتعزى كراهية فرنسا إلى معاملتها المزعومة للجزائر ولأسباب محلية غير مهمة ويحمل الموظفون المحليون كراهية مصطنعة ضد بريطانيا، ولا يجرؤ أصدقاؤنا على زيارتي أو زيارة القناصل الآخرين لوجود الجواسيس والقانون العسكري. ويقول الناس هنا أن سوريا ستعلنها ثورة إذا ما نزلت قوة أجنبية وآخر مسمار دقه الأتراك في نعشهم هو المصادرات وما يتبعها من طرق وحشية. كثير من المسيحيين وأقلية المسلمين الساخطين ليس لهم زعيم وليس لهم أمل في ظهوره والاتراك من جانبهم أملهم ضعيف في الاعتماد على العرب أو الدروز. »

ويقدم القنصل في حلب تقريره كما يلي: السكان بوجه عام في هذه المنطقة لا يشعرون بأي شيء غير ما يتعلق بجمع المال والمكايد. وكل المسيحيين شعورهم مع انجلترا وفرنسا ويميل المسلمون نحو انجلترا والجميع

يرحبون باحتلال سريع من جانب بريطانيا أو حتى من فرنسا لأنه في هذا الضمان للرخاء المادي والخلاص من المصادرات ومع ذلك فالناس ضعفاء في التفكير المنطقي السليم وسريعوا التصديق وأثير المسلمون بأكاذيب وتضليلات الالمان والاتراك بطرق شتى حتى ان جماهيرهم اعتقدوا في أن امبراطور المانيا اعتنق الاسلام والالمان يضرمون حرباً إسلامية ضد روسيا . ونتيجة لذلك سيرضون عن نجاح محاولة غزو مصر ولو انهم يشمئزون من سوء الحكم التركي خاصة بعد المصادرات العسكرية التي زادت من حنقهم العنصري ضد الأتراك وسيبتهجون لاندحارهم وتحطيمهم النهائي .

وبعث قنصل حلب ببرقية أخرى في نفس اليوم ١٤ اكتوبر ١٩١٤ يصف فريقاً من رجال الدين يبلغ عددهم نحو ٦٠٠ أتوا إلى حلب في دفعات متلاحقة طوال اسبوعين وكانت منابر المساجد مجالهم في الدعاية ضد انجلترا وغادرت حلب مجموعات منهم في طريقهم لحماة وحمص وبعلبك ودمشق . ويستمرون في رحلتهم جنوباً لسكة حديد الحجاز ويتسللون لمصر لإثارة المسلمين هناك . ويبدو أن كبار المشايخ في حلب انحازوا لجانب المانيا .

برقيات بخصوص طالب النقيب من البصرة

(٢١٤٠) ويبدو أن سيد طالب من البصرة قد اتصل بالدوائر البريطانية ليستفهم عن نواياهم واقترح السفير في استانبول إصدار بيان للعرب بعث به للخارجية وردت الخارجية في ١٠ اكتوبر ١٩١٤ توافق عليه مع بعض التعديلات ، وملخصه أن بريطانيا كانت دائماً تسعى وتأمل مستقبلاً بأن يكون العرب جزءاً هاماً من الامبراطورية التركية

تحت حكومة مركزية رشيدة متسامحة أما إذا أقحمت حكومة الباب العالي نفسها في حرب ضد حكومة جلالة الملك فسيكون واضحاً أن الترك لا يراعون مصالح سكان الامبراطورية العثمانية بما فيهم العرب وسيكون مفهوماً في هذه الحالة حكومة جلالة الملك تكون عملياتها العسكرية موجهة نحو الترك وليست ضد العرب . وفي الختام تقول الخارجية للسفير أن رسالة طالب ستحوّل إلى لورد كتشنر.

وفي يوم ٢١ اكتوبر ١٩١٤ بعث السفير في استانبول ببرقية وافته من القنصل في البصرة تقول بأن طالب صديق حميم لشيخ المحمرة وشيخ الكويت . ولا يظن أنه صديق حميم لابن سعود . وقد بعث القنصل برسالة السفير لطالب ولكنه لم يتمكن من معرفة خطته . وقد قال شيخ المحمرة للقنصل هناك في حالة هجوم البريطانيين على البصرة يستطيع إثارة اضطرابات أو إغراء الجنود العرب في الجيش التركي بالفرار وهذه الأخيرة سهلة ويعتقد القنصل أنه يريد تأكيدات عن مركزه فيما بعد . وفي يوم ٢٥ اكتوبر ١٩١٤ أبرق نائب الملك في الهند لوزير الهند فحوى برقية تسلمها قنصل المحمرة : أرسل رئيس الوزراء وأنور باشا برقية للسيد طالب يدعوانه فيها لاستانبول في الحال وقد حاول الشيخ الذي عرضت عليه البرقية اثناءه عن قبول هذه الدعوة ولكنه أعلن نيته في السفر على ظهر السفينة البستان « خلال ثلاثة أو أربعة أيام اللهم إلا إذا وصل إلى اتفاق معنا » .

ويقول نائب الملك بأن حجز السيد طالب من السفر لعاصمة تركيا أمر بالغ الأهمية في الوقت الحاضر ولذلك أعطى تفويضاً للمقيم البريطاني في الخليج للدخول في مفاوضات فوراً معه على أسس التأكيدات التي وافق عليها الوزير وقد صدرت التعليمات من نائب الملك أيضاً لقنصل المحمرة بتكرار أية تقارير عن تحركات الجنود أو وضع الألغام لوزير الهند .

وستروى بقية قصة السيد طالب في حينها .

(٢١٤٠) وفي ١٥ اكتوبر ١٩١٤ يتضح لنا أن تركيا بدأت احتياطاتها العسكرية في الشرق الأدنى ويبدو هذا من برقية بعث بهـا السفير في استانبول إلى الخارجية إلى القاهرة عن تحركات الجنود التركية في مدن سوريا وعن أعدادهم وعن بقية الجيش في استانبول .

تقارير عن موقف العرب ونشاط بعضهم لصالح بريطانيا

(٢١٤٠) وكلمـا توالت الأخبار عن الاستعدادات التركية وتجهيز حملاتهم نشطت الدعاية البريطانية بين صفوف العرب وتساؤل العرب عما تنويه بريطانيا . ففي يوم ١٧ اكتوبر ١٩١٤ نقل المستر شيتام من القاهرة للندن معلومات أدلى بهـا عربيان مسلمان من فلسطين تؤيد مـا لدى المخابرات عن التحركات التركية هناك . ولقد شاع بين البدو أن الهجوم على مصر أصبح حقيقـة واضحة . وقد جمع عبد الرحمن باشا يوسف مشايخ البدو وطلب منهم تأييد تركيا وأجابوا بالموافقـة . ولكنهم في دخيلة أنفسهم مواقفهم مضطربة لأنهم في الوقت نفسه يعتقدون في هجوم مضاد من مصر ، وقد وضحت السلطات البريطانية في مصر لهؤلاء أنها ليست في حرب مع تركيا وشرح لهم الموقف برمته ليعرفـة السوريون والبدو . وقد أبدى أحدهما وهو شيخ قبيلة استعداده لنقل هـذه النوايا وعلى هذا يرى شيتام أنه لا بد من محاربة الدعاية التي يبثهـا الالمان والاتراك بين العرب على أساس ديني ضد بريطانيا بدعاية مضادة بين حكام العرب أمثال ابن الرشيد والادريسي يوضح لهم فيهـا موقف بريطانيا ونواياها نحو العرب وعلم شيتام أن العرب يشعرون بأزمـة في تركيا ولذلك يودون معرفة نوايا بريطانيا . والشعور السائد في الجزيرة

العربية سيكون له أثره على مصر وسيكون الاتصال بزعماء العرب عن طريق عملاء في مصر وأي اتصال مماثل بابن سعود وإمام اليمن تقوم به حكومة الهند .

(٢١٤٠) واهتمت الخارجية اهتماماً بالغاً بالصورة التي نقلها مشايخ البدو من فلسطين مما دعا لأن تبرق في اليوم التالي لشيتام ما فحواه : يجب عليك أن تخبر هؤلاء المشايخ بأن انجلترا كانت دائماً مع العرب وستستمر في المستقبل للسير في هذا الطريق لأنها ليست في نزاع معهم . وحتى لو أجبرت المانيا تركيا على اعتداءات ضدنا تقود إلى حرب فإنها لا تعتبر العرب مشتركين في هذه الحرب اللهم إلا إذا تعاونوا بوضوح مع الحلف الالماني – التركي ولو أنه لنا ثقة تامة في أنهم لا يرتكبون عملاً كهذا ولو تحت الضغط ونحن ندرك الموقف المحرج للعرب الذي وضعهم فيه الالمان نتيجة تأثيرهم على استانبول . وثقتنا التامة في أنهم سيتفادون الكارثة التي يريدها الالمان للمسلمين بكل ما في وسعهم ويجب أن تمنحهم هدايا وربما يكون من المستحسن اتصال بعض زعماء بدو مصر بهم أمثال للوم بك وغيره وإبعاث رسالة للبدو الذين سلحتهم تركيا للانضمام إليهم .

(٢١٤٠) واستمراراً لتحسس الأحوال في المناطق العربية بعث السفير في استانبول ببرقية تحوي معلومات وصلته من القنصل في حلب تقول الرسالة بأن عرباً جاءوا من الرقة يروون أن القبائل الشمالية قريباً وشرقاً من الرقة جاءتهم تعليمات من جنوب الجزيرة العربية بأن يرسلوا بكل أسلحتهم إلى جانب الفرات الموالي لحلب وأن ابن الرشيد عين قائداً على نجد وطلبت الحكومة العثمانية منه إمدادها بالجنود ولكنه بعث بكل رجاله الصالحين للخدمة العسكرية إلى الصحراء وعندما حضر

الضباط الاتراك لتفتيش الخيل والرجال لم يجدوا عنده إلا الرجال الكبار والاولاد الصغار .

(٢١٤٠) وهناك عدد من قادة الفكر العرب يتزعمون حركة القومية العربية يقيمون في القاهرة فلا بد والحالة هذه أن يتساءلوا عن موقف بريطانيا فيما إذا أعلنت تركيا الحرب . وقد أبرق شيتام لندن في يوم ٢٦ اكتوبر ١٩١٤ أنه أخبرهم بسياسة بريطانيا في هذا الصدد بموجب التعليمات التي وصلته من الخارجية . وأضاف شيتام بأن هؤلاء القادة بعثوا بمندوبين اختاروهم بأنفسهم إلى الجزيرة العربية وفلسطين لتنقل رسالة شفوية تحوي موقف بريطانيا هذا لزعماء العرب في تلك الأقاليم ووضعت تحت تصرف قادة الحركة مبالغ ضخمة وزيادة على ذلك بعث المشهورون من عرب مصر برسائل إلى أصدقائهم أصحاب النفوذ في الأقطار المذكورة من قبل يحثونهم فيها على بذل أقصى مجهود لإقناعهم بالتخلي عن الاتراك لمصلحتهم الخاصة . ويقول شيتام إن هؤلاء الزعماء في القاهرة لا يتوقعون من بريطانيا في الوقت الحاضر أكثر من موقف كريم نحو طموحهم للحكم الذاتي وتأكيدات للعون الأدبي عندما يحين الوقت لتنفيذ خططهم . ولكن بدون شك في حالة الحرب إذا طلب منهم أكثر من المقاومة السلبية يجب إمدادهم بالأسلحة والذخيرة مثلما أمد الطليان الادريسي أثناء الحرب الايطالية التركية .

وإلحاقاً ببرقيته السابقة بعث شيتام ببرقية أخرى يوم ١٨ اكتوبر يقول فيها إن زعماء القومية العربية في القاهرة بعثوا بمندوبيهم للجهات كما يلي : إلى بيروت ومنها إلى دمشق وحلب وحمص ومنطقة حوران وإلى الخليج ومنها إلى العراق وابن سعود وإلى جدة ومنها لمكة والحجاز عموماً وأيضاً لجنوب وشرق فلسطين وفي النية إرسال مبعوثين للإمام يحي والادريسي بعد مضي بعض الوقت ولكنه من الصعوبة العثور على الرجال

المناسبين لهذه المهمة . وقد أبحر الموكول إليهم المهمة للخليج في يوم ٢٦ اكتوبر على باخرة ايطالية من السويس إلى بمباي ومن هناك إلى الكويت. وعليه فيجب إخطار حكومة الهند بذلك وهما محي الدين الخطيب وعبد العزيز المالكي رجاء تسهيل السلطات في بمباي لمهمتهم . وفي الكويت يتصلان بالمقيم البريطاني ويعملان سوياً معه .

رد الشريف حسين على خطاب كتشنر

(٢١٣٩) تركنا القاهرة في أول اتصال مكتوب بالشريف حسين حيث بعثوا برسول يحمل كتاباً للأمير عبدالله ، وفي آخر اكتوبر وصل الرسول برد من الشريف عبدالله حيث أبرق شيتام فحواه للندن في يوم ٣١ اكتوبر ١٩١٤ ويقول شيتام إن الرسالة حذرة ولكنها ودية ومشجعة فهو يرغب في علاقة قوية مع بريطانيا ولكنه يتوقع وينتظر وعداً كتابياً منها بعدم التدخل في شؤون جزيرة العرب الداخلية وحماية الأمير من اعتداءات خارجية أجنبية وعثمانية . والشريف نفسه في محادثة سرية مع الرسول عبر عن نفسه بحرية ووضوح قائلاً « مدوا إلينا يد المساعدة ونحن من جانبنا لا نعين بتاتاً هؤلاء المعتدين » وقد قوبل الرسول بترحاب وعومل معاملة كريمة . ومن الملاحظة أن الشريف عبدالله كرر دون زيادة ما أبداه من اقتراحات لدار المعتمد البريطاني في القاهرة في ٨ يناير الماضي .

وسيقوم شيتام بتحضير الرد بعد موافقة الخارجية على شرط الشريف بما يؤكد له الامتناع من التدخل وضمان استقلال أراضي الشريف من الاعتداء الخارجي فقط ويطلب شيتام في الختام التعليمات حيث أن الرسول سيغادر صباح الاثنين وإلا سيضيّع اسبوع كامل . ويبدو أن هذه البرقية أعطيت اهتماماً خاصاً حيث وزعت صورها للملك ووزير

الخارجية ورئيس الوزراء ولورد كتشنر وزير البحرية .

ويتضح اهتمامهم بهذا الأمر من السرعة التي بعثوا الرد بها . فقد تسلمت الخارجية البرقية في الساعة الثانية إلا ربعاً بعد الظهر وأبرقوا شيتام في نفس اليوم الساعة السادسة وخمسة وثلاثين دقيقة . وكان الرد موجهاً من كتشنر وزير الحربية آنذاك لشيتام . يحيي كتشنر الشريف عبدالله ويقول له : لقد اشترت المانيا حكومة تركيا بالذهب بالرغم من أن انجلترا وفرنسا وروسيا تعهدوا جميعهم بوحدة الامبراطورية العثمانية إذا ما وقفت تركيا على الحياد في هذه الحرب . ولكن الحكومة التركية تحت الضغط الالماني وضد إرادة السلطان قامت باعتداءات حربية بانتهاك حرمة الحدود المصرية بعصابات مسلحة ووراءهم جنود أتراك يتجمعون في العقبة لغزو مصر . فإذا ما مدت الأمة العربية يد المساعدة لانجلترا في هذه الحرب التي أقحمت علينا من تركيا فإن انجلترا تضمن عدم التدخل في شؤون جزيرة العرب الداخلية وتساعد ضد الاعتداءات الأجنبية الخارجية ومن المحتمل أن يتربع على كرسي الخلافة رجل أصيل في نسبه في مكة أو المدينة فقد يحدث بمعونة الله ما يعود بالنفع مما يحدث من مكاره » .

الاتصالات بابن السعود

(٢٤٧٩) وصلت المكاتبات إلى ابن السعود عن مهمة شكسبير وعن ضرورة مقابلته له والاجتماع به . وعليه فقد كتب ابن السعود يرد على المقيم البريطاني في بوشهر على الخليج . ومن ترجمة الخطاب تظهر لنا عبارات الود والمجاملات والسرور بتسلم هذه الرسالة . ولكنه يقول بأن عبدالله بن جلوى حاكم الاحساء يستطيع مقابلة شكسبير لينقل

إليه آراءه ونواياه . ويطلب من المقيم إمداده بالأخبار . ويظهر جلياً أنه لا يرغب مقابلة شكسبير شخصياً .

وفي نفس اليوم (٢٤ اكتوبر ١٩١٤) كتب لشكسبير لينبئه بخطاب الكولونيل نوكس (Knox) المقيم السياسي على الخليج عن توقع وصوله حوالى تاريخ محدد . فهو مدين لنوكس بهذا الخبر . وفي الوقت نفسه يحيله إلى أخيه عبدالله بن جلوى أمير الاحساء لأنه يعرف خططه ويرجو أن تكون اتصالاته مع بن جلوى مستمرة .

وعندما تسلم بن جلوى تعليمات بن سعود كتب في يوم ٤ نوفمبر ١٩١٤ خطاباً وجهه لشكسبير يقول له فيه إنه تسلم خطاباً من الإمام (ابن السعود) موجهاً له (شكسبير) يرجو أن يقرأه بإمعان . وهو ينتظر تسلم الرد بواحد من طريقي الاتصال . هل يجرى هذا الاتصال عن طريق المكاتبات بينما يقيم شكسبير في البحرين أم أنه لا مفر من المقابلة. فإن كانت الأخيرة فإن الأمير عبدالله بن جلوى يرجو منحه فرصة أيام لتدبير الجمال

وتبع هذا الخطاب القصير من بن جلوى لشكسبير تحشية طويلة شرح فيها ما وصله من الإمام عبد العزيز من شرح لموقفه بكل أمانة وصدق . روى بن جلوى اتصالات الأمير عبد العزيز الأولى مع البريطانيين في الخليج وانتهت هذه بأنهم لا يتدخلون في أمر بينه وبين الاتراك حسب تعليمات تسلمها مندوبون من حكومة جلالة الملك من لندن ولابن سعود أن يدبر أمره بنفسه مع الأتراك وبعدها حضر طالب وبرفقته وفد تم اتفاق رسمي بين الأمير والاتراك أزال سوء التفاهم وأعاد السلام في حينه . والآن كما تعلم بريطانيا فإننا لسنا بأصدقاء ولسنا أعداء للأتراك إلى الأبد . والآن وقد وصلت (شكسبير) في

الوقت الذي يظهر فيه الاتراك لنا كراهية وعداوة وأمرونا في هـــذه الأيام بجمع قواتنا لتعسكر بين الكويت والزبين . وصدرت الأوامر لابن الرشيد بعد أن أمدوه بالسلاح والمؤن ومساعدات أخرى لتزحف إلى سوريا كما لا يخفى عليكم . ونشكر الله انه ضعيف لا يستطيع عمل أي شيء ولكراهيتهم لنا وحبهم لعدونا يودون إحيـــاء الموتى . وعليه فقد أعلنا الحرب على ابن الرشيد لسببين أولهما لنحول بينه وبين مساعدتهم ، وثانيهما ليكون لنا عذر في مساعدتهم والانصياع لأوامرهم .

وظلت رسلهم تتوافد عليّ للصلح بيني وبين ابن الرشيد ومساعدتهم. وظللت أبدي المعاذير . وعليه فقد غادرت الرياض إلى منطقة القصيم لتدبير الأمر وتكملة للأعذار . وعندما علمت من القنصل في الخليـج أنك قادم رأيت أن أقترح عليك أحد أمرين لتختار واحدهما. ولكن الأفضل في نظري هو أن تجهز شفرة عربية وترسل إلي مفتاحها لتكون المخاطبات بيننا بهـــا عن طريق أخينا عبدالله بن جلوى في الأحساء بينما تظل أنت مقيماً في البحرين . وذلك إتقاء للقيل والقال حذرين إلى حين وصولنا إلى نتيجة فهذه أفضل طريقـة بالنسبة لنـا ولصالحنا . أما إذا رأيت أن لا بد من المقابلة فابن جلوى يقوم بهذه المهمة ولكن يجب أن يكون ميعاد سفرك سراً ولا يستطيع أحد أن يعرف اتجاهك وتلبس الملابس العربية وإذا ما وافقت على ما اقترحته لك من تحضير الشفرة فسيكون الاتصال بيننا مستمراً بواسطة عبدالله . وتوقيع هـذه التحشية من عبدالله بن جلوى .

فالحذر واضح والسرية أمر له خطره عند الأمير عبد العزيز في هذا وقد لمح إلى أن بريطانيا لم تكن على استعداد لتأييده عندما لم يكن احتمال للحرب ومع ذلك فقد شرح لهم بصدق وإخلاص كما قدمت . كيف تخلص من عمل إيجابي لصالح الاتراك بخلق المعـاذير . وأشار إلى الاتفاق مع الاتراك بواسطة السيد طالب .

وتسلم شكسبير هذه الخطابات وكتب رده في يوم ٨ نوفمبر ١٩١٤ . يقول بأنه وصل البحرين وتلقى بمزيد السرور والغبطة خطاب الأمير وكذلك خطاب الصديق بن جلوى وفهم ما تضمنه ويقول أيضاً بأن الأمير قد وصلته خطابات من المقيم في بوشهر وفهم مضمونها حيث وضحت له الأحوال . فالمقابلة الشخصية ضرورية بالنسبة لشكسبير خاصة وأنه ليس لديه شفرة عربية وليس باستطاعته عملها الآن وقد عدل شكسبير خططه بأن رأى مغادرة البحرين ومنها للكويت ليكون قريباً من الاتصال المباشر . فالاتصالات من البحرين عن طريق بن جلوى فيها الكثير من التأخير . وعليه فهو يرى أن يرد الأمير عليه في الكويت بالوقت والمكان الذي يود المقابلة فيه . ورداً على إشارة الأمير بأن يلبس الملابس العربية يقول شكسبير بأنه يستحيل عليه ذلك لأنه ممثل رسمي لحكومة بريطانيا ولا يجدر به أن يتخفى . وختم الرسالة بالسلام على والده وعموم الاخوان.

وفي اليوم التالي ٩ نوفمبر ١٩١٤ كتب شكسبير خطاباً للمقيم البريطاني في الخليج مرفقاً معه ترجمة الخطابات التي وصلته من ابن سعود ومن أميره في الاحساء ثم رده عليه . وحكى قصة إبحاره من بريطانيا ووصوله للبحرين وخططه للسفر إلى الكويت والاتصال من هناك بابن سعود لعله يقابله شخصياً في مكان ما في الصحراء حسبما وضحه له في خطابه . وفي انتظار الرد من ابن سعود وترقب أخبار أخرى لا يستطيع في الوقت الحاضر أن يتحسس موقف حاكم نجد . فخطابه ودي ومما يعرفه شكسبير عن الرجل هو انحيازه لبريطانيا . ومع ذلك فإنه شكسبير لا يرى أن يُرسل إليه خطاب الضمانات ليحمله بنفسه له « فنحن نتذكر بأن عروض ابن سعود علينا من قبل تسلمناها ببرود ولم يكن ردنا عليها مرضياً له . والآن قد أشعلت الحرب بين حكومة جلالة الملك والاتراك نقدم له كل ما طلبه وندعوه للتعاون معنا عسكرياً ، فهذا التغيير

المفاجىء في الموقف من جانبنا ربما تكون نتيجته قوله « دخل بريطانيا الآن الحرب ضد تركيا ووجدوا أنفسهم أمام موقف لا يستطيعون مواجهته بمفردهم ولذلك طلبوا معونة ابن سعود ، فعبد العزيز كغيره من عرب الصحراء يبالغون في قوتهم . فهناك خوف تحت هـذا التأثير من أن يستغلوا هذا المستند المكتوب للحصول على المزيد من الامتيازات من الاتراك قبل أن ينحاز بطريق واضح إليهم . أو أن يواجهنـا بمطالب أخرى علاوة على مـــا طلبه من قبل مشابهة مثلاً لمطالب سيد طالب زعيم البصرة إذ أرى أن من مصلحته في الانحياز إلى جانبنا . فخطابه المشار إليه على أنه تحشية يدل على موقفه في الحياد بميل بسيط نحونا ». وختم شكسبير رسالته للمقيم بأنه سيغادر البحرين للكويت بأسرع مـا يكون وعندما يعلم المكان الذي حدده عبد العزيز للمقابلة يسافر للاتصال به ويحاول الحصول على تعاونه .

وفي يوم ١٣ نوفمبر بعث المقيم في الخليج بكل هـذه الرسائل للندن معلناً وصول شكسبير في بو شهر ومبارحته لهـــا للكويت . وتسلمت الخارجية في لندن كل هذه المعلومات في ١٥ يناير ١٩١٥ .

وفي يوم ٢٠ نوفمبر ١٩١٤ كتب للمقيم في بو شهر من الكويت . فمن بو شهر سافر لشط العرب ليبحث الأمر مع سير برسي كوكس (Percy Cox) آخر تطورات الموقف عن ابن سعود والأسس التي يتطلب تعاونه عليها . وبالمناسبة فقد علم من مناورات سيد طالب وبما أنه هرب للكويت فمن المستحسن أن يبقى هنـــاك . وصل الكويت في ١٨ نوفمبر وعلم من اللفتننانت ـ كولونيل جراي (Grey) أن سيد طالب غـــادر الكويت يرافقه خمسون من أتباعة يوم ١٦ الحالي قاصداً نجد لمقابلة ابن سعود كما يبدو في الظاهر . ولكن من محادثة مع السير شيخ مبارك الصباح بحضور المندوب السياسي البريطاني ومن معلومات محلية من مصادر أخرى فالموقف

بالنسبة للسيد طالب كما يبدو هو كما يلي : أمره الأتراك بالسفر لنجد للحصول على تعاون ابن سعود . وخوفاً على مركزه في البصرة في حالة احتلال البريطانيين لها حاول الحصول على شروط من حكومة جلالة الملك ويبدو أن أخبار مفاوضاته في هذا الصدد علم بها الموظفون الاتراك في البصرة وأدرك سيد طالب مغبة ذلك والأثر المباشر عليه وعلى عائلته إن هو بقي في البصرة . وعليه خوفاً على حياته تحول إلى الكويت حيث قدم عروضه مرة أخرى للمندوب البريطاني . وفي ١٤ نوفمبر كتب سير برسي كوكس بما يفيد بقاءه في الكويت كدليل على خضوعه وكرهينة لحسن سلوك أهله في البصرة . وعندما وصلته هذه التعليمات انزعج وحسب قول الشيخ مبارك الصباح سافر سرياً إلى جهره في طريقه الى بريده لمقابلة ابن سعود دون أن يودع الشيخ ولو أنه كان ضيفاً عليه في منزله .

وخوف السيد طالب من الاتراك صادق لا تكلف فيه بدون شك . فزيارته لابن سعود لذلك قد يكون لها أحد هذه الأهداف : ١) الالتجاء لابن السعود ، ٢) تنفيذ تعليمات الباب العالي الأصلية لحشد العرب ضد بريطانيا ، ٣) يستخدم وساطة ونفوذ ابن سعود للحصول على شروط من البريطانيين .

وعلى ذلك بعد استشارة المندوب البريطاني في الكويت يرى شكسبير أن يكتب لابن سعود يخطره بقدم طالب له قبل وصوله له. ومن المحتمل أن يكون الشيخ مبارك على علم بمغادرة طالب للكويت والجهة التي يقصدها ولو أنه نفى ذلك . ومهما كان من أمر فوجود طالب في قصره رهينة للبريطانيين يضعه في موقف حرج . فمغادرته الكويت من هذه الوجهة أزال عنه الحرج . وحق للبريطانيين يرى شكسبير أن هروبه هذا حرمه من أي وعود كانت تقدم له ، وأن احتجازه بالقوة سيؤدي

إلى إثارة شعور العرب ضد بريطانيا . ومن المؤكـد أن مقدرته للأذى والازعاج في الصحراء ومع ابن سعود أقل بكثير مما لو ظـل مقيماً في الكويت .

وفي الوقت نفسه نظراً للنفوذ الكبير الذي تتمتع بـه عائلة النقيب في البصرة فالمسألة تتطلب اعتبارات خاصة . فقد يهمل أمر طالب . وتطلب معاونة والده السيد رجب النقيب . فهو طاعن في السن وله أملاك في بمباي والمعروف أنه لا يوافق على نشاط شبان العائلة . ويعتقد شكسبير أن السيد رجب سيرحب بالعروض التي قـدمت لطالب وفي الوقت نفسه يترك طالب لحال سبيله حتى يرجع لأبيه تائبـاً وعندها سيعامل حسب ما تقتضيه الظروف . فالاعتراف بمكانة سيد رجب نقيباً للبصرة سيكون له أثره على الأهالي ويساعد في التقدم نحو البصرة وما وراءها . أما فيما يختص بابن سعود فليس لشكسبير ما يضيفه الى آرائه السابقة سوى أن الشيخ مبارك يؤكد على أنه سيكون في جانب بريطانيا . ولا يستطيع طالب زحزحته عن موقفه مهما أوتي من البيان .

وفي خطابه لابن سعود في نفس اليوم (٢٠ نوفمبر ١٩١٤) يقول شكسبير أنه في الكويت ما زال في انتظار رده لتحديد ميعاد ومكان الاجتماع . وسمع في الكويت أن السيد طـالب هرب من الاتراك في البصرة ، وبعد إقامته بعض الوقت في الكويت هرب إليك . وقـد أخبرني الصديق العزيز الشيخ مبارك عن حيله وأذيته وانني بدوري انتهز هذه الفرصة لأخبرك عما قام به من أشياء غريبة وسعادتك تعرف أكثر مني أي نوع من الرجال هو ، فعليك التمسك بجانب الحذر في محادثاتك معه فهو قدّم مطالب لحكومة بريطانيا وحصل على وعود شريطـة مساعدته وبذل جهوده لحفظ السلام والنظام . ولكنه لم يقبل هـذه الشروط إما لطمعه أو رغبته في الازعاج والأذى والله أعلم بما يضمر .

وبريطانيا لذلك لا تود ولا تتوقع مساعدة منه . ولكن نظراً لأنه من أكبر رجالات البصرة ونظراً لصداقات بريطانيا مع والده المحترم فإننا على استعداد للاعتراف بمكانته بين الجماهير شريطة أن يجتهد بإخلاص معنا في إشاعة السلام وحفظ الأمن بين الأهالي . وختم شكسبير رسالته بما افتتحه بها وهي ترقب مكان الاجتماع . وأخيراً يسلم على والده العزيز وإخوانه .

قصة السيد طالب النقيب مع البريطانيين

(٢٤٧٩) استطردنا في مهمة الكابتن شكسبير ومحاولة اتصالاته مع عبد العزيز بن سعود حاكم نجد وما دار بينهما من مكاتبات حتى شمل خطابه الأخير قصة مغادرة السيد طالب للكويت متجهاً نحوه في نجد وتخوف البريطانيين من هذه المقابلة . أما قصته كاملة فيرويها اللفتينانت – كولونيل جراي المندوب البريطاني في الكويت في خطاب بعث به للسير برسي كوكس في يوم ١٦ نوفمبر ١٩١٤ وبعث بنسخة من هذا التقرير إلى حكومة الهند ولكن ما الذي أثار جراي ليقدم هذا التقرير المطول للمقيم في بو شهر .

عند وصول السيد طالب الى الكويت واتصاله بجراي بعث الأخير برسالة عن طريق الباخرة البريطانية أوشن (Ocean) لسير برسي كوكس في المحمرة :

« سيد طالب بعد أن أمره الاتراك بالسفر لابن سعود حضر هنا ووضع نفسه تحت تصرفي وهو يريدك أن تعلم بأن البرقية التي بعث بها لزيارية أرسلت تحت ضغط ولم يشأ الاتصال بك خوفاً من أن ينتقم

الاتراك من أقاربه وممتلكاته في البصرة. وهو الآن في انتظار أوامرك.
وبعد يومين من هذه الرسالة في يوم ١٤ نوفمبر ١٩١٤ بعث كوكس برده قائلاً: « رفض طالب عرضنا الودي عندما قدم له وكان مفتوحاً ليتقبله ولا أستطيع أن أعرض عليه أي شروط الآن. وعليه أن يضع نفسه بدون تحفظات تحت تصرفك أولاً كدليل لخضوعه وثانياً كرهينة لحسن سلوك عائلته وسيظل مقيماً معك الآن. وأما إذا لم يكن هناك ضمانات لبقائه فسترسل سفينة لاستلامه ». ويتضح لنا من الرسالتين أن السيد طالب له ما يبرر تخوفه من وقوعه بين قوتين متصارعتين وفي حالة الحرب لا على نفسه فقط بل على عائلته وهي من كرام العائلات أصحاب النفوذ والاحترام في البصرة. وأوامر كوكس واضحة أيضاً لإذلاله واعتقاله في آخر الأمر. والمندوب البريطاني في الكويت لا بد له من عرض مطوّل للمسألة لأنه أهمل نوعاً ما وترك السيد طالب يغادر الكويت لنجد.

وبعد وصف جراي الطريقة التي حضر بها طالب ومعه سكرتيره الى الكويت ونزوله في ضيافة الشيخ مبارك الصباح ومقابلته له روى القصة كما ذكرها السيد طالب كما يلي: وضح أن حكومة الترك بعد فشلهم في إقناعه في السفر الى استانبول أمروه بأن يزور ابن سعود ويحاول إغراءه بالثورة على الحكومة البريطانية وأنه في قرارة نفسه لا يود القيام بهذه المهمة وأنه يرغب الآن أن يضع نفسه تحت تصرفي بدون تحفظات. وزاد بأن برقيته لرجاله في زيارية على نهر البصرة يأمرهم فيها بمقاومة تقدم القوة البريطانية كانت تحت ضغط الموظفين في البصرة وأن هذه البرقية وصلتهم بعد أن سمحوا لهذه القوة بالمرور دون ازعاج. وزاد بأنه تردد في الانضمام إليك في المحمرة لأن الاتراك في البصرة بدون شك سوف يعلمون بذلك ويكون انتقامهم قتل أطفاله وتحطيم ممتلكاته في المدينة وضواحيها.

ورد جراي عليه بقوله : لا أصدق أن يذهب الاتراك لمدى قتل أقاربه حتى عند عصيانه لأوامرهم . وبعد المناقشة تقرر أن يرسل جراي للمقيم رسالة تحمل فحوى المحادثة في انتظار التعليمات وعليه فقد بعثت الرسالة السالفة الذكر عن طريق الباخرة أوشن . وفي اليوم التالي زار جراي الشيخ مبارك ووافق الأخير على هذا الإجراء ووعد بأن يقدم أي مساعدة في هذا الأمر . وفي يوم ١٤ نوفمبر حضر السيد طالب لمقابلة جراي وسأله عن الرد وعندما أجابه بأنه لم يصل اتخذ السيد طالب خطأ آخر حسب قول جراي وكان الأخير على استعداد لهذا التغيير في الموقف . فقد أفاد السيد طالب بأن البريطانيين سيلاقون صعوبة في احتلال البصرة دون مساعدته وأنه سمع من الشيخ خزعل أن وعوداً قدمت له نظير مساعدته وأنه (طالب) لم يقرأ الخطاب أو يقابل القنصل في المحمرة وأن الشروط والعروض التي قدمت في نظره غير مرضية لقاء تعاونه . ولم يذكر السيد طالب أنه رفض هذه الشروط رفضاً نهائياً وأنه الى الآن لم يجد فرصة ليرد رسمياً .

ويقول جراي لطالب إن هذه الشروط في نظره على الأقل حسنة حسبما يحق له توقعها وأنه (جراي) ليست له الصلاحية لمناقشتها وقدم النصح لطالب الخضوع للترتيبات التي ستتخذ لصالحه وبالتأكيد ستكون عادلة ومنصفة . وعندما علم طالب أن جراي لا يود الدخول في مناقشة شروط وبذل الوعود غير استخدام نفوذه الشخصي لشرح موقفه الحرج انتهت المحادثة . وعندما وصل الرد ونقل فحواه للسيد طالب أبدى دهشة واستغراباً لعبارة أنه رفض العرض الودي الذي قدم له من قبل .

ففي نفس اليوم الذي انتهت فيه هذه المقابلة بعدم الوصول الى حل وكانت فكرة جراي هي تنفيذ التعليمات بحجز السيد طالب علم بسفر السيد طالب ومرافقيه بدون علم الشيخ مبارك في طريقهم إلى جهرة

ومنها إلى بريدة محل إقامـة ابن سعود آنذاك . ويستنتج جراي من ذلك هدف السيد طالب بمجيئه الكويت . وهو محـاولة الحصول على شروط أفضل مما رفضها عن طريق أخرى .

وأخيراً يدافع جراي عن موقفه بالنقاط الآتية : أولاً - دخـل طالب مدينة الكويت بموافقتي وعليه فلا يمكنني حجزه ضد إرادتـه بدون ارتكابي لنقض العهد ، ولنفس الأسباب لا يستطيع الشيخ مبارك أن يفعل أكثر مما يحثه بشدة للخضوع لرغباتك .

ثانياً - أتى إلى هنـا بمحض إرادته بدون ضرورة أو إغراء وإذا كان هدفه الأساسي هو خلق جو من البلبلة مع ابن السعود فليس هناك سبب لأن يمر بالكويت أولاً .

ثالثاً - وإذا افترضنا أن هدفـه هو خلق جو الاضطراب مع ابن السعود نيابة عن تركيا فهو يدرك عامل الزمن وأهميته في مثل هـــذه الأحوال . فقد أضاع بزيارته هذه خمسة أيام على الأقل .

رابعاً - كان سببه الظـاهري من تنفيذ تعليمات الاتراك بالسفر لابن السعود هو قلقه على سلامة أطفـــاله وممتلكاته . وقد تأكد لي من كل شخص بحثت معه في هذه المسألة أنه أذا ما اكتشف الترك أنه خائن بلا شك فسوف يرتكبون الأفعال التي كانت موضوع تخوفه .

خامساً - لقد أصبح حقيقة واضحة أن زيارته لابن السعود على أية حال لا يكون لها أثر لأن الأخير أجاب الأمير برفضه البات لبرقية وزير الحربية التركي التي تحثه لنبذ خلافاته مع ابن الرشيد والعمل معه لمساعدة الاتراك ضد بريطانيا .

سادساً - وهناك احتمال ضئيل بأن السيد طالب علم بآراء ابن السعود

في أن تكون بلاد العرب للعرب ويخامره بعض الأمل الحصول منه على مساعدة تتعلق بجهوده للحصول منا على شروط أفضل نسبة للصداقـــة الشخصية القائمـة بينهما . ويبد أنه يهدف إلى مركز في البصرة مشابه لذلك الذي يتمتع به الشيخ مبارك في الكويت ولا حاجـة لأن أقول أنه غير جدير به .

ويقول جراي ان السير مبارك لاحظ أن السيد طالب قفلت كل الأبواب أمامه . ويلاحظ جراي أن الشيخ مبارك حمد الله على ذهابه . ورأيه (الشيخ مبارك) الخاص أن الاتراك استدعوه لاستانبول ليقتـــل والآن طردوه من البصرة .

كل هذه المكاتبات عن السيد طالب تدور ما بين المقيمين السياسيين البريطانيين في الخليج وتنقل إلى حكومة الهند في دلهي . ففي ٣٠ نوفمبر ١٩١٤ ينقل نائب الملك في دلهي إلى وزارة الهند في لندن بصورة إلى إلى المعتمد البريطاني في القاهرة برقياً ملخصاً لمـــا جرى ولجوء السيد طالب أخيراً لابن السعود . وكانت صورة هـــذه البرقية أمام الموظف المختص بوزارة الخارجية في يوم ٢ ديسمبر ١٩١٤ وعلق عليهـا قبل أن تقدم لرؤسائه حتى تصل للوزير وللورد كتشنر بما يلي : « أسفت لسماعي هذا . سيد طالب وضيع بالتأكيد ولكنه خطر بالغ الخطورة وله تأثير محلي كبير في البصرة وما جاورها . وسيكون ضدنا الآن . وإذا لم يحالفنا الحظ بقتله بسرعة فإنه سيصيبنا ضرر بالغ منه . وقـد تسلمت هذا في الوقت الذي وصلتني فيه أوراق الهند المطبوعـة والتي لم أكن أنوي إرسالها . أرجو أن تقرأ نمره ٣ في المجموعـــة (٧٧٧١٧) عن مكانة طالب » .

(٢٤٧٩) وصادف أن كان مستر ف. ي. كرو (Crow) القنصل

البريطاني في البصرة في إجازة آنذاك . فقد كتب مذكرة مطولة عما يعرفه عن السيد طالب في يوم ٣ يناير ١٩١٤ في وزارة الخارجية .

فماذا قال عنه ؟ « يبلغ السيد طالب بك من العمر ٤٠ عاماً وهو الابن الأصغر للسيد رجب بك نقيب البصرة . وقد استقرت العائلة في البصرة وبغداد منذ سبعة قرون وهي تنتمي إلى أصل عربي ولكنني لا أعرف أصلهم . ونقيب لقب اقطاعي يمنح لزعيم الطبقة العليا من ملاك الأراضي . وعلمت أن له مضمون ديني وهناك ابن عم لهذه العائلة يمثل منصب نقيب بغداد . يمكننا القول بأنهم أبرز وأهم عائلات البصر . والسيد رجب ذو ثراء يمتلك أراضي واسعة بالقرب من البصرة .والمعروف عن السيد رجب أنه لا يهتم ولا يتدخل في السياسة وهذا ما عرف عن أبنائه الآخرين وأحدهم سيد يوسف أو هاشم يمتلك العمارة التي تحتلها القنصلية الالمانية في البصرة .

أما السيد طالب بك ابن العائلة المدلل . فمنذ إعلان الدستور العثماني برز كبطل حركة إصلاح في العراق وتزعم الحركة المسماة بالتحرر العربي في البصرة ضد سياسة التتريك المتطرفة التي تفرضها لجنة الاتحاد والترقي التركية . وكان منزله نقطة التجمع للقائمين والساخطين من العرب على اجراءات لجنة الاتحاد والترقي . أما ما يتعلق بتاريخه فقد كان متصرفاً للاحساء في سنة ١٩٠٢ وجمع ما حصل عليه باستخدام نفوذه الرسمي وقد قدمت عدة شكاوى ضده من العرب الأثرياء الآخرين الذين كانوا ضحية هذا الابتزاز وعندما أعلن الدستور أصبح نائباً برلمانياً لمدينة البصرة وظل محتفظاً بكرسيه في كل الانتخابات التالية إلى أن استقال السنة الماضية لعداوته لطلعت بك وزير الداخلية . وتأثيره في المنطقة مكنه من إدارة الانتخابات البرلمانية كما يريد وكل نواب البصرة في الانتخابات الأخيرة وما سبقها كانوا من رجاله .

وقد كان مؤيداً قوياً لحزب الأحرار المعادي للجنة الاتحاد والترقي ، ولذلك لم تكن استانبول راضية عنه في السنين الأخيرة نظراً لآرائـــه المتطرفة في موضوع الاصلاحات العربية . وبذل مجهوداً كبيراً لإقناع الحكومة المركزية لتمنح العرب قدراً ما من الاستقلال الاداري في مصادمات عدة مع طلعت بك بخصوص تكوين المجلس القومي . ولذلك فاللجنـة التي تعتقد في الامتيازات يبدو أنها فكرت في الخلاص منه بهذه الوسيلة ولدي من الدلائل القوية ما يؤيد الخطة المدبرة لاغتيـاله في سنة ١٩١٣ ولكنه ذكي اتخذ من الإجراءات ما جعل الفكرة تقتل في مهدها وبدلاً من ذلك قتل فريد بك قائد الحامية التركية في البصرة والموكول إليه تنفيذ الفكرة . قتل فجأة قبل أن يؤدي رسالته .

وكان لسيد طالب بك أثره الملموس على كل الولاة الأتراك الذين توالوا على البصرة ثلاثة عشر مرة على مدى سنين . وقـد تبين للوالي الجديد سريعـــاً أنه لا يستطيع العمل بدونه حتى يصبح السيد طالب الحاكم الحقيقي للبصرة . وفوق ذلك فهـــو صديق حميم لشيخ المحمرة وشيخ الكويت . والأول كثيراً ما منحه مبلغاً من المال وأعانه برجاله ليقاوم بهم أعداءه لأنه دائماً يجد نفسه إزاء الصعوبات . وفي الوقت نفسه حاول الشيخان المذكوران أن ينصحاه بأن يكبح جماح طموحـه وينذراه بأن مسلكه يقوده إلى السقوط .

وفي السنين الأخيرة طالما طلب طالب عن طريقي مساعدة حكومة جلالة الملك لتحرر العرب وأعتقـد أن فكرته العامة هي تحويل البصرة إلى مقاطعة ذات حكم ذاتي على غرار نظام لبنان يكون هو على رأسها . وكانت حكومة جلالة الملك تثنيه عن هذا الاتجاه وعملاً بتعليمات السفارة كان ردي دائماً على تساؤله المتكرر للمساعدة والتدخل في هذا الصدد هو أنني كموظف بريطاني لا أستطيع التدخل في الشؤون الداخلية لتركيا .

وأنا شخصياً كنت أشك في بعض الأحيان عما إذا كان له نفوذ بين العرب للدرجة التي يصورها . أما نفوذه بين أثرياء البصرة فمرده إلى الخوف أكثر منه إلى المحبة لأن له طريقته الخاصة لفرض إرادته .وعادة ما يصل إلى أغراضه لأن الحظ حليفه غالباً . وإذا لم ينجح في الحصول على مطالبه المالية ودياً لا يتردد في الالتجاء إلى وسيلة الإكراه ولا تعوقه في ذلك وخزات الضمير . ومن ناحية أخرى فإنه محبوب من جانب الفقراء من تابعيه حيث يتعامل معهم بصدر رحب ومعظم الناس يكتشفون عاجلاً أو آجلاً أنه من مصلحتهم أن ينحازوا لجانبه بدلاً من أن يكونوا ضده . وإنني لا أجد فيه إخلاصاً أكثر من أي عربي آخر وبالطبع فهو له ما يهدد به . ولكن الأحوال في المقاطعة التركية وخاصة في البصرة ليس لها مثيل بعد أن أخذت لجنة الأتراك (الاتحاد والترقي) بزمام الأمور لأن العرب دخلوا في تجربة قاسية من حكامهم الأتراك . ولا شك أنه اتخذ موقفاً صلباً لقضية العرب وبذل تضحيات في سبيل ذلك وتعرضت حياته باستمرار للخطر ولم يداخله خوف ما .

وكانت حجته لي أثناء المناقشة هي أن العرب بعون بريطانيا وحدها يستطيعون تحرير أنفسهم ويحتمل أن يقول مثل هذا للقنصل الروسي ولكن ليس لدي دليل على ذلك . وهو مشترك في الثارات والمؤامرات العائلية المتارفة بين العرب البارزين وقد حدث مؤخراً سوء تفاهم بينه وبين العجيمي زعيم قبيلة المونتفك سببه مقتل سعدون باشا والد عجيمي بيد الاتراك ، سنة ١٩١١ . ويبدو أن عجيمي يعتبره مسؤولاً عن الحادث واتهمه بأنه تعمد خداع والده لينفذ الأتراك خطتهم . غير أنه حسب ما حصت عليه من معلومات عند رجوعي للبصرة وكنت غائباً عنها وقت وقوع الحادث أن الاتهام لا أساس له . وعلى أية حال فمعظم الاضطرابات الخيرة في البصرة تعزى في الدرجة الأولى لصراع سيد طالب مع المنتفك .

ومن الصعوبة بمكان أن يلخص الإنسان مكونات شخصيته . فصبغته البارزة هي انه متقلب الأهواء . ومن المؤكـد أنه العامل المسيطر على سياسة البصرة أثناء توليتي منصبي لمدة ١٢ سنة وأنه أميز شخصية ممتعة قابلتها هناك فهو قلق لا يستقر له قرار مثـــل طائر بحري يبتعد عن اليابسة محلقاً في الجو لكنه داهية . وذكاؤه ليس موضع شك ويعرف متى وكيف ينتهز الفرص.وهو فوق مستوى زملائه ولكن عرب البصرة الذين يقطنون على ضفاف النهر هم حثالة آسيا وقد أكون بالغت في تقييم عقليته بالمقارنة . وله صفات الطبع العربي من عنف وتهيج ولكنه يبدو لي أنه يعمل بينما يتكلم الآخرون فقط . وقـد لبس الموظفين الاتراك خاتماً في يده وله شجاعة أدبية في بسط آرائه ومعتقداته . وبالطبع له صفـات عنصره وطبقته المعتادة بما فيها من سيئات . فهو كريم لغرض ولو انه لا يمتلك ثروة . فبوجه عام استطاع الحصول على المال بالطرق المشروعة وغير المشروعة ولكن دائماً بروح مرحة وملاطفة . ويشرب سيد طالب كثيراً ويحب النساء والكرت . وله عـــذره في ذلك فهو شاب ونشط بالنسبة لسنه وله طاقة فائقة .

وإنني مقتنع بأنه سيكون مصدر قوة في بعث وتطور العراق تحت ظروف سعيدة إذا ما وجهت طاقاته وجهتها الصحيحة ٠ وإني أجـــد نفسي في حالة إعجاب به كرجل طموح ركز أقدامه تحت ظروف قاسية ومقاومة عنيفة لسنين طويلة . غـير أنني لست على علم فيما إذا حدث تعديل في موقفه نحونا نتيجة للأحداث الأخيرة » .

نقلت هذا التقرير المطول عن السيد طالب النقيب ليبين لنـــا ما يكتبونه سرياً عن زعمائنا من تفاصيل ويتضح لنا أن المستر كرو يعتقد أن السيد طالب سيتعاون معهم إذا ما حسنت معاملته وهو قوة هائلة وطاقة ضخمة ولكن مما دار من مكاتبات بين المقيم في الخليج وشكسبير

وحكومة الهند وتعليق موظف وزارة الخارجية البريطانية أنهم أوصدوا الأبواب أمامه آنذاك .

تقرير عن الحالة في الحجاز

(٢١٤٠) بعد أن تابعنا تطور علاقات بريطانيا في الخليج والاتصالات مع الإمام عبد العزيز آل سعود في نجد وعن موقف السيد طالب النقيب لنرجع إلى الحالة في الحجاز كما بدت للقنصل البريطاني في جدة في يوم ١٢ سبتمبر ١٩١٤ في رسالة بعث بها للسفير البريطاني في استانبول ولكنها أرسلت ضمن مرفقات أخرى لتصل لندن يوم ٣ نوفمبر ١٩١٤ .

يتحدث القنصل عن تحركات فرق الجيش التركي بين مدن الحجاز وعن تجنيد السودانيين المقيمين في الحجاز في الجيش التركي وعدم رضاء الشريف حسين عن هذا التجنيد ويتحدث عن ارتفاع أسعار البضائع عند إعلان الحرب الأوربية وعن بعض أوامر رسمية بعدم تصدير العملة . وعلى وجه العموم فقد شكا التجار من هذه الإجراءات .

أما شعور العرب فقد أشار القنصل بأنهم مع الالمان نتيجة للانتصارات التي توالت أنباؤها عن طريق الدعاية الالمانية ويقول القنصل أنه بدأ ينشر بين الناس حسب تعليمات السفير الأخبار من الجانب الآخر ولكن محاولاته لطبعها ونشرها على مدى واسع باءت بالفشل لأن أصحاب المطابع امتنعوا إما لأنهم حقيقة موالين للالمان أو أنهم تخوفوا من السلطات المحلية

اتصالات بريطانيا مع العرب

كانت حكومة الهند بالغة الاهتمام بالأراضي المقدسة في الحجاز نظراً لوجود الملايين من المسلمين الهنود الذين يودون الحج ويريدون أن تبقى هذه الأراضي بعيدة عن سيطرة مسيحية . واحتياطاً لذلك قررت الحكومة البريطانية مع نائب الملك في الهند أن يصدر إعلان يطمئن الهنود المسلمين في الهند إذا ما نشبت الحرب بين بريطانيا والاتراك على سلامة مقدساتهم . ففي اليوم الذي أعلنت فيه تركيا الحرب (٢ نوفمبر ١٩١٤) نشر في الهند الإعلان التالي : « نظراً لنشوب الحرب بين بريطانيا العظمى وتركيا والذي تأسف له بريطانيا لأنه جاء نتيجة إصرار الحكومة العثمانية على إشعالها دون مبرر فإن سعادة نائب الملك بتفويض من حكومة صاحب الجلالة يعلن للجميع فيما يختص بالأماكن المقدسة في الجزيرة العربية بما فيها الأضرحة المقدسة في العراق وميناء جدة حتى لا يكون هناك مجال لسوء الفهم لدى أشد رعايا حكومة الملك إخلاصاً من المسلمين حول موقفها من حرب ليس لها صفة دينية مطلقاً . فهذه الأماكن المقدسة وجدة ستكون في أمان ضد هجوم أو تحرش بريطاني في البحر أو الأرض طالما ظل طريق الحج لمسلمي الهند مفتوحاً دون تدخل من جهة ما لهذه الأماكن المقدسة والأضرحة المذكورة . واستجابة لطلب حكومة جلالة الملك أعطت كل من حكومتي فرنسا وروسيا ضمانات مماثلة » . ولعلنا نتذكر التقرير الذي كتبه رسل في القاهرة بملخص المحادثة التي جرت بينه وبين عزيز علي المصري حيث وضح الأخير وجود حركة عربية قومية وطلبه لعون انجلترا للتحرر من تركيا . وكيف كان رد رسل وهو يملك الصلاحية الكاملة بالنيابة عن حكومة بريطانيا له . فهو رد جاف فيه تثبيط وعدم استعداد بريطانيا لعون هذه الحركة ،

بل أشير عليه بأن يقلل من نشاطه . كل ذلك لأن نوايا تركيا لم تتضح ولا زال الأمل يراود بعض المراقبين البريطانيين بأن تركيا رغماً عن استعداداتها ستقف موقف الحياد .

غير أن عزيزاً لم يفقد الأمل في بعث المسألة مرة أخرى وهو يعلم تمام العلم أن استعدادات تركيا لا بد وأن تنتهي بها إلى إعلان الحرب ضد بريطانيا وأن العرب فرصتهم مؤاتية في هذه الحالة للعون البريطاني للتحرر من ربقة الاستبداد التركي . ففي ٣٠ اكتوبر ١٩١٤ كتب اللفتينانت كولونيل كلايتون (Clayton) رئيس المخابرات في القاهرة تقريراً عن محادثته مع عزيز علي المصري قدمه لمستر شيتام المعتمد البريطاني بالإنابة : لي الشرف أن أنقل إليك لأنه قبل أيام أنبئت أن الكولونيل عزيز بك المصري يرغب في فرصة لمحادثة خاصة معي إذا دبرت بطريقة سرية لا يعلم بها أحد . فأجبته أنه يسرني مقابلته منفرداً. وتم هذا اللقاء بيننا الاثنين منفردين في الظلام يوم ٢٥ اكتوبر في حجرة خصوصية في هليوبوليس (مصر الجديدة) .

وبعد الحديث لمدى دقائق في مواضيع عامة سألت عزيز بك عن نوايا الحكومة التركية نظراً لاستمرارهم في حشد جنودهم واستعداداتهم العسكرية الواسعة النطاق التي يبدو أنها موجهة جزئياً نحو مصر . فأجاب بأن نيتهم بدون شك هي إعلان الحرب في اللحظة المناسبة وأنهم ينتظرون أي وقف لتقدم الحلفاء في أوروبا أو على الأقل عدم نجاحهم للانحياز لجانب المانيا . وقد بين أن السيطرة التامة على مجريات الأمور هناك بيد أنور باشا وفريقه وهم يؤمنون بأن مصالح تركيا تتماشى مع مصالح المانيا وانه يهزأ بأفكار فريق السلام وخاصة رئيس الوزراء ولم يكن لهم نفوذ ما .

وبعد ذلك سألته عن موقف العرب وهم يكرهون الترك ويطمحون

للتحرر والحكم الذاتي فهل بعد هذا ينحازون للترك ؟ فإذا ما حدث هذا فإن بريطانيا تأسف لهذا الموقف حيث صداقتها لهم لا تتأثر نتيجة موقف عدائي من جانب تركيا تحت ضغط الالمان . وزيادة على ذلك طلبت رأيه عن أنجع الطرق لجعل زعماء العرب يحسون بهذا الموقف من جانب بريطانيا نحوهم . وفي الإجابة على هذا لا يرى عزيز بك أي أمل في أن يقوم العرب بمساعدة فعالة وحدهم لأنهم يفقدون التنظيم وعدم وجود قيادة معروفة فإنهم بلا شك سينحازون للفريق الأقوى وفي الوقت الحاضر هم الاتراك وزيادة على ذلك فإن الاتراك مؤخراً بذلوا مجهودات لكسب العرب بهداياهم للزعماء وبذل الوعود وهناك من الدلائل ما يؤيد أنهم لاقوا نجاحاً في هذه الناحية .

وبعد ذلك تطرق عزيز بك للموضوع الأصلي الدي أراد مفاتحتي فيه . فالطريقة الوحيدة في نظره لنجاح برنامج القومية العربية للتحرر من السيطرة التركية هو ثورة لها تنظيمها مسنودة بقوة قليلة نسبياً لكنها معدة أحسن إعداد ويمكن الحصول على نواة هذه القوة من جيش العراق. فقد غرست بذور عدم الولاء في هذا الجيش منذ وقت مضى ويضم عدداً ضخماً من الضباط وضباط الصف والأنفار ينتظرون كلمة واحدة للتخلي عن الحكومة التركية والانحياز له وبهؤلاء الرجال كنواة تكوّن قوة عسكرية من خمسة عشر ألف رجل يحتلون موقعاً مناسباً يكون تقدم الاتراك فيه بطيئاً وصعباً . وهذا هو المركز الذي تتجمع حوله قوات زعماء العرب . ودور بريطانيا هو ضمان تجهيز المال والبنادق والذخيرة والمدفعية وكل المعدات المطلوبة لتسليح هذه النواة . ويستنكر عزيز بك بقوة إرسال قوات امبراطورية من أي حلف كان لأنها سوف تخلق انطباعاً بنية ضم الاراضي . وباختصار فبريطانيا العظمى تعد معدات الحرب والعرب يكوّنون القوة المقاتلة . وبهذه الطريقة يحدث

حلف قوي التلاحم بين بريطانيا العظمى والقوة الاسلامية الجديدة لمصلحة الفريقين .

ويختم عزيز بك حديثه بأن نجاح المشروع يعتمد إلى حد كبير على البدء في التحضيرات قبل نشوب الحرب فعلاً . إلا أن صلته بالوضع الحقيقي في العراق منقطعة في الوقت الحاضر . وحتى إن اقتنعت بريطانيا العظمى بالمشروع ورحبت به سيكون من الضروري أن يتصل بأصدقائه هناك قبل القيام بإجراءات فعالة .

وأولى ملاحظات كلايتون هي أن هناك اعتراض قوي على المشروع حسب عباراته نفسها . فهو يقول بضرورة الاستعدادات قبل إعلان الحرب بينما لا تفكر بريطانيا العظمى مجرد تفكير في تأييد أقل من ذلك بكثير في حركة كهذه ضد دولة هي معها في حالة سلم . وقد اعترف عزيز بك بأنه من غير المعقول أن يتوقع من بربطانيا حتى مجرد الانصات لمثل هذا الاقتراح إلى أن تنشب الحرب فعلاً .

وعقب ذلك اقترح عزيز بك أن تقوم بريطانيا العظمى بنوع من الاستعراض في الخليج حالما تعلن الحرب . فهذه العملية ستحول أنظار الترك وتضللهم وبذلك تمنعهم من تحريك الجيش المرابط في العراق الذي يعتمد عليه في اقتراحه . وعندما يبدأ في تنفيذ مشروعه كما لخصه من قبل معتمداً على أن الاتراك لهم ما يشغلهم في ميادين أخرى وهذا ما يمنعهم من التدخل بفعالية حتى تحرز خططه مقداراً من التقدم . وزاد على ذلك بأن مما يساعد كثيراً إذا ما اتخذت خطوات في الحال بإعداد وتدريب سريين في إحدى المستعمرات البريطانية قوة متحركة تكون على استعداد عند إشعال الحرب ولكنني أجبت عليه بأن هذه الخطوة يعترض عليها لنفس الأسباب السابقة وعلى أية حال ليست بالفكرة العملية .

وفي الختام أخبرت عزيز بك أنني أعتقد بأنه بعيد الاحتمال بأن تنظر الحكومة البريطانية في هذا الاقتراح ولكنني مهتم لسماعه وبالطبع حسب طلبه اعتبره سرياً للغاية . فالمشروع يبدو كما عرض غامضاً وتفاصيله لم تخضع لتفكير عملي . فوضعه موضع التنفيذ مع فرص نجاحه ليستدعي وجود مجموعة من الحالات والظروف المؤاتية أكثر مما يحتمل قيامها . وبذل الوعود لتأييده سيقودنا إلى إعطاء ضمانات لا نستطيع تقدير مداها . وزيادة على ذلك فقد كنت حذراً بصفة خاصة لتأكيد الحقيقة بأنني تحدثت معه بصفتي الشخصية ولم أشر أية إشارة بأن ما دار بيننا سيكون موضع نظر بل سيقف عند هذا الحد .

ويتبين لنا أنه مثلما ردوا على عزيز في ١٦ أغسطس ردوا عليه الآن في ٢٦ اكتوبر ١٩١٤ ولم تعلن تركيا الحرب ولكنها كانت على وشك إشعالها ولذلك حفظ فحوى هذه المحادثة ولم تتخذ فيها إجراءات ما . ولكن بعد أن أعلنت الحرب بين تركيا والحلفاء نبش هذا التقرير من مرقدة حيث أرفقه شيتام مع خطاب لوزارة الخارجية في يوم ١٥ نوفمبر ليصل إلى لندن في يوم ٣٠ منه . ولم يعلق شيتام عليه سوى أنه قد يكون من المفيد الاطلاع عليه نظراً للتطورات التي طرأت على القضية العربية . وسيرد ذكر مشروع عزيز بك عندما يبدأ شيتام استطلاعاته عن موقف بريطانيا من القضية العربية .

(٢١٤٠) التقط خيط القضية العربية وموقف بريطانيا منها المستر شيتام في برقية بعث بها من القاهرة إلى الخارجية في يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٤ ووصلت في نفس اليوم . أخبر في مستهلها بأن رسالة كتشنر للشريف عبدالله بن الحسين أرسلت له ثم قال : « زعماء الحركة العربية هنا ينظرون بعين الريبة نحو نيات بريطانيا العظمى لضم الأراضي العربية وعلى وجه أخص احتلال موانىء البحر الأحمر والتدخل في التجارة

العربية على ساحله والتي يعتمد عليها العرب لدرجة قصوى في معائشهم . فنجاح العلاقات الايطالية مع الإدريسي أثناء الحرب الايطالية – التركية أقيم بصفة رئيسية على تسهيل التجارة وترك الموانىء مفتوحة . وعليه فتصريح واضح محدد من جانب بريطانيا بأنها لا تنوي القيام بأية عمليات عسكرية أو بحرية في الجزيرة العربية ما عدا مصالح العرب ضد اعتداءات الاتراك وغيرهم أو لتأييد محاولات العرب للتحرر من نير الاتراك وسيكون لهذا التصريح أثر حسن إلى حد بعيد . هل هناك أي عمل يستحسن القيام به بخصوص الحركة العربية ككل ؟

فعزيز بك المصري عنصر هام في هذا الصدد خاصة في مناطق العراق وبين الضباط العرب في الجيش التركي ولكنه يفتقر إلى المال لتنفيذ مشروعاته ورأيه هو أن يبدأ بثورة في العراق معززة بقوة صغيرة ولكنها كاملة التجهيز تكون نواتها من جيش العراق حيث غرست بذور عدم الولاء للأتراك . وبهذا يتكون مركز يتجمع حوله زعماء العرب ، ولابد من ضمان المال والأسلحة والمعدات الحربية الأخرى قبل القيام بأية خطوة نحو التنفيذ . والقوة التي يحتمل تكوينها تتراوح بين أربعين ألفاً وخمسين ألفاً .

(٢١٤٠) وعقب ذلك عقد اجتماع مع عزيز بك أبرق شيتام فحوى المقابلة للخارجية في يوم ١٦ نوفمبر ووصل في نفس اليوم . ولم يستطع عزيز في هذا اللقاء وضع خطة معينة قبل الاتصال بزملائه في العراق لمعرفة حقيقة الأحوال هناك . ولم يطلب مالاً آنذاك . ولكنه يقترح طريقة للاتصال بهؤلاء الزملاء . فالقنصل البريطاني في المحمرة يتحقق من أماكن تواجد ضابط عربي في الجيش التركي اسمه نوري السعيد . وإذا لم يتيسر ذلك التحقق من مدني اسمه مزاحم الأمين أو الدكتور عبدالله . ويحتمل وجود هؤلاء في البصرة أو الكويت أو المحمرة . وإذا لم يعثر

على هؤلاء فهناك طالب بك في البصرة ربما يعرف أماكنهم . فإذا مـا عثر عليهم يقال لهم إن صديقهم في مصر يود أن يعرف حقيقـة الموقف وعليهم بيان المعلومات اللازمة من كل الأوجه ويحضرون وبشفرتهم إلى المحمرة . والبحث عن هؤلاء الرجال يجب أن يكون بسرية وحــذر وإمدادهم بالمال إذا مـا طلبوه للصرف منه على سفرهم . ونوري حسب رأي عزيز أهم شخصية ويجب الوصول إليه إذا أمكن ذلك والمركز البريطاني الذي يستطيع القيام بتنفيذ هـذه التعليمات هو حكومة الهند ولذلك فقد أبرقت وزارة الهند نص هذه البرقية لنائب الملك يوم ١٩ نوفمبر ١٩١٤ . فماذا كان رد حكومة الهند وإلى أي مدى وصلت حركة عزيز بك المصري ؟ ويبدو أن شخصاً آخر يدعى شريف باشا قــدم مشروعاً أيضاً لكتشنر في لندن واستفهمت وزارة الهند من نائب الملك عن مدى صلاحية المشروع . وكان رد نائب الملك لوزارة الهند ببرقية في ٨ ديسمبر ١٩١٤ بعد أن قام بتحريات عن الشخصيات التي ذكرها عزيز بك . فقد أجاب نائب الملك في رده بأن السيد طالب ذهب لابن سعود ولا ثقة فيه مطلقاً وكذلك انحاز دكتور عبدالله لابن سعود . أما مزاحم الأمين ونوري السعيد فإنهما في البصرة . وقد تقابل سير برسي كوكس مع الأخير وانطباعاته عنـه أنه عربي تأثر لحد بعيد بالحيـاة الاوروبية ويميل إلى الحياة الناعمة وانعزالي يبلغ من العمر حوالي ٢٥ سنة ويبدو عليه أنه يميـل إلى الاشتراكية النظرية . وهدف حزبه هو رفع مستوى الأمة العربية إلى حياة أفضل ينالونها حسب اعتقادهم بالطريق السهل تحت حكم اللبرالية البريطانية . وعندما سئل عن خططه الحالية أجاب بأنه إذا ما رأت بريطانيا التقدم في العراق تستطيع بمرور الوقت تحويل ضباط جاويد باشا وكذلك الحصول على إقناع بعض مشايخ قبائل وادي الفرات باعتناق أفكاره إذا ما سافر إلى هناك . ويعلن نائب الملك بقوله إن المشروع سوف لا يكتب له النجاح نظراً لنوعية الزعماء ولأن رجال

القبائل ومشايخهم المشار إليهم متخلفون إلى حد بعيد وعليه سوف لا يعيرون انتباهاً لدعاية شاب عربي . وحسب رأي نائب الملك فإن الكثير يعتمد على موقف ابن السعود فإذا بدا أن هناك ثورة عربية تحت زعامته وشيكة الظهور يجب تأييدها ومساعدتها بالمال . ويختم نائب الملك رسالته بأنه في الوقت الحاضر يعتبر معاونة بريطانيا سابقة لأوانها حتى يتضح الموقف .

وفي ١١ ديسمبر ١٩١٤ بعثت وزارة الهند للخارجية بصورة من برقية نائب الملك معلقين عليها بأن وزير الهند على أتم اتفاق مع رأي نائب الملك . وإذا كان تقرير كلايتون المفصل عن محادثته مع عزيز المصري تحت أيديهم في وقت مبكر لأيدوا اعتراضهم من أول الأمر على مشروع عزيز بك وتختم وزارة الهند تعليقها بأنه من الحكمة أن لا يزج في الموقف السياسي في العراق في الوقت الحاضر أو المستقبل تعقيدات نتيجة عوامل من خارج المنطقة .

(٢١٤٠) وما كان لوزارة الخارجية وأمر تنفيذ المشروع إذا أقر يوكل لحكومة الهند إلا أن تتخلى عنه وتبرق لشيتام في يوم ١٨ ديسمبر ١٩١٤ تنقل إليه ملخصاً عن تقرير نائب الملك وتعليق وزارة الهند وتصدر إليه تعليمات بأن يمتنع في الوقت الحاضر من تشجيع عزيز علي المصري .

(٢١٣٩) وفي شهر نوفمبر عند إعلان تركيا للحرب فعلاً ضد الحلفاء نشطت الدوائر السياسية البريطانية بين العرب ، وكانت القاهرة إحدى تلك المراكز التي دارت فيها محادثات بريطانية عربية وتساؤلات من جانب العرب وخاصة بين السوريين الذين استقروا أو نزحوا إلى مصر . وكانت سوريا الكبرى بما فيها لبنان تحت السيطرة التركية

الكاملة عسكرياً وإدارياً ما عدا لبنان التي كانت تتمتع بدرجة من الحكم الذاتي المحلي . والمعروف أن الأتراك قبل إعلان الحرب قاموا بتحركات عسكرية في سوريا ولبنان وفلسطين . ولا بد والحالة هذه أن يبدي قائد الجيش البريطاني في مصر الجنرال سير جون ماكسويل(John Maxwell) اهتماماً بهذه المسألة لأنه إذا تسلم أوامر للزحف بجيشه على فلسطين وسوريا لا بد له أن يتعرف إلى شعور العرب هناك ودرجة ترحيبهم أو معاونتهم.

وعليه فقد بعث ببرقية في يوم ٢٧ نوفمبر ١٩١٤ للورد كتشنر وزير الحربية الجديد والمندوب السامي الذي كان قبل أشهر معه في القاهرة هذا فحواها : « هل لك أن تخبرني بصفة شخصية عن هدف السياسة الانجليزية النهائي فيما يختص بفلسطين وسوريا وعلاقتها بالحركة العربية ؟ فالمسلمون يميلون بدرجة كبيرة لبريطانيا وكلهم ما عدا المارونيين ضد فرنسا وعليه فمن الضرورة بمكان أن نعرف الخط الذي نسير عليه لأن هناك الكثير مما تلوكه الألسنة حتى بين ضباط الجيش التركي . ولكنني لا أود أن أصرّح أو أقوم بعمل ما قد يفسر فيما بعد بأنه تنكر للوفاء بالعهد » .

وبعد يومين رد اللورد كتشنر بما فحواه : « لا نستطيع أن نحدد في الوقت الحاضر أي خط واضح ولكن إذا ما قدر لجنودنا الوصول إلى سوريا فالمأمول أن يلاقوا ترحيباً حاراً من الأهالي . وفي الوقت نفسه فعلى الأصدقاء إمدادنا بمعلومات صحيحة عن تحركات الجيش التركي . وقد علمت أن جمال وزير البحرية السابق سيغادر استانبول في طريقه إلى قيادة الجيش هناك للقيام بعمليات ضدك . فإذا لم يكن حرسه كافياً في مروره في سوريا وفلسطين يحتمل القبض عليه وأخذه للساحل وهناك نلتقطه » .

فقبل أن يمر شهر على إعلان تركيا للحرب عرف ماكسويل المتاعب

التي ستجرها فرنسا في سوريا وعرف كتشنر أن الجيش التركي المحتشد في سوريا وفلسطين تحت قائده الجديد سيكون هدفه غزو مصر . ونستنتج كذلك أن كتشنر يأمل في أن أصدقاءهم في سوريا وفلسطين ربما ينجحون في القبض على جمال باشا وتسليمه لهم في الساحل لتلتقطه بوارجهم .ويتضح من هذا أن كتشنر يبالغ إلى درجة كبيرة في الترحيب والخدمات التي سيقدمها لهم أصدقاؤهم من السوريين . ومرد ذلك كله أنه تعرف إلى السوريين المقيمين في مصر ولهم أجهزة إعلامهم من صحف ومجلات وكذلك من كانوا في سلك الخدمة المدنية في مصر والسودان تحت الإدارة البريطانية وأملهم أن يمتد ظل الحماية والادارة البريطانية لبلادهم ولكن هل هؤلاء لهم تأثير فعال على السوريين وقادتهم المقيمين في سوريا نفسها ؟

(٢١٣٩) حضر الرسول الذي بعث به المستر شيتام إلى الأمير عبدالله في مكة في رحلته الثانية وأبلغ فحوى الرسالة الموجهة من الأمير في يوم ١٠ ديسمبر ووصلت في نفس اليوم : « صيغ الخطاب في عبارات ودية مؤكداً صداقته وشعوره نحو بريطانيا العظمى وبيّن بوضوح وصراحة بأن والده لا ينوي اتخاذ موقف سياسي معادي لمصالحنا وفي الرسالة الشفوية التي حملها الرسول من الشريف نفسه أكد بشدة وتأكيد مكرر أن صداقته أشد حرارة مما يظهر في خطابه ولكنه أشار بأن موقفه من العالم الإسلامي والحالة السياسية الراهنة في الحجاز تجعل من الاستحالة بمكان قطع علاقته بتركيا في الحال ولو انه ينتظر مترقباً المبررات المناسبة . وقد أخبر الرسول بأن الاتراك يستغلون استغلالاً كبيراً كوسيلة للدعاية بين العرب قطع المؤن من الأراضي المقدسة حسبما يزعمون ..

(٢١٣٩) ومن برقية لنائب الملك في الهند إلى وزارته في يوم ١١

ديسمبر ١٩١٤ يظهر لنا أن حكومة الهند عن طريق المقيم في عدن أرادت أن تتصل بالشريف حسين للوقوف بجانبهم ضد الاتراك بتحريض القبائل هناك . وكان رد وزارة الهند على نائب الملك في يوم ١٤ ديسمبر وبعد أن تسلمت صورة من رسالة الشريف عبدالله وكانت العادة أن وزارة الهند تتسلم هذه الصور دائماً وكذلك اللورد كتشنر . شرحت الوزارة لنائب الملك ما جرى من اتصالات مع الشريف من الخارجية عن طريق القاهرة وقال له : « إن حكومة جلالة الملك ككل لا تعرف شيئاً عن هذه الرسائل التي يجب أن تظل سرية ولا ترسل لبمباي أو عدن . وابن السعود وشيخ الكويت طلب منهما مخاطبة الشريف الأعظم » وعليه فلا ترى وزارة الهند أن يحدث اتصال من جهة ثالثة . ووقفت هذه الاتصالات الأولى عند هذا الحد ولم تكن رسمية بل أحيطت بسياج من الكتمان والسرية . فالشريف ينتظر الفرصة المواتية وبريطانيا ضمنت انحياز الشريف لها لأنه أكد وكرر أنه لا يقوم بعمل عدائي ضدها . فهذا موقف مربح بالنسبة لها في هذه المراحل الاولى من الحرب.

أنباء عن الدعاية التركية

(٢١٤٠) بديهي أن تهتم كل المراكز البريطانية بأخبار تحركات تركيا سواء في الجيش أو الدعاية خاصة تلك التي يبثونها بين العرب بحكم الرابطة الإسلامية بينهم . فقد كتب رنل رود (Rennell Rodd) سفير بريطانيا في روما بتاريخ ٤ ديسمبر ١٩١٤ ووصلت هذه الرسائل لندن يوم ١٤ منه . أشار في مستهلها ما وصله من أخبار عن طريق المستر وو (Waugh) بالسفارة الأمريكية باستانبول أن لجنة الدفاع الوطني التركية المكونة من شيخ الإسلام وأنور باشا والسفير الالماني اختارت رسلاً ومبعوثين لنشر فتوى الجهاد في مصر وتونس والجزائر

وهم الشريف عادل باشا والشريف علي مطهر وعبد الرحمن باشا وثلاثتهم من دمشق . زيادة على أربعة آخرين هم الآن في مصر . ورئيس هـذه البعثة حسبما يقال هو محمود مظهر شقيق المرحوم محمود شوكت باشا .

وللهند بعثة على رأسها توفيق باشا من أعيان دمشق ومن أعضائهـا حسين عالم باشا وحسين بك وناظم بك وعبد القاهر وكلهم في النـادي العربي في استانبول . زيادة على عدد آخر من أعيان طرابلس الذين فروا إلى استانبول بعد الاحتلال الايطالي . هذا بالإضافة إلى عدد آخر من الترك العرب . وبعثة افغانستان تشمل عبد العزيز شاويش الذي سينضم إلى ثلاثة عشر آخرين هناك يوزعون الفتوى . ومثل هذه البعثات سافرت لمراكش أيضاً . ولم يكتف رنل رود بهذه الرسالة للخارجية في لندن بل بعث ببرقيات إلى نائب الملك في الهند والمعتمد البريطاني في القـاهرة بالمعلومات التي تخصه وأخبر زميله الفرنسي في روما ببعثـات مراكش والجزائر وتونس وأضاف رود بأنه حسب ما نقله مستر وو فإن إعلان الجهاد لم يلاق رد فعل حماسي في استانبول حيث ظلت الأحوال هادئة.

أخبار سارة عن ابن السعود

(٢١٤٠) تركنا الأمير عبدالعزيز واتصالات شكسبير والوكيل البريطاني في الكويت والمقيم السياسي في أبوشهر معه ورأينا أنه لم يعط وعداً قاطعاً لبريطانيا ومع ذلك فالمعروف عنه أنه معاد للاتراك وهناك ضمان بأن لا يرمي بثقله لجانبهم . غير أنه في يوم ١٨ ديسمبر ١٩١٤ أبرق نائب الملك في الهند وزارة الهند فحوى برقية وصلته من كوكس بتاريخ ١٦ ديسمبر: « حضر رسول برسالة مرضية للغاية من ابن السعود تاريخها ٤ ديسمبر من عنيزه بخصوص اتصالاتنا الأخيرة يقول فيهـا ان رغبته ذات التاريخ

الطويل في إقامة علاقات ودية مع الحكومة البريطانية لا تتزعزع وأنه كتب لشكسبير لتحديد مكان للاجتماع . ويضيف ان أخبار احتلال البصرة قد وصلته وهو ينوّه بتقدير عظيم معاملتنا الحسنة لسكانها. ويقول إن السيد طالب التجأ إليه ويتوسط لتسوية الخلاف بينه وبيننا حيث أنه صديق له ويوصي بحسن معاملة أهله في البصرة » .

كانت صورة هذه البرقية في وزارة الخارجية يوم ٢٠ ديسمبر ١٩١٤ تنقل الخارجية لشيتام في القاهرة باختصار موقف ابن السعود حسب ما وصلتها أنباؤه من الهند . فعندما طلب أنور باشا من ابن السعود الاشتراك في الدفاع عن البصرة أجاب بأنه مشغول بعمليات حربية ضد ابن الرشيد وسوف يواصلها إلى أن يخضعه تحت حكمه . وأشارت الخارجية إلى رسالته لكوكس ويختم بأن ابن السعود ربما تأثر باحتلال البصرة وأنه تدخل في مسألة سيد طالب الذي التجأ إليه . وهكذا قبل نهاية ديسمبر من عام ١٩١٤ ضمنت بريطانيا عدم انحياز الشريف لتركيا بل انه يترقب الفرصة المؤاتية للثورة عليها . وهذا الأمير عبد العزيز بن سعود عاهل نجد يؤكد صداقته لها وعدم معاونته للأتراك. وهم قد احتلوا البصرة مقدمة للتقدم في العراق .

الحالة في الجنوب العربي في ديسمبر ١٩١٤

(٢١٣٩) واستيفاء للسياسة البريطانية في الاقاليم العربية يجدر بنا قبل أن نودع عام ١٩١٤ أن نلقي نظرة أخيرة على الجنوب العربي وحالته كما تصفها حكومة الهند ومندوبها في المنطقة . ففي يوم ١٧ ديسمبر أرسل المقيم البريطاني في عدن برقية طويلة إلى حكومة الهند يقدم فيها تقريراً وافياً بمجريات الأمور هناك . فبتاريخ ٢٣ نوفمبر كتب

إمام اليمن لسلطان لحج مشيراً إلى الصداقـــة الحميمة القائمة مع عائلة العبدلى منذ القدم ويطلب منه معلومات عن الاتفاقيـــة بين بريطانيا وأسلافه من السلاطين . ولم يصل رد من الإمام على الرسائـل التي بعث بها سلطان لحج والمقيمية البريطانية . وبتاريخ ٢١ نوفمبر بعث الإدريسي للمقيم خطاباً عبر فيه عن موافقته التامة على الاقتراح القـــائل بتكتل العرب ضد الاتراك ويقدم شكره وامتنانه لترك موانئه مفتوحة للتجارة وللوعود التي قدمت له بمساعدتـه بالسلاح والذخيرة ولكنه يريد ضمانات لاستقلاله وإرسال وسيط موثوق به لإجراء مفاوضات تمهيدية لعقد معاهدة. وكذلك تسلم المقيم خطاباً من ابن ناصر مقبل المشار إليه بمافيا . وهو شيخ قوي يمتدح نيات بريطانيا الحسنة نحو العرب ويرغب في عقـــد معاهدة بينه وبين سلطان لحج على أن يكون استقلاله بضمان بريطانيـــا العظمى وقابـــل المقيم وفداً مكوناً من وكيله وحاج علي ناصر القمراني صاحب النفوذ . وقد كوّن المقيم رأياً بعد هذه الرسائل وهذا الوفد . فهو يرى أن من الاستحالة بمكان أن نعتمد على تخلي الإمام عن الأتراك فهو أولاً يتلقى معونة مالية من الأتراك وتربطه بوالي اليمن التركي صداقة وود . وهو يعتمد ثانياً على القبائل التي تبغض الاتراك نظراً لاضطهادهم ووحشيتهم منذ عام ١٨٧٢ . ورغبة سلطان لحج ومافيا هي عقد حلف دفاعي وهجومي بتأييد من كل الزعماء الذين يستظلون بالحماية البريطانية . وعندها سيتخلى مافيا عن الاتراك إذا ساندته بريطانيـا وضمنت استقلاله في ظلها والاتراك يقدرونه وتمتد دائرة نفوذه من كاثابا إلى شيخ سعيد . ففي هذه المنطقة المحايدة يستطيع التحكم في أحمد نعمان .

وإذا مـــا منحت ضمانات معقولة للإدريسي تستطيع بريطانيا الاعتماد عليه بالقيـــام بعمليات حربية ضد الاتراك ويقترح المقيم أن يقابل هو والمستر جيكوب (Jacob) هذا السيد الكبير في جيزان . وقد أوصى

الوفد المشار إليه بما يجذب تعاون الإدريسي ويستطرد المقيم قائلاً : « فإذا ما ترك الحبل على القارب للعرب والترك يحتشدون ويتجمعون على حدودنا وإذا لم تعزز حامية عدن فإن تراخينا وعدم حركتنا يفسر على أننا ضعفاء وهناك احتمال بأن يتحرك الاتراك ويمرحون خاصة وأن الإشاعات المغالى فيها تنتشر في البلاد بانتصارات الاتراك في أوروبا . وهناك توزيع متسع في مناطق حضرموت واليمن لمنشورات تركيا الفتاة .

وحسب رأي المقيم فهناك طريقان . الأول أن تظل بريطانيا قابعة من غير حراك في انتظار هجوم العدو بعد تعزيز الحامية . وعندها سوف لا يكون متسع من الوقت لعقد المحالفات مع العرب كما اقترح . وربما يقف الإمام في هذه الحالة ضد بريطانيا . والطريق الثاني هو الموافقة على الأحلاف المقترحة وتأييد المبادرة بالهجوم عندما تصل الامدادات . وفي هذه الحالة يحتمل أن ينضم الإمام للجانب البريطاني حتى يكون له نصيبه من أسلاب وغنائم ما بعد الحرب إذا ما رأى الاتراك منهزمين . وختم المعتمد برقيته قائلاً : هناك ثلاث حقائق في الختام يجب ملاحظتها. أولاً : في كل من جانبي الحدود فالعرب شوافعة (يدينون بالمذهب الشافعي) وينظرون الإمام الزيدي باشمئزاز فانضمامه إلينا الآن يفسر بأنه بني على شرط بسط نفوذه على كل اليمن الذي ورثه من أجداده . ثانياً : نسبة إلى قرب المدن المقدسة والحجاز لليمن فإن المنطقة الأخيرة أكثر المناطق تعرضاً للأتراك . ثالثاً : إذا حظيت هذه الاقتراحات بالموافقة فإن الهجوم على شيخ سعيد يعتبر حركة انتحارية نظراً لأن الحزب العربي الذي يقترح مافيا كسبه لمقاومة الاتراك له أغلبية واضحة .

(٢١٣٩) كررت هذه البرقية لوزارة الهند ولمقاطعة بمباي التي تتبعها عدن . والطريقة الروتينية في مثل هذه الأحوال أن يتناولها نائب الملك في الهند بالتعليق وتأييد ما يستحق التأييد وإبداء ملاحظات على

بعضها حتى تكون وزارة الهند على بينة لتصدر قرارها مشتركة مع وزارة الخارجية وربما مع الادميرالية والحربية فماذا كان رأي نائب الملك ؟ أبرق نائب الملك برأيه في يوم ٢٠ ديسمبر . لم يوافق على أية إجراءات عسكرية اللهم إلا إذا كانت الامدادات مطلوبة للحفاظ على عدن نفسها . والإمام في نظره الآن قابض على العصا من الوسط فليترك وشأنه في الوقت الحاضر » فإذا لم تنشط حركة من العرب المؤيدين للأتراك فالمحتمل امتناعه عن عمل عدائي واضح خوفاً على الحديدة » .

أما الإدريسي فيبدو أنه تأكد انضمامه لجانب بريطانيا ولكن مطالبه ستزداد إذا ما بالغ في أهميته وعليه فإن نائب الملك يعترض على سفر المقيم والمستر جيكوب لمفاوضته . هذا بالإضافة إلى خطورة غيابهما الاثنين عن عدن في الظروف الراهنة ويكفي أن يرسل له رد من المقيم بخطاب أو عن طريق وكيل موثوق به موضحين له أن الحكومة البريطانية تسلمت بمزيد الغبطة مشاعر الود والصداقة التي أبداها وأنهم على استعداد لضمان استقلاله إذا ما نجح فعلاً في تجميع أعوانه من العرب ضد الاتراك وفي منعهم من استخدام أراضيه قواعد لعمليات حربية ضد بريطانيا العظمى . وبقدر المدى الذي يصله في تعاونه يمنح امتيازات أخرى أما الحلف بين مافيا والعبدلي ولو انه غير معتاد في حالة الزعماء الذين يتمتعون بالحماية البريطانية يمكن إعطاء ضمان الاستقلال بعد الحرب . « ويجب أن يكون واضحاً أنه ليس في نيتنا تأييد هؤلاء الزعماء لعمليات هجومية ولكننا سنساعدهم فقط لحماية أراضيهم وتأمينها بالسلاح والذخيرة والمال » .

وبعد الاطلاع على برقية نائب الملك صاغت وزارة الهند برقية لتبعث له : « موقف الإمام لا يترك لنا مجالاً غير إعطاء ضمانات الاستقلال للإدريسي . وعليه أوافق على اقتراحك ولو ان الضمانات تجاوزت

تأكيداتنا في برقيتي بيوم ٣١ اكتوبر . أما فيما يختص بمافيا فإنني أستنتج من برقية المقيم أن طرد الاتراك من شيخ سعيد يمكن أن يتم بتعاونه . وعليه أوافق على مقترحاتك » . وأهم ما في هذه المقترحات هي أن بريطانيا ضمنت لنفسها انحياز السيد الإدريسي في عسير إلى جانبها لكنها تركت الإمام وشأنه في الوقت الحاضر وكذلك يتضح لنا أنها سوف لا تقوم بعمليات عسكرية في المنطقة اللهم إلا إذا كانت عدن نفسها مهددة بالخطر وكل ما يستطاع تقديمه هو المال والسلاح والذخيرة للدفاع لا للهجوم .

وأخيراً لا بد أن تنقل خلاصة هذه البرقيات وما تم في أمرها من قرارات إلى وزارة الخارجية وقد تم ذلك في ٢٦ ديسمبر ١٩١٤! وفي هذه الرسالة أشارت وزارة الهند إلى المكاتبات السابقة في هذا الصدد والتي وضحت فيها انها تجنبت الدخول في إشكالات سياسية في مناطق بعيدة عن مركزها في عدن ولذلك فإن من سوء الحظ أن يتوانوا ويعملوا مع الإدريسي بدلاً من الإمام وأن المركيز كرو (Crewe) وزير الهند لا يوافق إلى أبعد ما تقترحه حكومة الهند من استمالة للإدريسي . ومن جهة أخرى فعند تسويات ما بعد الحرب فالاحتمال كبير في أن تطلب ايطاليا تعويضات واسعة في اليمن وفي غيره إذا ما انضمت إلى الحلفاء أثناء الحرب . ويريد المركيز كرو أن يسجل الآن بغير ما يحكم مسبقاً على قضية ايطاليا أن وضع قبيلة عربية عاونت بريطانيا في الحرب تحت نفوذ ايطاليا سيقود إلى إحراج حكومة جلالة الملك في مناطق نفوذها نفسها لأن العرب يكرهون ايطاليا .

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

(٢١٤٧) في مذكرة كتبها مستر ب. ب. جريفس (P.P. Graviss)

يوم ١٢ ديسمبر ١٩١٤ ووصلت وزارة الخارجية يوم ٢٨ ديسمبر يروي قصة محادثة مع عضو مسيحي في السلك الدبلوماسي التركي بوظيفة سكرتير لم يشأ أن يذكر اسمه . والمستر جريفس هو مكاتب التايمز في القاهرة. يتحدث هـــذا السكرتير طويلاً عن مركز الثقل في الحكومة التركية ومدى تأثره بالالمـــان . ويتضح لنا من حديثه أن أنور هو صاحب السلطة الطاغية ولدرجات اقل يليه طلعت وجمال . وبقية أعضاء الحكومـــة ولجنة الاتحـاد والترقي بعضهم لا رأي لهم أو أنهم يتخوفون من الزج بتركيا في نضال أوروبي . أما أنور وأعوانه فمنحازون انحيـازاً كاملا لالمانيا وفي اعتقـادهم ان الجيش الالماني هو أقوى الجيوش وان الفرصة سانحة لهم إذا ما وقفوا مع المانيا في استعادة سمعة الجندي التركي والقوة التركية التي تدهورت في الحرب البلقانية والتي نسب سبب تدهورها إلى قواد من الطراز القديم . وقوة فريق أنور تعتمد في الدرجة الاولى على الضباط الشبان في الجيش التركي الذين نالوا تدريباً المانياً في كليـــاتها العسكرية وأعجبوا بالنظم الالمانية واعتقدوا في تفوقهـا .. ومن المدنيين من شعروا بالتقارب السياسي والدبلوماسي الذي انتهجته المانيا نحو تركيا . والمانيا من جانبها كانت لها دعاية واسعة بثتها في صفوف الجيش خاصة. ويتضح لنا من تحليل هذا الدبلوماسي التركي أن كل البوادر تدل على أن تركيا لا بد وأن تنحاز للجانب الالماني في صراعه ضد الحلفاء طال الأمر أو قصر . ويهمنا فيما يختص بالاقطـار العربية الدعاية الاسلاميـة وإعلان الجهاد . ويتضح من حديث الدبلوماسي أن قادة الاتراك والالمان رأوا في الدعوة للجهاد بين المسلمين سلاحـاً فعالاً . وخاصة إذا ما قرن بأن هدف الجيش التركي هو إنقاذ المسلمين من ظلم وقهر الروس والانجليز والفرنسيين . وهذا يؤيد ما اتخذوه فعلاً من سياسة إرسال البعثات إلى مختلف الاقطار الاسلامية والتي أشرنا إليها من قبل .

تقرير مستر جريفس عن حديثه مع عزيز علي المصري

(٢١٤٠) مستر جريفس الذي دوّن المحادثة السابقة مع ذلك الدبلوماسي التركي أدى خدمة أخرى لبلاده عندما التقى مع عزيز علي المصري ودوّن آراءه فيما يختص بالوضع في العراق . والمواطن البريطاني العادي أمثال جريفس يخدم امبراطوريته متطوعاً وفي بعض الحالات يكون له أثره الفعال أكثر من الممثلين الرسميين . وبهذه المناسبة أذكر أن المستر موبرلي بل (Moberly Bell) مراسل التايمز في القاهرة نجح في تأدية مأمورية عجز عنها ممثل بريطانيا الرسمي السير ايفلن بيرنج (Baring) عندما تأزم الموقف في السودان في أواخر سنة ١٨٨٣ بإبادة حملة هكس على يد الإمام المهدي ورأت بريطانيا أن تنسحب مصر نهائياً من السودان ولم ترض وزارة شريف باشا عن هذه السياسة واستقالت عندما فرضت بريطانيا هذه السياسة وكان سير افلن بيرنج معتمدها في مصر متخوفاً من أن لا يجد مصرياً واحداً يقبل على نفسه تحمل المسؤولية تحت تلك الظروف وينفذ سياسة الجلاء عن السودان . وظهرت في مكاتبات بيرنج آنذاك احتمال تعيين وزراء انجليز . تحت هذه الظروف بذل مستر موبرلي بل مجهوداً شخصياً مع الخديوي توفيق ونوبار باشا حتى اقتنع الأخير بقبول الوزارة وتنفيذ سياسة الجلاء .

ولنرجع الآن إلى ما دوّنه مستر جريفس عن مقابلته مع عزيز علي المصري في يوم ٦ ديسمبر ١٩١٤ وآنذاك احتلت بريطانيا البصرة وبدأت تفكر في التقدم نحو بغداد ، ولا بد لها أن تستطلع زعماء العرب عن مدى تعاون الهيئات العربية هناك . ويبدو أن الجهات الرسمية امتنعت عن التحدث مع عزيز علي في هذا الأمر حتى لا يظن أنها تفاوضه لعلمها

بأن حكومة الهند اعترضت على إدخال عناصر من الخارج في المسألة العراقية أمثال عزيز علي المصري . ولذلك لجأت إلى هذا اللقاء غير الرسمي لمعرفة رأيه من امكانية استخدام السلطات العسكرية البريطانية له في العراق .

وكانت إجابة عزيز صريحة وواضحة عندما فاتحه جريفس في هذا الأمر حيث قال ان ضميره لا يسمح له بتأدية خدمات للسلطات العسكرية في العراق إذا ما كانت نية بريطانيا هي ضم العراق لامبراطوريتها لأنه مرتبط بالحركة العربية التي تدعو لنيل حريتها من الاتراك .. فالمسألة في أساسها مسألة شرف . أما إذا كانت في النية تكوين دولة محايدة تمنع الاصطدام بين الخليج وربما روسيا وأرمينيا والاناضول وفي النية مساعدة سكانها العرب كما ساعدت روسيا بلغاريا في سنين ١٨٧٩ – ١٨٨٣ على خلق دولة بتنظيم حديث ومؤسسات حديثة . إذا ما كانت هذه السياسة المرتقبة فإنه يخدم ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وهو يدرك تماماً ان بناء دولة كهذه يتطلب عملاً ضخماً وان احتلال العراق عسكرياً سيكون ضرورة لمدة طويلة وان هذه الدولة الحديثة لا بد لها أن تعتمد اعتماداً كلياً اقتصادياً ومالياً على الهند البريطانية إلى أن تنمو مواردها . وعليه فإنه لأسباب عدة يشعر بأن سياسة تكوين الدولة المحايدة يفضل من كل الأوجه سياسة الضم . وفي اعتقاده أن انجلترا لا تود حدوداً تجاور منطقة روسيا لأنه يعتقد أن روسيا في هذه الحرب ستحتل الاسكندرونة وديار بكر بعد قليل من الوقت . فوجود دولة عربية تعداد سكانها مليونان على أحسن الحالات وفي أسوأ حالات الفقر سوف لا يكون مصدر تهديد لقرون قادمة . وختم عزيز مناقشته لهذه المسألة بأن كرر ما قاله من قبل وهو انه على استعداد ليبذل أقصى ما في وسعه من جهد لمساعدة إذا ما كانت انجلترا توافق

وتسعى لإقامة دولة عربية كهذه في العراق .

تم تطرق الحديث للطرق العملية التي يستطيع عزيز بهـــا تقديم مساعدة . بدأ عزيز إجابته بأنه يفترض نية القوة الهندية ـ البريطانيـة التقدم نحو بغداد . ففي هذه الحالة يعتقد عزيز أن المقاومة لهذه القوة ستكون أشد من المقاومة التي لاقتهـــا في البصرة . وفي ذاك الوقت سيصطف الأكراد وربما قوات مجندة من العرب والقوات النظامية من الموصل لتقاوم تقدم القوات البريطانية . فإذا كانت البصرة ومنطقـة الفاو حسب اتصالهما المستمر بالهنـــد وبشيخي الكويت والمحمرة قبلت الغزو كما يبدو وربما عن رضاء تام لا يتعين على وجه التحديد أن يفعل العرب وخاصة الضباط العرب في الشمال مثلمـا قام به اضرابهم في البصرة . فالجيش الغازي شيء كريه في حد ذاته أحياناً مهما كانت درجة حسن سلوكه ومهما كانت مظالم وشكاوى البلاد التي يغزوها من حكومتهم فإذا ما اعتقد الضباط العرب في بغداد في وجهـــة نظر خاطئة عن الموقف فربما يثيرون الاضطرابات بقطع طرق المواصلات في طريق القوة الغازية بما لهم علاقات مع الكثير من زعماء القبائـل في العراق . وبعض هؤلاء الزعمـــاء يستطيعون حشد قوة ضخمة لحرب العصابات . وفي رأي عزيز أنه ليس من المؤكد ولو انه محتمل اتحـاد ابن السعود مع البريطـانيين . وسيبذل الاتراك الوعود للضباط العرب الذين يرتجى منهم فائدة ما للتأثير على الزعماء للانحياز لجانب تركيا .

وانتهى عزيز من هـــذه المناقشة إلى أنه يستطيع تأدية مساعدات ضخمة بالاتصال بهؤلاء الضباط العرب والقبـــائل . ووسيلته لذلك هي إغراء وإقناع الجيوش العربية بالفرار من الجيش التركي والانحياز للجانب البريطاني وبإثارة شعور القومية العربية ضد الاتراك المكروهين في جميع أنحاء العراق .

وختم جريفس مذكرته عن هذا اللقاء بمـا يلي : « بالشروط السالفة الذكر وهي أننا لا ننوي ضم العراق للامبراطورية البريطانيـة ولكننا ننوي إقامة نوع من حكومة محايدة ، تحت احتلال بريطـاني لسنين قادمـة وبعون بريطاني لتقدمها فإنه سيبذل أقصى ما في وسعه لمساعدتنا إذا ما طلب منه ذلك » . وفي يوم ١٣ ديسمبر بعث شيتام رسالة للندن مرفقاً بها هذا التقرير لتصل في يوم ٢٨ منه ولاحظ شيتام أن آراء عزيز علي المصري تتفق عمومـاً مع آراء شريف مكة وآراء زعماء العرب الآخرين الذين لهم وكلاء على اتصال مع السلطات البريطانية في مصر .

ولعل المتتبع لهذا الموضوع يتشوق الآن لمعرفـة من هو عزيز علي المصري بمثل ما تشوقت أنا له . وسنلتقي بـه في مناسبات أخرى في بحثنا هذا وخير ما أستطيع عمله هو أن أنقـل نص ما كتبه عنه مؤلف عربي رحمـه الله استقصى تاريخ حياته في كتاب له بالانجليزية ونقل إلى العربية بواسطة علماء عرب أجلاء بعنوان « يقظة العرب » فالمؤلف هو جورج انطونيوس وقدّم له المرحوم الدكتور نبيه امين فارس وترجمه أمد الله في حياتهما الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور إحسان عباس ونشرت الترجمة بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعـة والنشر بيروت نيويورك ١٩٦٢ .. ص ١٩٥ .

« التاسع من شباط (فبراير) من السنة نفسها ١٩١٤ بينما كان الرائـد الرئيس الأول عزيز علي المصري ، من هيئة اركان حرب الجيش خارجاً من فندق طوقاتليان بعد الغداء بادره ثلاثة من رجال الشرطـة السريين ودعوه إلى مركز الشرطة المركزي في القسطنطينية . وهناك ألقي عليه القبض من غير أن توجه إليه أية تهمة ، فذاعت الشائعات بأنه سيحاكم بتهمة الخيانة . وقد أثار نبأ اعتقاله الدهشة بين العرب هناك ثم تحولت

الدهشة إلى سخط تمثل في مظاهرات الجماهير في الشوارع .

كان عزيز قد أصبح – وهو في الخامسة والثلاثين من العمر – شخصية مشهورة . وقد ولد في القاهرة حيث كان يقيم والده . ثم التحق بالكلية العسكرية في القسطنطينية ، ثم بكلية الأركان . وبعد أن تخرج فيها بتفوق سنة ١٩٠٤ عين في هيئة أركان حرب الجيش الثالث في مقدونية . وهناك انضم الى جمعية الاتحاد والترقي ، وكان أحد الضباط الذين قادوا الثورة العسكرية سنة ١٩٠٨ واشترك في الزحف على القسطنطينية في نيسان (ابريل) من السنة التالية . ولكن انضمامه إلى جمعية الاتحاد والترقي كان لعاملين ، مثله العليا القومية العربية ، وإخلاصه لمصلحة الدولة العثمانية ، فحين أدرك في الشهور التي تلت الثورة المعاكسة سنة ١٩٠٩ أن سياسة الاتحاديين كانت تعارض العامل الأول ، كما كانت تسيء التصرف بالنسبة للعامل الثاني ، أخذ يبحث عن حلفاء له أجدر من الاتحاديين .

وكان نفوذه أعظم كثيراً من مستوى رتبته العسكرية ، وسبب ذلك انه كان يحاضر في وقت ما في كلية الأركان فاستطاع أن يستميل قلوب الجيل الناشيء من ضباط الجيش كما امتاز في ميدان العمل بالخلق والجرأة والحكمة وأهله إخلاص نيته وثبات عزمه في وطنيته أن يرضى بزعامته من هم أسن منه . وكان هو الذي أسس – بمعاونة وطني بارز آخر هو زميله الضابط سليم الجزائري (الجمعية القحطانية) ببرنامجها المتضمن مملكة ذات تاجين تلتقي فيها الاهداف العربية مع الإخلاص للدولة العثمانية . وفي سنة ١٩١٠ أرسل إلى محاربة اليمن فاستطاع ان يفوز بإقناع الإمام أن يسوي خلافاته مع الباب العالي ، ثم تطوع في ليبية حيث أحرز أمجاداً رائعة بقيادته المقاومة العربية ضد العدوان الايطالي ، وعاد إلى القسطنطينية في صيف ١٩١٣ ليرى الآمال العربية تذوي ببطء

في الشهور التي تلت مؤتمر باريس . ووجد أن الفوضى والفساد كانا يسودان وزارة الحربية التي كانت تنتقص من شأن انتصاراته في افريقيا بعامل الحسد . ورأى اتجاه الاتحاديين إلى إصدار الأمر بنقل الضباط العرب المقيمين في العاصمة ، جماعات جماعات – وهو من بينهم – إلى حاميات الولايات النائية . فاستقال من منصبه مشمئزاً .

في بداية سنة ١٩١٠ أخذ عزيز علي ينفذ خطة اختمرت في فكره منذ أيام « الجمعية القحطانية » بعد أن تخلي عن اهتمامه بها بسبب اكتشاف أحد الخونة بين أعضائها يسترق السمع . وكانت خطته أن يحولها إلى جمعيـة تتألف من ضباط الجيش فقط . وأخيراً أنشأ منظمة منفصلة مستقلة عن الجمعية الاولى ، وإن كان برنامجها يشبه من بعض الوجوه برنامج سابقتها . وسميت الجمعية باسم (العهد) وكانت أهدافها هي أهداف « الجمعية القحطانية » نفسها مفرغة بأسلوب عسكري . ولم يقبل فيها من المدنيين غير اثنين اختيرا لوطنيتهما الموثوق بنزاهتهما ، وكان احدهما ، وهو الأمير عادل أرسلان من الأعضاء الأوائل من الجمعية السابقة ولما كان العنصر العراقي أكثر العناصر عدداً في الجيش العثماني لذلك كانت له قوته في مجالس (جمعية العهد) وأنشأ له فروعاً في بغداد والموصل وأصبحت الجمعية بالنسبة للضباط مثل (جمعية العربية الفتاة) بالنسبة للمدنيين ومع أن الجمعيتين لم تعلم إحداهما بوجود الأخرى في بداية الأمر غير ان نشاط كل منهما – في ميدانها – كان متمماً ومكملاً لنشاط الثانية ، إلى أن وافت سنة ١٩١٥ فاتصلت الجمعيتان في مدينة دمشق ووحدتا وسائلهما معاً لإيقاد الثورة العربية .

ولعل الاتحاديين كان قد تسرب إليهم نبأ عن تأسيس « العهد » حين أمروا باعتقال عزيز علي ولكن لم تكن لديهم أنباء مؤكدة ، ولم تذكر له أية علاقة بالجمعيات السرية في التهم التي وجهت إليه . وبدأت محاكمته

سراً في الخامس والعشرين من شهر آذار (مارس) أمـام مجلس تأديب عسكري ، وعرف الناس أن صحيفة الاتهام تضمنت اتهـامه باقتراف جرائم لا يمكن تصديقها أبداً ، وهي : أنه اختلس أموال الجيش ، وأنه سلم برقة للايطاليين مقابل رشوة ، وأنه سعى إلى إقامـة مملكة عربية في شمال افريقية . وكان الهياج الذي أثاره نبأ اعتقاله قد انتشر انتشاراً واسعاً آنئذ : ففي مصر ، موطن ميلاده ، كان الناس يعربون عن سخطهم بالاحتجاج العام فعقدت الجماهير الاجتماعات وشنت الصحف حملات عنيفة ، وتألفت لجنـة يرئسها شيخ الأزهر . وقصدت الوفود لورد كشنر ـ المعتمد البريطاني في القاهره ـ تطلب منه أن تتدخـل بريطانيا بالطرق الدبلوماسية .

وفي أوائل نيسان (ابريل) عرف أن الحكم قد صدر سراً بإعدام عزيز علي وازداد الهياج عنفاً وحدة وصار الضباط العرب حيثما يجتمعون يقسمون أن يثأروا لإعدامـه بالقتل وسفك الدماء . ولحسن حظ عزيز علي أن انطلق صوت أوروبة ـ وخاصة انجلترا ـ يدافع عنه . فقـد حث كتشنر وزارة الخارجية على أن تتدخـل فبذل سير لويس ماليت مساعيه في القسطنطينية ، ونشرت جريـدة (التايمز) سلسلة من أربع مقالات افتتاحية لمدة ستة أسابيع كانت كلها دفاعاً صريحاً عنه .

فذكرت التايمز في عددهـا الصادر في التاسع من نيسان (ابريل) ما يلي :

« ... لو أن هذا الظلم الذي أحاق بالضابط العربي الباسل أعقبه ما لا يمكن أن يسمى إلا جريمة قتل بحكم القانون ، فإن العلاقات بـين الحكومة العثمانية ومصر ستتأثر تأثراً خطيراً وربما لن يقتصر الأمر على العلاقات بين تركيا ومصر وحدها » .

وفي الخامس عشر من الشهر نفسه ، أُعلن أن الحكم كان قد صدر بإعدام عزيز علي غير أن السلطان خفف الحكم إلى السجن خمسة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة . ومع أن ذلك أشاع الارتياح العام غير أن الهياج على ظلم المحاكمة استمر . وأخيراً صدر العفو عن عزيز علي في الواحد والعشرين من الشهر نفسه وأطلق سراحه ، فأبحر في اليوم التالي إلى مصر ، واستقبل استقبالاً حماسياً عند وصوله وقد هزت محاكمته البلاد العربية ربما كانت أعنف من أية هزة أخرى سببها أي عمل مفرد من أعمال الطغيان التركي ، وقد هزت نفوس الجماهير كما هزت نفوس المفكرين ، ولذلك قوت عزم العرب على وجوب نيل حريتهم » .

الطائفة المارونية والترك

(٢١٤٧) في يوم ٢٣ ديسمبر ١٩١٤ بعث شيتام من القاهرة إلى الخارجية رسالة ينقل ملخصاً لتقرير كتبه عبدالله عصفور باشا من كبار رجال الطائفة المارونية السورية والموظف في الحكومة المصرية . وقد عرف عنه أنه من أكبر المساندين للاحتلال البريطاني لمصر . فهو ذو ذكاء خارق وله اتصالات مع السوريين في سوريا ومصر والكثير منهم مستخدم في دوائر الحكومة المصرية . ولذا كانت لآرائه أهمية خاصة. فوجهة النظر حسب ما يرى في مصر وسوريا واحدة . فعلى وجه العموم فالشعور السائد في القطرين هو قطع العلاقات مع الامبراطورية التركية وفي الوقت نفسه يرغبان في الاحتفاظ بنوع من الحكم الذاتي عندما توزع أسلاب الأراضي التركية وفي هذا الصدد يضيف شيتام بمناسبة خطط فرنسا العسكرية المزعومة نحو سوريا فقد نفاها مسيو دفرانس(DeFrance) قنصل فرنسا في مصر عملياً بوقفه أي نشاط يدعو للتطوع في مصر

استجابة لطلب شيتام وكذلك فعل مندوبو الدول الأخرى مثل ايطاليا واليونان الذين تحدث إليهم شيتام في هذا الصدد وفي رأيه (شيتام) أن أي حركة كهذه سيكون لها عواقبها السيئة في هذا القطر وربما تقود إلى رد فعل انتقامي في سوريا نفسها ضد السكان المسيحيين . فهذه وجهة نظر شخصية وربما يؤيدها عدد آخر من السوريين المستخدمين في الحكومة المصرية بحكم ارتباطاتهم بدوائر الاحتلال البريطاني في مصر .

في أواخر ديسمبر دارت مكاتبات بين السفير البريطاني في أثينا والحكومة البريطانية في لندن عن طلب المارونيين لأسلحة وذخيرة للدفاع عن أنفسهم والتعليقات من المختصين في وزارتي الخارجية والحربية ركزت على نقطة الخطر الذي يتعرض له المارونيون إذا ما ضبطت هذه الأسلحة في حوزتهم فإذا ما أدركوا مدى هذه الخطورة فلا مانع لمدهم بالأسلحة للأغراض الدفاعية فقط إذا ما تعرضوا للخطر ولكنهم لا يوافقون على إرسال الذخيرة لجبل لبنان حسب طلب الطائفة المارونية وقد يكون لهذا فائدة أخرى للحلفاء إذا ما رأوا انزال جنودهم في سوريا فقد تطلب مساعدتهم في هذه العملية .

موقف بريطانيا وفرنسا من دعاية تركيا الدينية

نادت تركيا بسلاح الجهاد الإسلامي وبعثت بالرسل لمختلف البلدان الإسلامية يدعونها للانضمام لراية الإسلام والجهاد في سبيل الله تحت خليفة المسلمين العثماني . هذا بالرغم من أن لجنة الاتحاد والترقي صاحبة السيطرة والنفوذ آنذاك في الامبراطورية العثمانية تسير على نهج دستور علماني لا تفرق فيه بين رعاياها من مسلمين ومسيحيين ويهود . ورأينا مما تقدم اهتمام بريطانيا بهذه المسألة حتى قبل أن تعلن تركيا الحرب فعلاً . فقد

طمأنت رعاياها المسلمين في الهند وفي الاقطار العربية التي تسيطر عليها إما عن طريق الحماية أو الاحتلال والادارة الفعلية . ونشرت البيانات في هذا الصدد . وفرنسا كانت تسيطر سيطرة تامة على اقطار شمال افريقيا في تونس والجزائر والمغرب . وقد علموا بإرسال تركيا المبعوثين للتبشير بالجهاد والثورة ضد الحكام النصارى . ومع ذلك فلا بد من دراسة دقيقة لهذه المسألة واتخاذ الخطوات العملية لمقاومة تركيا في هذا الميدان .

(٢٤٨٠) عقد اجتماع في وزارة الخارجية الفرنسية في يومي ٣٠ و٣١ ديسمبر ١٩١٤ حضره من الجانب الفرنسي مسيو كوت (Cout) يساعده الكولونيل هيملين (Hamelin) ومسيو بيريتي (Peretti) ومن الجانب البريطاني السير هنري ماكماهون يساعده مستر فتزموريس (Fitsmaurice) والمستر لورين (Loraine) وكان رئيس الوفد البريطاني هو السير هنري ماكماهون (Macmahon) الذي أصبح بعد ذلك مندوباً سامياً لبريطانيا في مصر. وكان المستر فتزموريس آنذاك موظفاً في وزارة الخارجية البريطانية ومن الذين تظهر أسماؤهم دائماً في الرسائل الخاصة بالشؤون العربية وله تعليقاته عليها . والمستر برسي لورين كان سكرتير للسفارة البريطانية في باريس . وقدم السير ماكماهون تقريراً عن هذا الاجتماع بدأه بمقابلة للمسيو دلكاسيه (Delcassé) وزير خارجية فرنسا الذي أسعده هذا الاجتماع بين مندوبي الحكومتين لمناقشة وبحث مسألة هامة مشتركة بين الدولتين وهي أثر دعاية تركيا على المسلمين الذين يستظلون بحكم الدولتين .

وقد قدم ماكاهون وثيقتين عن هذا الاجتماع المشترك . الاولى مطولة وهي تسجيل دقيق ومفصل لما دار في الاجتماع وهدفه من ذلك التسجيل فقط ولكنه أردفها بالمذكرة الثانية المختصرة والتي تسجل انطباعاته عن موقف الحكومة الفرنسية وآراء مندوبيها ، وأول انطباع لماكاهون هو

المعلومات الوافيـة التي أدلى بها المسيو كوت عن أحوال العالم الإسلامي ما عدا الهند . والفرنسيون حسب ما أدلى به لا يتخوفون من تأثير دعاية تركيا على رعاياهم المسلمين بل يرى أن لا يكون الموقف دفاعي بل هجومي . وعليه فهو يرى أن تثير بريطانيا العرب لثورة ضد الاتراك وقد ذكر هذا الاقتراح مراراً أثناء الاجتماع . وكان رد ماكماهون توضيح المخاطر التي تنتج عن عمل كهذا بدون تمييز .

والانطباع الثاني الذي خرج به ماكماهون هو أن الفرنسيين يعتبرون هـــذه الحرب أساساً ضد المانيا وضد الحزب التركي المؤيد لالمانيا لا ضد تركيا عموماً . فهم يتوقعون سقوط هذا الحزب المؤيد لالمانيا وتسلم آخر للسلطة يطلب بعدها الصلح .

وأخيراً عالج الاجتماع المسألة الرئيسية التي من أجلهـــا عقد وهي الطرق العملية لمقاومة الدعاية التركية واتفق المجتمعون على أن استخدام الصحافة والسيطرة عليها في الاقطار الإسلامية هو أمضى سلاح لذلك . ومع أنه كان معلوماً لدى الفريقين أن كلاً من بريطانيا وفرنسا اهتمت بمسألة الصحافة واستخدامها لهذا الغرض في مناطق نفوذها إلا أنــه لا بد من تنسيق وتبادل للمعلومات خاصة في القطر الذي يعتبره الفرنسيون مركز الثقل في العالم الإسلامي والثقافــة الإسلامية . وعليه فيجب أن يقوم الممثلون لفرنسا وبريطانيا في مصر بتبادل ما كتب عن هـــذه المسألة كل في دائرة نفوذ بـــلاده والاتفاق على ما يصلح نشره في القطر الآخر .

وختم ماكماهون انطباعاته وما برز من نقاط أثناء المناقشة بأن مسألة سوريا لم ترد على لسان المندوبين الفرنسيين سوى أنهم يرون أن لا بـــد من إثارة المارونيين ضد تركيا ولكنهم لم يذكروا اسم الدولة التي تقوم

بهذه الإثارة . ولم يعلق ماكاهون على هذا .

(٢٤٨٠) والملاحظة التي أبداهـا ماكاهون وهي أن الحديث لم يتطرق إلى سوريا وأن المندوبين الفرنسيين لم يذكروها تبدو غير منسجمة مع جدول أعمال الاجتماع ويعجب القارىء من ورودها ولكن العجب سيزول إذا ما علم أنه في أول يوم لاجتماعهم وهو ٣٠ ديسمبر ١٩١٤ ظهر في جريدة الماتان الفرنسية الشهيرة مقال افتتاحي يقترح ما يجب عمله في تقسيم الأراضي التركية عندما تضع الحرب أوزارها بين الحلفاء والدول الصديقة مثل اليونان وايطاليا . فنصيب فرنسا حسب رأى الافتتاحية من هذه الإسلاب هو توحيد فلسطين وسوريا تحت اسم جديد هو « فرنسا اللفانت (La France du Leveant) . ففي هذه المنطقة يزدحم خمسون ألف تلميذ في المدارس الفرنسية . فاللغة الفرنسية والفكر الفرنسي والنفوذ الفرنسي كلها عوامل تؤثر في المنطقة لدرجة جعلت مجلة ستامبا (Stampa) في ١٤ ابريل الماضي تقول بأن فرنسا تتمتع بمركز ممتاز ونفوذ عظيم في سوريا ، فكل المثقفين السوريين من مسيحيين ومسلمين يتحدثون الفرنسية . والقدر وحده هو الذي جعل جمهورية فرنسا تقتفي اثر الصليبيين وتحمل الرسالة التي بدأت في القرون الوسطى بسيطرة فرنسية دامت ١٩٢ سنة توقفت عند احتلال مدينة عكا . غير أن الرسالة ما زالت شعلتها متوهجة بحماس الطوائف الدينية الفرنسية التي وصفتها ستامبا بأنها حين الاحتلال الفرنسي وللأجيال الفرنسية المقبلة أن تلعب دورها كما لعبه أسلافهم في تركيز النفوذ الفرنسي في منطقة هي ملتقى الحضارات المختلفة . ولا بد أن يكون ماكاهون اطلع على هذه الافتتاحية قبل أو بعد الاجتماع الأول أو لفتت نظره السفارة البريطانية في باريس إليها . ولذلك أشار إليها في هذا التقرير . ولو أن وجهة نظر الحكومة الفرنسية في هذا الصدد لم تظهر بعد فإن

الحكومات الديمقراطية لا بد وأن تستجيب أو تأخذ بما ينادي به الرأي العام . وهكذا بينما بدأت الاتصالات الاولى مع الشريف حسين وفيها مشكلة الحدود التي تضم سوريا ظهرت بما لا يدع مجالاً للشك المطامع الفرنسية فيها . فتتبادل الرسائل وتعقد الاجتماعات ويدور الكثير من الحديث والمناقشات حول هذه المسألة مستقبلاً .

احتمال عمليات عسكرية في سوريا وفلسطين

(٢٤٨٠) قبل إعلان تركيا للحرب وبعد إعلانها نقلت المخابرات العسكرية البريطانية أنباء الاحتشادات التركية في سوريا وفلسطين ونقل لها قناصلها في المنطقة النشاط التركي على المستويات العسكرية والسياسية والدعائية وسط العرب هناك . فلا بد والحالة هذه أن تبحث مختلف الاحتمالات في حالة قيام الاتراك بغزو لمصر أو في حالة حملة هجومية يقوم بها الجيش البريطاني من قواعده في مصر . وفي الحالة الثانية يجب أن تتعرف المخابرات على استعداد الأهالي للترحيب بالجيش أو الانحياز للأتراك .. وعليه فقد قدّم مدير المخابرات البريطاني في مصر يوم ٥ يناير ١٩١٥ تقريراً عن نواحي الموقف عسكرياً وسياسياً . فالموقف العسكري كما يبدو له آنذاك حسب البيانات التي تلقاها تنبىء على أن الاتراك يبيتون النية لغزو مصر . وهذا أمر يهم السلطات العسكرية التي لها خططها لمقاومته .

أما في حالة القيام بحملة هجومية على الجيش التركي في سوريا فقد بيّن الطرق المختلفة التي يمكن القيام بها . وهذا أيضاً في مناقشاته وتفصيلاته من اختصاص الجهات العسكرية ولكن المعلومات التي تجمعت للمخابرات في الشهور القليلة الماضية تشير إلى أن قسماً كبيراً من أهالي

سوريا وفلسطين سوف يرحب بالجيش البريطاني الغازي وحتى إذا ما كانت هناك مقاومة ما فإنها ستكون ضعيفة والاحتمال أن يقدم الأهالي عونهم ومساعدتهم . وعلى العكس إذا ما كان الجيش الغازي فرنسياً أو روسياً فإن بعض الأوساط العربية هناك ستكون غير راضية . وإذا ما تم للجيش البريطاني الفوز فالاحتلال يجب أن يكون دائماً أو على الاقل إلى نهاية الحرب . أما إذا كان غارة وقتية يعقبها انسحاب فسيتعرض الذين ساعدوا إلى نقمة الاتراك الذين سيعاودون سيطرتهم واحتلالهم . فهذه المسائل جديرة بالاهتمام إذا ما كان في النية التحرك هجومياً على سوريا وفلسطين . ويجب أن يكون هناك تفاهم مع حلفاء بريطانيا على السياسة التي يجب اتباعها في سوريا فيما بعد وقبل القيام بالعمليات العسكرية .

وقد أشار التقرير الى الشريف حسين عندما ناقش مسألة قطع سكة حديد الحجاز . فهذه الخطوة لا تتخذ إلا إذا اتضح موقف شريف مكة وزعماء العرب الآخرين في الجزيرة . فإذا ما انحازوا لبريطانيا وبدأوا بنشاط عسكري ضد الاتراك يمكن حينذاك مساعدتهم بقطع ذلك الخط . وبهذا تتوقف الإمدادات والتعزيزات للجيش التركي في اليمن والحجاز . وفي هذا الصدد ينبه مدير المخابرات أن التأكيدات والضمانات التي اعلنتها حكومة جلالة الملك عن الاراضي المقدسة والجزيرة العربية يجب أن تنفذ بحرفيتها . فاحتلال البصرة وشيخ سعيد جعلهم يتخوفون وينتابهم الشك والريبة من وعود بريطانيا . فأية عمليات عسكرية ضد موانىء البحر الأحمر لا محالة من أنها تؤدي إلى ترسيخ الانطباع بأن بريطانيا ليست صادقة في وعودها. وحصر موانىء البحر الأحمر وإيقاف الصادر منها والوارد إليها قد يؤثر قليلاً على الحاميات التركية ولكن وطأته ستكون أشد على العرب مما يقود إلى تذمر وشكوك في الأوساط

العربية . فهذا بلا شك مكسب من ناحيـة عسكرية صرفة . ولكنه على حساب الموقف الودي الصديق من ناحية العرب . ويتطرق التقرير إلى مسألة أخرى هي موضوع الحديث آنذاك وهي مسألة الخلافـة وهي مسألة حساسة وعليه فأي اقتراح بشأنهـا يجب أن يصدر من العرب أنفسهم وما على بريطانيا إذا ما اختار العرب والمسلمون شخصاً بعينه خليفة إلا التأييد .

وقد أرسل هـذا التقرير بالبريد العادى ليصل لندن في ١٤ يناير ١٩١٥ . ولكن شيتام يجب أن يبرق النقـاط الرئيسية في التقرير . وقد فعل ذلك في يوم ٧ يناير ١٩١٥ . فمن الوجهة العسكرية فالهجوم على الاسكندرونه يقطع الجيش التركي في سوريا من قواعده في تركيا وتكون له نتائجه الحسنة عسكرياً وسياسياً ثم نقل موقف العرب في سوريا وفلسطين وترحيبهم بالجيش البريطـاني إذا ما قام بغزو وعدم ترحيبهم بجيش روسي أو فرنسي ما عدا الموارنة في لبنان فإنه يحتمل ترحيبهم بجيش فرنسي . وأكد مسألة دوام الاحتلال على الاقل إلى ما بعد الحرب . وأشار في ختـام برقيته إلى المذكرة التفصيلية التي أرسلت بالبريد .

(٢٤٨٠) ويبدو أن الادمرالية البريطانية قد قامت ببعض مناورات وتحركات في اتجاه الاسكندرونة لأغراض استكشافية وفسّر في فرنسا على أنه مقدمات لعمليات عسكرية هناك . وعلمنا من برقيـة شيتام السالفة الذكر في يوم ٧ يناير إشارة إلى الاسكندرونة على أنهـا أهم موضع مقتل في جسم الجيش التركي وكانت سرية إلا أنه في يوم ٩ يناير نقل السير ادوارد جراي وزير خارجية بريطانيـا إلى سفيره في باريس فحوى مقابلة مع سفير فرنسا في لندن في نفس اليوم (٩ يناير) فقد أشار مسيو كامبون (Cambon) السفير الفرنسي إلى الاشاعـة

المنتشرة بأن هناك نية القيام بعمليات عسكرية في سوريا. ويرى السفير أنه إذا ما قرر النزول في سوريا يجب أن تستشار الحكومة الفرنسية لأن الانظار في فرنسا ستتجه إليها وتكون موضع اهتمامهم ومن المستحسن أن تكون الحكومة الفرنسية في وضع يمكنها من الرد على المتسائلين بأنها استشيرت في الأمر . ورد السير جراي بأن هذه النقطة طرأت على ذهنه وهي موضع اهتمامه إلا أن ما حدث قرب الاسكندرونة كان مجرد صدفة وأنه ليس في النية في الوقت الحاضر إنزال جنود بريطانية في سوريا . ويقول جراي لسفيره أنه يعلم أهمية المسألة السورية بالنسبة لفرنسا . ووجهة نظره الخاصة هي أنه إذا ما قرر القيام بعمليات عسكرية في سوريا من المرغوب فيه إشراك فرنسا بوجه أو آخر في هذه العمليات . وعلى كل حال فأية عمليات هناك ربما يكون هدفها قطع خط المواصلات التركية لعرقلة غزوهم لمصر .

عزت باشا العابد

(٢٤٧٩) كان عزت باشا العابد وهو عربي سكرتيراً ثانياً للسلطان عبد الحميد . والمعروف أنه كان له تأثير كبير عليه ولكنه ذهب بعد الانقلاب الذي أطاح بعبد الحميد وسلطنته . وفي ١٥ يناير ١٩١٥ كان في لندن حيث دون لنا المستر كلارك بوزارة الخارجية البريطانية في يوم ٤ يناير محادثة معه .

كان المستر كلارك يتوقع أن يتحدث معه عزت باشا عن سوريا لأنه سوري ولكنه بدأ حديثه عن العرب عامة ورأيه هو ألا سبيل إلى أن يقف العرب كتلة واحدة متحدة في وجه الاتراك والتحرر من سيطرتهم إلا حول خلافة عربية . والمرشح الوحيد في نظره وله الكفاءة والأفضلية

هو الشريف حسين شريف مكة . وقال إن العرب هم أصحاب الحق الشرعي للخلافـة وأن الاتراك ما هم إلا مغتصبين لها ونادى بأن يسمح له بالسفر إلى القاهرة ليرسل لابن الشريف للحضور إليهـــا ويجمع بينه وبين المندوب السامي البريطاني .

وأنصت المستر كلارك وقال بأنه ليس له تعليق بل سيعرض الأمر على رؤسائه . ولكنه لم يشجع هذا الاقتراح لمـــا هو معروف عن سياستهم نحو هذه المسألة . فهي مسألة تخص المسلمين والعرب ولا يجب أن يظهر عليها على أنها موعز بها من جهة مسيحية . وفحوى حديثه وتعليقه وزع على رؤسائه والوزير لورد كتشنر ووزارة الهند . وكانت كل التعليقـــات تؤيد رأي المستر كلارك واقترحوا رداً ينقله له المستر كلارك شفوياً ولا يكون وثيقة بيده فهم قد بحثوا اقتراحه بعنـاية تامة وأنهم يرون أن مسألة الخلافة تخص المسلمين دون تدخـل خارجي وفي الوقت نفسه فإن حكومة جلالة الملك على استعداد لبذل أقصى ما في وسعها أن تكون الاراضي المقدسة تحت حكم إسلامي مستقل دون تدخل خارجي . والحكومة البريطانية على اقتناع تام بأن هذا المسلك منهـا يرحب به رعاياها من المسلمين ولكن لا يجب أن يفسر هـذا الحياد في المسائل الدينية على أنه حياد وعدم تعاطف مع طموح العرب لنيـــل حريتهم السياسية من التسلط التركي . وأبرق فحوى هذا الرد لمكماهون في القاهرة وسألوه فيما إذا كان يرى أية فائدة من حضور عزت باشا إلى القاهرة ويبدو أن المسألة توقفت عند هذا الحد .

أخبار سارة من ابن السعود

(٢٤٧٩) في ٢ يناير ١٩١٥ بعث نائب الملك في الهنـد برقية إلى

وزارة الهند تحمل خبراً ساراً عن موقف ابن السعود . فقد وصل إلى المقيم البريطاني في الخليج يوم ٣١ ديسمبر ١٩١٤ رد من ابن السعود للمقيم يعلن فيه أنه في جانب بريطانيا وأن من أهم أهدافه تحرير البصرة من حكم الترك ويقول بأنه سوف يسافر للكويت لبحث الوعود الثلاثة وهي الحماية من ناحية البحر والاعتراف وعقد معاهدة .

وعند فتح البصرة عثر الانجليز في المحفوظات التركية هناك على مشروع معاهدة بين ابن السعود والترك في ١٩١٤ قبل اعلان الحرب . وقد شرح نائب الملك في برقيته يوم ٢٧ يناير ١٩١٥ الظروف والملابسات التي دارت فيها المفاوضات لتلك الاتفاقية . فعندما فقد ابن السعود الأمل في تدخل بريطانيا لصالحه في ابريل سنة ١٩١٤ اضطر لأن يصل إلى تفـاهم مع الترك إلى حد يضمن فيه المناعـة ضد اعتداءاتهم . وعاوده الأمل في تأييد بريطاني مادي عندما أرسل إليه شكسبير في اكتوبر ١٩١٤ بخطاب ودي من الحكومة البريطانية ولكن بدون طلب معاهدة . ولذلك لم يستجب بطريقة مباشرة لطلب بريطانيا بمهاجمة الترك في البصرة حتى ولو كانت هناك فسحة من الوقت للقيام بهذا العمل . ومع ذلك فقد اتخذ موقفاً يوافق السياسة البريطانية دون أن يقود هذا الموقف إلى سوء علاقاته مع تركيا حتى في الوقت الحاضر فهو ليس على استعداد لأي عهد أو التزام ما لم يضمن معاهدة موقع عليهـا تضمن له موقفه وعلاقته مع بريطانيا وهو الآن يشعر بحرج موقفه إن لم تعقد الاتفاقية بأسرع ما يكون لأنه يخشى أن ترغمه الظروف لاتخاذ احتياطات واستعدادات تظهر انحيـازه للترك . أما إذا تم عقد هذه الاتفاقية الآن فإنه يستطيع أن يتخطى الحاجز ويأتي بكل قوته وموارده ونفوذه للجانب البريطاني .

والأخبار الواردة من ابن سعود تقول بأنه الآن في طريقه لمهاجمـة ابن الرشيد ويأمل أن يتغلب عليه في آخر يناير وسيبقى شكسبير معه.

والضمانات التي أعطيت لابن سعود كانت مشروطـــة بتعاونه مع شيخ الكويت والمحمرة لاحتلال البصرة وفي حالة فشلهم في ذلك يعملون على منع الامدادات التركية من الوصول إلى البصرة وحماية أرواح وممتلكات الاوروبيين هنـاك . ولم يقم بهذه الشروط وليس عليه التزامات الآن بدون عقد معاهدة . أما ما يتعلق بسيد طالب فقد قال كوكس في ١٥ يناير أنه الآن خاضع تمام الخضوع وأدرك أن البصرة لم تعد بالمكان الذي يستطيع الإقامـة فيه ويترقب بقلق المكان الذي يأوي إليه تحت الحماية البريطانيـة . ويعتبر كوكس وجوده في شط العرب غير مرغوب فيه . وعليه فقد عملت الترتيبات لإرساله لبمباي مؤقتاً ضيفاً على الدولة براتب ١٢٠٠ روبية .

وفي يوم ٢٩ يناير ١٩١٥ أبرق نائب الملك في الهند إلى وزارة الهند قائلاً ان ابن سعود بعث بمذكرة مبدئية لتكون موضوع نقاش المعاهدة المرتقبة وتحوي مقترحاته تفصيلات تثير بعض العقبات وتستدعي التفكير بروية لأنها تشمل تحديد الحدود والقانون والسلطات القانونية وإيواء اللاجئين والمعاملات المتبادلة للرعايا وحركة السلاح وتسهيلاتها . وتعتبر حكومة الهند عقد معاهدة في أسرع وقت بالغ الأهمية في الوقت الحاضر .

ويجب أن تكون على أسس عامـــة مشابهة للاتفاقية الأصلية مع عبد الرحمن حاكم افغانستان وتقترح حكومة الهند ما يلي :

١ - تعترف الحكومة البريطانيـــة بابن سعود حاكماً مستقلاً لنجد والاحساء والقطيف وتضمن الحكم الوراثي في عائلته شريطـة أن تقبل القبائل بالحاكم الجديد وتصادق عليه حكومة جلالة الملك.

٢ - تساعد الحكومة البريطانية ابن سعود إلى الحد وبالطريقـة التي

يستدعيها الموقف في حالة تعرض أراضيه لاعتداء من جانب أي قوة أجنبية بدون مبرر أو إثارة .

٣ - ومقابل ذلك يتعهد ابن سعود بألا يتعامل مع أي دولة أجنبية أو يمنح أي امتيازات لرعايا أي دولة أجنبية إلا بنصيحة الحكومة البريطانية . وفي هذه الحالة يجب عليه أن يتبع هذه النصيحة بدون أي تحفظ .

٤ - يوافق الطرفان على عقد معاهدة تفصيلية بمجرد أن تتم الموافقة على هذه الخطوط العريضة حيث تشمل التفصيلات المسائل الأخرى التي تمس مصالحهما .

ويقول نائب الملك أن كوكس يوافق على معاهدة مبدئية على هذه الأسس تناسب الحالة ويعتقد أن ابن سعود يوافق عليها . فضمان الحكم في السلالة الحاكمة أمر ضروري وقد منح الترك هذا الحق لابن سعود في مشروع معاهدتهم معه في ١٩١٤/٥/١٥ . وسيوضح لابن سعود أنه من المستحيل في الوقت الحاضر الاستغناء عن فصيلة من الجند لمساعدتة خاصة ولو انه لا يحتمل مطالبة بريطانيا مساعدته في الوقت الحاضر وعند انتهاء الحرب فليس هناك من جهة تدعوه للتخوف منها إذا ما هزمت تركيا . وقد أبرق كوكس في ٢٥ أن المعاهدة المؤرخة في ١٥ مايو الماضي بين تركيا وابن سعود وجدت في المحفوظات التركية .واهم بنودها تتعلق بضمان الحكم في سلالة آل سعود وتعهد ابن سعود بألا يتعامل مع دول أخرى وأن لا يعطي امتيازات لها وفي حالة الحرب يساعد الحكومة التركية في الحال بقوات مسلحة . فمندما دخلت تركيا الحرب ضد دولة صديقة كان هذا مبرراً كافياً لأن ينقض ابن سعود هذه المعاهدة والارتباط بمعاهدة أخرى مع الحكومة البريطانية . وفي الختام

يطلب نائب الملك إجابة في وقت مبكر .

وفي يوم ٣١ يناير أبرقت وزارة الهند لنائب الملك موافقتها على مقترحات المعاهدة مع ابن سعود مع الملاحظات الآتية :

١ - ضمان الحكم للعائلة يجب أن توافق عليه القبائل ما أمكن ذلك. ولعلك تتذكر الصعوبة التي اعترضت هذا الشرط في حالة المحمرة . فالمفاوضات يجب أن لا تتوقف وتنقطع بسبب هذه النقطة .

٢ - يجب أن تتوقع أن يطلب شيخ الكويت ضماناً مماثلاً طالما أن كلا من ابن سعود وشيخ المحمرة حصل على ذلك .

٣ - البند الخاص بالاعتداء الخارجي دون مبرر أو إثارة يجب أن يصاغ بطريقة تجعل الحكومة البريطانية الحكم في طبيعة ومدى المساعدة .

٤ - النظر فيما إذا كانت المعاهدة تحوي بنداً يلزم ابن سعود عدم التدخل في الكويت والبحرين وقطر وزعماء الامارات المتصالحة إلى أن يحين الوقت لتحديد الحدود . ولكن يترك الأمر لنائب الملك يتصرف بما يراه .

ولا بد أن ترسل وزارة الهند للخارجية ما تم في أمر إجراءات وضرورة هذه الاتفاقية مع ابن سعود . ففي اليوم الذي أبرقت فيه بموافقتها مع إبداء ملاحظاتها (٣١ يناير) كتبت للخارجية شرحت لها المقترحات ثم أشارت ألى أن ابن السعود لا يريد أن يدخل في التزامات وتعهدات إلا بعد عقد معاهدة رسمية مع بريطانيا . وموقفه الحالي سليم بالنسبة لبريطانيا لأنه لم يف بالتزاماته لتركيا بموجب معاهدته معهم بإرسال قوات مسلحة لمساعدتهم . بل إنه منع ابن الرشيد من مساعدته

لهم بالرغم من أنه تسلم عوناً مالياً وأسلحة تركية وربما ضباطاً وذلك بالدخول في معارك معه منعته عن إمدادهم وبهذه الطريقة يمكن أن يقال انه اشترك بطريقة سلبية في مساعدة حكومة جلالة الملك. وترى وزارة الهند أن الحكمة في عقد معاهدة مع الأمير عبد العزيز لا تبررها الحالة الحاضرة فحسب بل بما ستكون عليه الحالة في الخليج نتيجة لهذه الحرب الدائرة. وباختفاء تركيا كقوة حاكمة في البصرة فالمنتظر أن لا يكون أمير نجد سيداً على نجد فقط ولكنه يسيطر على شريط من الساحل مما يستدعي بالضرورة لضمان السلم والاستقرار للدولة التي تسيطر على الخليج أن تكون في علاقات ودية معه.

وعليه فالمدى الذي يسمح له بنيل مطالبه لا يقاس بما يقدمه من مساعدة أو خدمات في الوقت الحاضر بل بما سوف يملكه من قوة يستطيع بها إلحاق الضرر والأذى إذا ما كان في موقف العداء.

ولا يجب أن تحمّل معاهدته مع تركيا أكثر مما يجب. فمن المعروف أنه دخل في هذه المعاهدة ضد رغبته لأن عروضه لحكومة جلالة الملك لم تجد الاستجابة المطلوبة. وفي يوم ٢ فبراير ١٩١٥ أجابت وزارة الخارجية بأنها توافق على المعاهدة. وفي أواخر هذه السنة تمت كل الإجراءات ووقع على المعاهده التي ننشرها بنصها في الملحق. (ملحق نمره ١).

وزارة الهند والخلافة

(٢٤٧٩) كان هناك تعاون وثيق بين وزارة الخارجية البريطانية ووزارة الهند فيما يتعلق بالشؤون العربية لأن الأخيرة لها الإشراف الكامل على عسير وعدن والمحميات واليمن والجنوب العربي عموماً والخليج

وداخل الجزيرة العربية ونجد والعراق . وقد بدأت كما قدمنا الاتصالات مع الشريف حسين في مكة ومع بعض زعماء العرب في مصر وفلسطين قبل وبعد دخول تركيا الحرب وقد ورد ذكر لخلافة عربية بدلاً من التركية . وموقف وزارة الخارجية بعد المشاورات هو الحياد في هذه المسألة على أنها تخص المسلمين . ووزارة الهند يهمها أمر الخلافة لأن رعاياها في الهند من المسلمين أكبر مجتمع إسلامي ويقع تحت نفوذها عدد من زعماء العرب في الجزيرة العربية ولذلك وافقت على هذا الموقف من قِبَل الحكومة البريطانية .

قالت هذا بصدد ما ذكر من أن المرشح لهذه الخلافة هو الشريف حسين شريف مكة واعتراضها على الشريف هو أن هذه الخلافة يتبعها بالضرورة سيادة سياسية على كل جزيرة العرب وهذا أمر غير مقبول للزعماء الآخرين وحسب التقارير التي وصلت من الهند فإنه لا فائدة ترجى من تدخل بريطاني في مسألة الخلافة بل قد يقود إلى أضرار كما هو محتمل . وعلى هذا فوزارة الهند تفضل حذف إي إشارة لخلافة أو الاعتراف بها أو تأييدها فالمفاوضات مع العرب مع التأكيد لهم أن هذا الموقف الحيادي تجاه الخلافة لا يعني أن حكومة جلالة الملك لا تنظر بعين العطف لتتطلعات العرب في نيل حريتهم السياسية من نير الحكم العثماني .

قسيس مالطي يدلي بمعلومات

(٢٤٨٠) في رسالة من السفير البريطاني في أثينا للخارجية في لندن تاريخها ٣١ ديسمبر ١٩١٤ (وصلت لندن ٩ يناير ١٩١٥) دوّن فيها معلومات أدلى بها قسيس مالطي اسمه الأب شارلس أبيلا (Charles Abela)

من الجزويت أتى من زحلة في لبنان . وصل أول فريق من جند الاتراك الى زحلة وعددهم ٣٠٠ في منتصف نوفمبر وتتابع عليهم بعد اسبوعين ثلاثة آلاف . وأصاب الأهلين الذعر في أول الأمر . لكن شعورهم انقلب الى احتقار وشفقة للحالة التي كانوا عليها . لم يذوقوا طعاماً يومين كاملين ولباسهم قطن لونه كاكي في ذلك البرد القارس . وعليه فقد مات منهم ثمانون نتيجة هذه الحالة . ولم يكن مسلكهم مشيناً سوى أنهم طردوا الآباء الجزويت ورحلوهم الى بيروت . ويعتقد الأب أبيلا أن خمسين ألفاً من الموارنة كانوا قد انضموا الى الحلفاء إذا ما نزلوا في لبنان في الأيام الأولى للحرب . ولكن كل يوم يمر يجعل احتمال تحركهم صعباً . والأهالى هناك يسرهم منظر أية سفينة للحلفاء تمر على الساحل . ويقول الأب أن الترك يكرهون الانجليز بمرارة والجاليات الانجليزية دون غيرها هي التي تعاني من قسوتهم . وعندما ظهرت بارجة حربية في ميناء الاسكندرونة جمع الترك ٤٠٠ من الجالية الانجليزية في دمشق وبعثوا برسالة الى قائد البارجة أنهم سوف يعدمون إذا ما قام بأي عمل عدائي . وحسب ما سمع الأب كان الرد أن خمسين مسلماً تزهق أرواحهم لكل انجليزي يعدم . ويعتقد الأب أن كل الاقليم يكره الوضع القائم ويرحّب بأي وضع ما عدا الالمان . فالضباط الالمان منتشرون في كل مكان وهم مكروهون لدرجة بالغة ولا يُستغرب إذا ما أنهم ذبحوا عن بكرة أبيهم .

أخبار من البصرة

(٢٤٧٩) في برقية بتاريخ ١٩ يناير ١٩١٥ بعث بها قائد الجيوش البريطانية في الهند لوزارة الحربية تنقل المعلومات التي تلقتها استخباراته

عن الحالة في منطقة البصرة . لقد حشد العدو (الاتراك) جيشاً قوامه عشرة آلاف بمدافعه وتحتوي على مدفعين المانيين وستتبعها قوة أخرى ترسل من بغداد . والكابتن شكسبير وهو ما زال مع ابن السعود يقول في تقريره ان الخطـــة التركية الأولى كانت تعتمد على مساندة العرب كالآتي :

يدافع ابن السعود عن البصرة ضد تقدم الجنود البريطانيين . ويتقدم ابن الرشيد وقبيلة عنزة الى سيناء مع القبائـل الغربية . ويقوم شريف مكة وإمام اليمن والإدريسي بحماية اليمن والحجـاز والاراضي المقدسة . فهذه الخطة أفسدها ابن السعود وشريف مكة وقبيلة عنزة بامتناعهم عن تنفيذها والأخيرة (عنزة) انضمت الى ابن السعود ضد ابن الرشيد الذي توقف عن التقدم الى سيناء لأنه هوجم من قبل ابن السعود .

تقرير عن حقيقة الشعور في سوريا

(٢٤٨٠) من أولى أعمـال سير هنري مكماهون عندما حضر للقاهرة معتمداً لدولته تقديم تقرير واف عن مسألة سوريا وتطلعات أهلها . وقد عرفناه قبل قليل على رأس وفد بريطانيا يفاوض وفداً فرنسياً في باريس عن عمل مشترك يدرأ به الحلفاء الدعاية التركية تؤيدها المانيا في الاقطار الاسلامية التي تقع تحت نفوذ بريطانيا وفرنسا ووصلوا الى اتفاق بضرورة توجيه الصحافة وتبـادل المعلومات . وفي ٥ فبراير ١٩١٥ كتب رسالة مطولة أشار فيها الى رسالة سابقة لمستر شيتام في يناير يعـــالج مسألة احتمال عمليات عسكرية في سوريا وشعور الاهالي هناك .

فالمسألة السورية دخلت مرحلة خطيرة في مصر بإثارة من الصحافـــة

المحلية التي تؤيد حسب المصدر الموحي إليها إما انجلترا أو فرنسا . وقد نشطت هذه الدعاية لدرجة اضطرت السلطات البريطانية أن تأمر الرقابة بوقفها وعدم السماح بنشرها . والدافع لهذا النقاش في الأيام الأخيرة بلا شك يعزى لدرجة كبيرة الى وصول البعثة العسكرية الفرنسية والتي ظن أنها إنما حضرت للقيام بعمل فيه تأييد للمصالح الفرنسية في سوريا . ولذلك يرى سير هنري أنه لا بد من الوصول الى تفاهم مع فرنسا لإزالة الشكوك والمخاوف من نيات بريطانيا وما تقوم به من أعمال . ويرفق سير هنري مع هذا التقرير مذكرتين تعبر إحداهما عن آراء سوري مسيحي في وضع قيادي بالنسبة لطائفته والاخرى اختصار لمذكرة شيخ مسلم مثقف يمثل آراء وتطلعات زعماء القومية العربية . ويتبين الانسان من المذكرتين أنهما تتفقان على شيء واحد وهو الاعتماد على انجلترا وحدها في تحقيق تطلعات الطائفتين اللتين يترقب إقرارهما بفارغ الصبر كلمة منها فيها التأييد لما يصبون إليه . وأشار سير هنري في هذا الصدد الى محادثة مع آغا خان وله أتباع في سوريا أكد له فيها أنهم يرغبون رغبة صادقة في حماية انجلترا لهم وينفرون من أي وضع تحت فرنسا .

والحقيقة الواضحة دون أي غموض هي أن أي تدخل من فرنسا أو روسيا في سوريا سيقابل بامتعاض وربما بعداوة ومقاومة من كل المسلمين والمسيحيين . والكل يتجهون نحو انجلترا وإذا فشلوا في ذلك فربما يتجه المسيحيون لفرنسا في حالة يأس . وقد يقع المسلمون فريسة لدعاية الرابطة الاسلامية التي تصدر من استانبول . غير أنه اذا ما صدر من بريطانيا أي تأييد أو ضمان بالكلام أو بالفعل فأنه سيقابل بعمل ايجابي وتقوم الجمعيات المعادية لتركيا في سوريا بثورة ضدها . فإذا ما شبت تلك الثورة قبل أوانها فربما تضطر الحكومة البريطانية للتدخل

والتورط لدرجة كبيرة حتى يصعب انسحابها لأنها لو انسحبت ستفقد سمعتها وهيبتها في كل أنحاء الشرق الأدنى . ولكن في الوقت نفسه فكل من الطائفتين تصران على أن تصدر انجلترا تصريحاً بما تنوي اتخاذه من سياسة . وكان الرد أنهم سيعرفون هذه السياسة في الوقت المناسب وعليهم الامتناع عن القيام بأي عمل قبل أوانه . ويرى سير هنري أن الوقت قد حان لتوضيح السياسة البريطانية ولا تحتمل هذا التأجيل ولا بد والحالة هذه الى الوصول الى تفاهم مع فرنسا حول المسألة السورية .

والحل المثالي في نظر مكماهون هو الذي يرضي تطلعات آمال المسيحيين والمسلمين المعقولة للمقيمين في سوريا والمهتمين بأمرها وفي الوقت نفسه يرضي مصالح فرنسا لسلامة سكتها الحديدية ومشاريعها الأخرى في سوريا دون تدخلها الفعلي مع عدم لجوء بريطانيا للاحتلال . على هذا الأساس كان سير هنري يرى أن الآراء المتضمنة في مذكرة السوري المسيحي مع بعض التعديلات الطفيفة ربما ترضي هذا الحل المثالي وفي الوقت نفسه ترضي المطالب المعقولة للمسلمين . أما مذكرة الشيخ المثقف التي تمثل تطلعات القومية العربية فلا ترضي الحل المثالي بالرغم مما حوته من جوانب لها جاذبيتها . فمذكرة المسيحي تنادي بامتداد سلطة سلطان مصر الى سوريا تحت الحماية البريطانية مع إقامة حكومة تتمتع بحكم ذاتي محلي حسب حالة الاقليم . وفي هذا الوضع يتحاشى احتلال بريطانيا أو فرنسا لأي جزء من المنطقة وفي الوقت نفسه لا يخرج البلاد من السيطرة الاسلامية . وهذا الوضع فيه ضمان للمصالح المتضاربة سواء كانت دينية أو قومية تحت إدارة مستقرة تراعي الشعور الفردي كما هي عليه الحالة في مصر . فاقتراح كهذا يستحق النظر. فالواضح أن أي احتلال فرنسي لأي اقليم في سوريا سيقابل بامتعاض من المسيحيين والمسلمين وخاصة من الأخيرين . وحتى الموارنة وهم معروفون بميولهم لفرنسا

يبدو عليهم الآن عدم الرضى عن التدخـــل الفرنسي ، ودخول جيش فرنسي في سوريا سوف يثير المؤامرات ويزيد في حدة التنافس بين المصالح الانجليزية والفرنسية من قبل المؤيدين لكل من الطرفين .

والنتيجة من كل هذه المناقشة هي أنه لا يجب أن تصدر أية تأكيدات عن سوريا وأن لا تتخذ أية خطوة نحو القيام بعمل فيهـا يورط انجلترا لاتخاذ سياسة معينة تقيدها في المستقبل قبل التفاهم مع فرنسا بمعاهدة . فعليه يرى السير هنري أن أي احتلال لجزء من الساحل السوري بدون مبرر عسكري يجب أن لا يسمح به . ولذلك فالعملية الوحيـدة التي ترتبط عسكرياً بتحركات الجيش التركي لغزو مصر هي قطع مواصلاتهم في الاسكندرونة والتي تعتبر عملية منفصلة لا علاقة لهـــا باحتلال وسياسة سوريا .

ولنبدأ بتلخيص رأي السوري المسيحي المقيم في مصر . فهو يرى أن هزيمة الجيش التركي الذي يتجمع الآن في سوريا وفلسطين أمر حتمي . ولذلك ستنحل الادارة التركية وتعقبها حروب أهلية بين الطوائف هناك وتنتشر الفوضى ويختل الأمن ولا بد والحالة هذه أن تبرز قوة تستطيع إعادة الهدوء والأمن للمنطقة ، فالأتراك والالمان لا يستطيعون ذلك . ولا مفر والحالة هذه من أن تقوم انجلترا أو فرنسا أو الاثنتان معاً بالسيطرة أو إقامة حكم يحفظ الأمن . وهو يرى في انجلترا الصلاحية لهذه المهمة التي تخدم مصلحتها . فحماية لمصر والقـنال يتحتم على انجلترا أن لا ترى دولة اوروبية أخرى تحتل جنوب فلسطين . وحيفا تحتـل نقطة استراتيجة بالنسبة للمواصلات لمصر والحجاز والعراق . والاسكندرونة أهم مرفأ طبيعي شرقي البحر الأبيض المتوسط . وهو يرى أن لا مصلحة لفرنسا في سوريا فهي مرتبطة بلبنان فقط . فسكتها الحديدية لا تدار

على أساس تجاري ومدارسها مرتبطة بالكاثوليكية المتطرفة ولا ترضاها الطوائف المسيحية الأخرى من الارثودكس والأرمن وغيرهما . والمسلمون وهم أغلبية يكرهون فرنسا ولا يقف معها إلا الموارنة في لبنان .وربما تحاول روسيا التوسع من هضبة أرمينيا إلى أضنه والاسكندرونة وانجلترا لا تود حدوداً مشتركة مع روسيا .

واتقاء لهـــذه الحالة ربما توافق انجلترا على السماح لفرنسا باحتلال سوريا الشمالية ونتيجة لذلك ستقام حدود غير طبيعية في أرض يقيم بها شعب واحد وربما يؤدي هذا الى وجود أفراد من عائلة واحدة مشتتين بين منطقتي نفوذ بقوانين وجمارك مختلفة وعليه فهذا التمزيق لسوريا يجعلها في وضع أسوأ مما كانت عليه في العهد التركي .

ويرى صاحب المذكرة أن سوريا كانت تتوق منذ زمن الى وضع يشبه وضع مصر . فهي تريد الاتصال بالأقطار العربية الاخرى كمجال حيوي لنشاط أبنائها . أما إذا قطعت صلاتها بالبلاد العربيـة فستبقى قطراً فقيراً تزيد فيه الهجرة الى الخارج كما هو حادث الآن لأمريكا . والحـــل في نظره هو أن ينصب سلطان مصر سلطاناً على سوريا يقيم الشتاء في عاصمته في مصر والصيف في عاصمته في سوريا وبيت محمد علي هو البيت الوحيد المعترف به كبيت مالك في الاقطار العربية ولا زال السوريون يذكرون عهـد ابنه ابراهيم باشا . ويقام حكم محلي في سوريا بوزرائه وحكام مقاطعاته ومحاكمه كما هو الحال في مصر . وستمتد الحماية البريطانية على القطرين وتباشر بريطانيا السياسة الخارجية وهذه الوحدة يستفيد منها القطران في ميدان تبادل الحاصلات والمنتجات . فمصر بلاد زراعية تمد سوريا بالانتاج الزراعي وسوريا لها أسس وامكانيات صناعية يمكن تطويرها لتمد مصر بإنتاجهـا الصناعي . والسكان في القطرين لا يختلفون عن بعضهم في الدين والعادات والتقاليد وسيكون للخط الحديدي

بين مصر وسوريا أهميته لهذه الوحدة . وهذه الوحدة بين مصر وسوريا ستقود إلى إنشاء علاقات فعّالة مع الاقطـار العربية الأخرى فالبصرة وبغداد لازمان لانجلترا بحكم موقعهما من الخليج سيكون لهما نوع من الاتحاد مع مصر وسوريا مع تمتعهما بحكم خاص . وضرورة سكة حديدية تربط بغداد بالبحر الابيض المتوسط تحت قوة واحدة أمر واضح .

وسينتقل مركز الثقل في العالم الإسلامي إلى مكة وهذا لا يتضارب مع الحماية البريطانية على معظم البلاد العربية بل يؤكد سلامة ووحـدة الأراضي المقدسة . ووحدة عربية بهذه الطريقة ترضي وتتفق مع الشعور العربي . فشعور القومية العربية حطم سياسة تركيا الفتاة في السنين القليلة الماضية بالمقاومة السلبية . فإذا ما تقاسمت الدول الأراضي العربية وشعر العرب بمرارة هـــذه التجزئة فإن الدعوة للرابطة الاسلامية ستنشط وستكون سلاحـــاً خطراً في يد آل البيت أصحاب الحق الشرعي في الخلافة . فإذا ما غذيت هذه النزعة القومية لأجيال في المستقبل ستخلق أمة تتحدث العربية مستعدة لتحتل مكانهـــا في الامبراطورية البريطانية مثل مكانة الهند الحالية والوفاق بين المصالح المحلية المتضاربة والتي تعوق الوحدة القومية لا يتم إلا بقيادة وإشراف قوة منيعة . والحدود للعـالم المتحدث باللغة العربية تطابق الحواجز الجبلية والطبيعية التي تمتد شمال الاسكندرونة وحلب . وحكومة هـذا الاقليم في المستقبل القريب لا تعترضها عراقيل . فتجربة الضباط البريطانيين التي جعلت السودان كما هو عليه الآن ستكون نموذجاً للحماية البريطانية في سوريا وستضمن سيطرة قوية ولكنها تتعاطف مع السكان .

ويختم السوري المسيحي مذكرته بأن المسألة لا تحتمل التأجيل ويجب أن يبت فيها على وجه السرعة لأن بعض الدوائر السورية تتفاوض مع بعض النواب الفرنسيين بعد أن يئسوا من تأييد بريطانيا . وهذا الفريق

يضغط على السوريين المسيحيين الموالين لبريطانيا للانضمام إليهم. وبالضرورة سينضمون في آخر الأمر إليهم إلا إذا صدرت تأكيدات بأنهم سيصلون الى أهدافهم بطريقة أخرى . والخلاصة من كل هذا هي :

١ – القيام بعمل سريع للاتفاق على الخطوط العريضة بين انجلترا وفرنسا بعرض تعويض للأخيرة مقابل إطلاق يد انجلترا في سوريا .

٢ – يعلن لسوريا في الحال أن الحكم التركي عليها قد انتهى . وذكر في آخر المذكرة أن هناك بعض المسائل الأخرى لا يتسع المجال لها مثل وضع اليهود ومسألة القدس والحدود ومستقبل التجارة والمالية .

أما المذكرة الثانية فلم يكن اسم صاحبها سراً كالأولى بل هو الشيخ رشيد رضا أحد زعماء القومية العربية كما سماه سير هنري . بدأ الشيخ رشيد مذكرته بترحيبه بالتصريحات البريطانية . فهي قد زادت من تقديرهم للسياسة البريطانية وأنه متأكد من أن التوافق بين المصالح البريطانية ومصلحة المسلمين عموماً والعرب خاصة سيتم باتباع هذه السياسة . وسرنا أكثر إعلان بريطانيا أنها دخلت الحرب للحد من التسلح ورعاية حقوق الضعفاء والمضطهدين . فإذا ساعدت بريطانيا العرب ليكونوا سادة في بلادهم ستستفيد هي أكثر مما لو ضمت أراضيهم أو أي جزء منها أو سمحت لقوة أخرى بذلك بحق الفتح والحماية أو الاحتلال أو أي تعبير آخر معروف في لغة الاستعمار الحديث . ولم نفقد الأمل في بريطانيا لأننا لو فقدناه ما كنا نتصل بمندوبيها في هذه البلاد ونقدم لهم مثل هذه المذكرة والذي نطلبه من بريطانيا هو ما يريده المسلمون عامة والعرب خاصة ويتلخص في أن تستخدم بريطانيا نفوذها لينال العرب والمسلمون استقلالهم في مهد الاسلام في شبه الجزيرة العربية وما جاورها من أرض العرب . وتحد شرقاً بإيران والخليج وغرباً بالبحر الأحمر

ومصر وشمالاً بآسيا الصغرى وجنوباً بالمحيط الهندي . وهم يطلبون منها أن لا توافق على أن تسلب أية قوة جزءاً منها أو منطقة نفوذ أو حماية . والعرب في سوريا والعراق على استعداد لادارة شؤون بلادهم على مبادىء اللامركزية والاتحاد ويعيدون مدنية العرب لمهدها في سوريا والعراق . والجمعيات السياسية العربية على استعداد لهذه الحركة ولجنتهم المركزية وضعت القوانين الأساسية واللوائح ولم يبق إلا اعتراف الدول وفي اعتقادهم أن الدولة التي لها الأفضلية والصلاحية لذلك هي بريطانيا العظمى لأن هذه المساندة تتفق وتقاليدها ومصالحها .

فهذة وجهات نظر أبداها عربيان مقيمان في مصر ولا حاجة لي لشرحها لأن الصورة واضحة .

برقيات من عدن والهند عن الحالة في الجنوب العربي

(٢٤٧٨) يتحدث المقيم السياسي البريطاني في عدن (٧ فبراير)عن تخطي الأتراك الحدود إلى المحميات التي تستظل بالحماية البريطانية ويطلب السماح له بأن يوزع مالاً على الزعماء المتحالفين معهم وتحت حمايتهم لمحاربة الترك وفي الوقت نفسه لا بد من أن تخرج قوات بريطانية من عدن لتقاوم الترك لأن الوجود البريطاني المسلح سيشجع القبائل الموالية ويرفع من هيبة بريطانيا . وفي برقية منه يوم ٩ فبراير وصلته معلومات تفيد بعدد الجنود التركية التي وصلت إلى قرية بالقرب من الضالع وسيتبعهم إمام اليمن بقوات كبيرة ولذلك لا بد من خروج الجنود البريطانيين للمقاومة زيادة على مساعدة الزعيم المسمى مافيا . وكان الرد على هذه المطالب أن الحكومة لا تستطيع أن ترسل مزيداً من الجنود لعدن في الوقت الحاضر سواء بصفة مستديمة أو مؤقتة اللهم إلا في حالات

الطواريء . وسمح للمقيم أن يصرف خمسة وسبعين ألف روبية الزعماء في المحميات ومنهم الزعيم المدعو مافيا .

وكان هم السلطات البريطانية الأكبر في عدن هو التعرف إلى موقف إمام اليمن . ففي ٨ فبراير ١٩١٥ كتب المقيم السياسي رسالة مطولة عنه بعد أن وصل مندوب منه يحمل رداً على رسالة المقيم له . فهي ودية في مجملها ويذكرهم بالعلاقة الحسنة التي كانت قائمة بينهم وبين أسلافه . غير أن السلطات البريطانية في عدن أخذوا معلومات دقيقة جداً عن عدد الجنود الأتراك المثبتين في حاميات اليمن وعن قرار استانبول بسحبها كلية من الأراضي اليمنية إلا أن الالمان نصحوا للترك أن يتركوها في حامياتها حتى لا ينتهز الانجليز هذه الفرصة لاحتلال اليمن . والانطباع الذي خرج به المقيم من المحادثة التي امتدت إلى ساعات مع المندوب هو حسب تعبيره أن الإمام يفكر بطريقة الامبريالية . فأسلافه كانوا يحكمون جميع الأراضي اليمنية فإذا ما انتهى حكم الأتراك فإنه سيبسط نفوذه على كل اليمن ويزيد عليه أراضي جديدة . وللوصول لهذا الهدف فإنه يفيد من كل الظروف المتاحة له بعد أن حوّل الاتراك حكومتهم المركزية إلى تعز ومن المؤكد أن الإمام على اتصال بالقبائل التي تقع تحت الحماية البريطانية ولذلك يهمل الحدود مع الترك ولا يعترف بها . وهو يطمع لأن تكون بلاد العرب للعرب وهو زعيمها الروحي وبمرور الوقت يصبح حاكمها الزمني أيضاً . وهو لا يخفي شكه في نوايا بريطانيا . فهي في نظره متآمرة لاحتلال اليمن . وهذه الفكرة غرسها في ذهنه الترك .

وبعد بسط هذا الموقف الذي استخلصه المقيم السياسي يرى أن يوضح الحقائق . فالإمام غير محبوب في المحميات ما عدا بعض أماكن متفرقة . فتعاليم الزيدية غير مقبولة لدى الشوافعة بوجه عام .فالمحميات مليئة بأساتذة وعلماء المذهب الشافعي . ويجب أن نذكر أن الإمام كان

يوماً ما حاكماً لليمن وأن نوابه في المحميات على مذهبه . وكثير من الذين تحولوا إلى المذهب الشافعي كانوا في وقت ما زيدية . وسيتحولون بسهولة مرة أخرى إلى الزيدية إذا ما أحسوا بسيطرة الإمام . فإذا ركنت بريطانيا إلى الراحة ولم تتحرك من عدن وعلم الجميع أن لا إمدادات عسكرية فمن المحتمل إذا ما تخطى الإمام الحدود فإن بعض الزعماء داخل المحميات ينضمون إليه في جبهة إسلامية تكون شماراً لهم وبالتالي ستهبط سمعة بريطانيا . وإذا كانت هناك بلاد في أرض الإسلام يشعر فيها الترك بضربة مؤلمة فهي بلاد العرب وفي اليمن خاصة لقربها من المدينتين المقدستين .

أما الإدريسي فإنه بعث بوزيره لعقد معاهدة ويبدو أنه على استعداد لمهاجمة الترك . وابن ناصر مقبل سيحذو حذو الإدريسي حسب ما يعتقد المقيم . وعندما يتبين للإمام أفول نجم الترك بعد الهجوم عليه سينضم هذا التكتل العربي لمصلحته الخاصة . والسؤال هو إلى أية جهة يميل الإمام ؟ ويرى المقيم أن الموقف الصحيح تجاه الإمام هو الاعتراف بسلطانه على اليمن العليا وأن ينقل إليه طالما أن بريطانيا لا تود امتداد نفوذها إلى تلك المنطقة على ما فيها من مسؤوليات .

ولا بد من تكرار زهد بريطانيا في ضم أقاليم جديدة وأن العمليات ضد شيخ سعيد كانت ضد الترك . ومن الناحية الأخرى يجب أن يعلم أن أي عمل ضد المحميات من أتباعه فهو عمل عدائي وأن بريطانيا تعترف بمطامعه المشروعة في الاراضي التي كان يمتلكها الاتراك مؤخراً وأنه إذا ما تحالف مع بريطانيا فأنها تمنحه صداقتها وتضمن له استقلاله ضد أي تدخل خارجي . وإذا لم يستطع إخراج الترك فإنه يجب عليه ألا يتعاون معهم . ولا بد من ضمان الإدريسي في أراضيه ويمنح ابن ناصر مقبل استقلاله تحت حماية بريطانيا .

ويكرر المقيم طلبه للنجدات لأن الوجود العسكري ضرورة . فليس بالإمكان حشد العرب في جبهة واحدة على وجه السرعة لتقف ضد الترك في اليمن . فلا بد من رفع روحهم المعنوية بظهور الجنود البريطانيين . وللإمام جنود محتشدة على طول الحدود الشمالية للمحميات وترسل النشرات المطبوعة وتوزع في كل الأنحاء حاملة أنباء الحرب في أوروبا غير أن الأمام وأتباعه خاضعون لدعاية الأكاذيب التركية . ويرى المقيم أن الإمام سوف لا يؤجل هجومه على المحميات . فأمير الضالع طلب جند الإمام لمساعدته ضد إخوانه . وبذلك انضم إلى الجبهة الاسلامية ضد البريطاني الأجنبي وعليه فقد قطعت منه الاعانة .

وفي مقابلة بين مبعوث الإمام والكولونيل جيكوب مساعد المقيم في أول فبراير ١٩١٥ أشار جيكوب للمندوب على أن يسحب الإمام جنوده المحتشدة على حدود المحميات وينصح بأن يعلن حياده إذا ما نشبت حرب بين الترك والعرب المستظلين بالحماية البريطانية . وأجاب المندوب بأن الإمام لا يستطيع أن يحارب الترك . ولكن جيكوب أجاب بأن بريطانيا لا تتوقع منه أن يحاربهم لأمرين : أولهما أنه يتسلم منهم إعانة مالية . وثانيهما لأن بريطانيا على علم بأنه لا يستطيع السيطرة على بعض القبائل إلا بالمرتزقة الترك . ولكن المبعوث لم يوافق على هذا وأشار إلى قوة الإمام بغير المرتزقة . وقيل للمبعوث أنه إذا وقف الامام موقفاً حيادياً واضحاً فإن الحكومة البريطانية ستكون على استعداد لضمان استقلاله في اليمن العليا والتي تركها الترك لادارته بنقل حكومتهم المركزية الى تعز كما أنها ستؤيده دبلوماسياً للحفاظ على استقلاله بقدر الإمكان ضد منافسيه . كل هذا يعتمد تفسيره لعبارة الحياد الدقيق .

وشعر المندوب أن الإدريسي ربما يوسع دائرة نفوذه على حساب الإمام إذا ما امتنع عن أي نشاط . فقد أشار إلى أن سيده كان حاكماً

لكل اليمن بما فيه عدن وحضرموت . فأجيب بأن هذه دعوى قديمة مضى عليها الزمن وأن الحكومة البريطانية ليس لديها مطمع في توسيع اقليمي واعترفت بنفوذه في بقعة من الأرض معينة . ولكن العرب الذين الذين حاربوا معها لهم الحق لامتيازات خاصة ومكافآت اقليمية . فالإمام زيدي وحتى لو تمكن من فتح اليمن وهذا موضع شك فسوف يلقى مقاومة من الأغلبية الواضحة للقبائل الشافعية . وأشار جيكوب إلى أن بريطانيا وجدت في الهند أمثال هذه المشاكل الطائفية والمذهبية ولكنهم استطاعوا حكمهم في سلام وأمان بإدارتهم الرشيدة غير المتحيزة لجانب أو آخر . واعترف المندوب بذلك وبأن الانجليز كأصدقاء خير من الترك وكتابه المقدس يقول بأن النصارى أصدقاء للمؤمنين أكثر من الآخرين . وقال المبعوث بأن الإمام ليس له ما ينازع فيه بريطانيا ويبدو أن الإمام يأمل في أن ينال مغنماً من زوال نفوذ تركيا المرتقب بجذب المسلمين إلى جانبه في مختلف أقاليمهم ولكن مندوبه وافق على أن الشعار هو أن الجزيرة العربية للعرب بخلافة عربية في مكة . وأخبر المندوب بأنه إذا ما هاجم الإمام المحميات سيجلب على نفسه عداوة الدولة الوحيدة التي تبدي نياتها الطيبة نحوه ونحو العرب ونتيجة لهذه الحماقة سيفقد النية الطيبة والعطف . ويبدو أن الإمام كان يأمل أن يتسلم منحة مالية سنوية ولم يرد على المندوب بأي إشارة أو تلميح فيها أمل من هذه الناحية . وأشار المندوب إلى أن الإمام يأخذ على بريطانيا أنها لم تلتفت إليه ولا أعارته أذناً صاغية عندما قاتل الاتراك قبل ذلك . وأجيب بأنه في ذاك الوقت كان كل من المتحاربين صديقاً لها ولذلك لم تتدخل في النزاع والتزمت الحياد . وبين حاصرتين انتقد جيكوب هذا المسلك من بريطانيا الذي بنته على أساس أن العرب ثوار ضد السلطة الشرعية وهو ما لم يكن لأن مظالم الاتراك وقسوتهم كانت مضرب المثل في كل أنحاء اليمن .

ودوّن جيكوب ما قاله المندوب لسلطان العبدلي قبل المقابلة بأنه لا شيء يمنع الإمام من الهجوم على زعماء المحميات غير مبلغ كبير من المال . وقد يكون أكبر خطر على الإمام هو من الداخل ومن بعض العشائر التي لم تخضع له ولم يستطع جذبها إليه لأنـــه مشهور بالبخل ومتغطرس بينما المعروف عن الادريسي أنه كريم وإنساني وحسب ما قاله وزيره فإن الادريسي سيقاوم الترك ويطلب الأسلحة والذخيرة والمال لإغراء العشائر التابعة للإمام الذين يتبعون صاحب أطول كيس . ولهـذا الغرض فهو يطلب خمسين ألف روبية ولكن جيكوب يوصي بنصف هـذا المبلغ . وهو مبلغ بسيط إذا ما جعل بريطانيا تقاتل الترك بواسطة العرب . أما الأسلحة فقد طلبهـــا من جيبوتي ويجب أن تصرف بسخاء في الوقت المناسب ويطالب الادريسي بعقد معـاهدة وأي عهود بعد ذلك تضمن فقط حماية الاسطول والتأييد الدبلوماسي بعـــد الحرب في الحدود مع الإمام . ويبدو أن الايطاليين لهم مطامع في عسير ولكن الوزير أنكر أية صداقة بينهم وبين الإمام . وفي الختـام أشار المقيم إلى أن العرب بصفة عامة لا يعتقدون باستمرار نفوذ الأتراك في اليمن لأنهم في آخر رمق من حياتهم .

وفي فبراير من هذه السنة تحمس المغتربون السوريون في الولايات المتحدة واقترحوا تأليف قوة منهم لمحاربة الترك ولكن السير ادوارد جراي لم لم يوافق على هذا الاقتراح لأنها مسؤولية لا تستطيع الحكومة البريطانية تحملها وليس من الحكمة أن يتجمع متطوعون للحرب في بلد ما زالت محايدة .

العلاقات مع الادريسي

(٢٤٧٨) في يوم ١٥ مارس ١٩١٥ أبرق المقيم السياسي في عدن

لحكومة الهند بصور لوزارة الهند وبمباي وماكماهون ولرئيس الأركان في دلهي بما فحواه :

سيرجع السيد مصطفى ابن عم الإدريسي لتقـــدم له الشروط التي قدمتها الحكومة البريطانية والتي في نظري غير ملائمة بالمرة . ويبدو أن الحكومة لم تقيّم الإدريسي بدقة وتقدر وزنه الحقيقي في الجزيرة العربية ولم تقيّم مقدار كراهيته للترك والتي لم تقلل منها الهجوم الذي نشره ضده الحاكم التركي لليمن لصداقته لبريطانيا . واتصالات الادريسي معنـا أحدثت هزة عظيمة في هـــذا الجزء من جزيرة العرب وجعلت العرب بوجه عام يتطلعون الى اليوم الذي يشهـــدون فيه الضربة القاتلة لمظالم الترك في اليمن . ومندوب الادريسي في القـاهرة معروف على أنه من أبرز الموالين لبريطانيـــا فإذا صعّرنا خدنا له أو ساورنا الشك في جدية كراهيته للترك فقد لا نصل لأهداف سياستنا وهي إجلاء الترك بأيدي عربية أو ربما يضطر الادريسي الاحتماء بايطاليا كما فعل من قبـــل . والادريسي يؤكد لنا أن الاتراك قد اخترقوا حدوده فعلاً ومهما كانت خطته فالسياسة الرشيدة تقضي أن نظهر للعـــالم الاسلامي أن زعيماً عربياً كالادريسي في أهميته قد انحاز لجانبنا ضد الاتراك . وهذا بدوره سيقود الى أن يتخـــذ المترددون من العرب في الجهات الأخرى نفس الموقف . ويقول المقيم إن مشروع الادريسي يرمي الى طرد الاتراك من عسير ثم يتوسع على حسابهم في الاقاليم الاخرى وأن عداوته وانفصاله عنهم لا شك فيه مطلقاً . ويرى المقيم أنه إذا مـا وضح الإمام سقوط الاتراك بعمل مشترك باتحـــاد الادريسي والزعيم مافيا فإنه لا بد وأن يسعى ليحل محل الاتراك في أي مكان يستطيع السيطرة عليـه . ولا أستطيع أن أتركه يغـادر عدن بدون تأكيدات بوعود سخية . وانني على ثقة أن الحكومة سوف لا تدع هذه الفرصة الذهبية تفلت منهـــا

والتي كنا نسعى لهـــا منذ بداية الحرب . فالمسألة عندي تمس الشرف والكرامة البريطانية وهذه فرصة نادرة لإظهار الشعور الودي البريطاني عند عقد المعاهدات .

وأشار المقيم الى أن الامتيازات الاضافية التي ذكرها في برقية سابقة لا تساوي شيئاً في سبيل هذا الهدف وختم برقيته بأنه عنـــد رجوع المندوب من جيزان فإن مشروع الاتفاقية سيبعث للحكومة للمصادقة عليه .

(٢٤٧٨) وفي أول مايو ١٩١٥ بعث المقيم بالاتفاقية موقعة من الطرفين.

معاهدة بتاريخ ٣٠ أبريل ١٩١٥

معاهدة صداقة وحسن نيـــة بتوقيع الميجر جنرال د. ج. ل. شو (Shaw) المقيم السياسي في عدن نيابة عن الحكومـة البريطانية وسيد مصطفى بن السيد عبده علي نيابة عن عظمة السيد محمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن ادريس . السيد الادريسي وأمير صبيا وما جاورها .

٢ – أهدافها الرئيسية الحرب ضد الترك وتعزيز ميثاق بين الحكومة البريطانية والسيد الادريسي المذكور أعلاه ورجال عشائره .

٣ – يوافق السيد الادريسي على أن يهاجم ويحاول طرد الاتراك من مراكزهم في اليمن وأن يسعى بكل قوته في التضييق على الجنود الاتراك وحصرهم الى جهة اليمن وأن يوسع دائرة نفوذه على حساب الترك .

٤ – والهدف الرئيسي للسيد الادريسي موجـه نحو الترك فقط وأن يمتنع من أي عمل عدائي أو مثير ضد الامام يحيى طالمـا أن الأخير لم ينضم للترك .

٥ – تأخذ الحكومة البريطانية على نفسها سلامة وحماية أراضي السيد الادريسي من أي هجوم يوجه من البحر من أي عدو يزعجه . كما وتضمن له استقلاله في أراضيه وعند نهاية الحرب تتخذ كل الطرق الدبلوماسية ما وسعها ذلك للتحكيم بين السيد الادريسي وبين الإمام يحيى أو أي منافس آخر في المطالب المتنازع عليها .

٦ – ليس للحكومة البريطانية رغبة في توسع حدودها في الأرض العربية ولكنها تود فقط أن ترى الحكام العرب في سلام ووئام مع بعضهم كل في دائرة نفوذه وكلهم يرتبطون بصداقة مع الحكومة البريطانية .

٧ – ودليل على تقديرهم للعمل الذي يؤديه السيد الادريسي فالحكومة البريطانية قدمت له معونة مالية وذخيرة وستظل تساعده لمواصلة الحرب طيلة اشتعالها بقدر مجهوده فيها .

٨ – وأخيراً بينما قامت الحكومة البريطانية بحصار تام لكل الموانىء التركية في البحر الأحمر فإنها لعدة أشهر مضت سمحت للسيد الادريسي بالحركة والاتصال بين موانئه وميناء عدن فهذا الامتياز ستظل الحكومة البريطانية تمنحه له بدون انقطاع كدليل على الصداقة القائمة بيننا .

٩ – ستكون هذه المعاهدة نافذة المفعول بعد التصديق عليها من حكومة الهند .

وتوقيعها في يوم الجمعة ٣٠ أبريل ١٩١٥ الموافق ٥ جماد ثاني ١٣٣٣هجرية .

توقيع : د. ج. ل. شو ميجر جنرال ، المقيم السياسي في عدن

ه. ف. جيكوب ليفتينانت كولونيل ، المساعد الأول للمقيم في عدن .

ي. ر. برادشو ميجر ، قائد فرقة عدن .

السيد مصطفى بن السيد عبد العلي (نيـــابة عن السيد الادريسي) .

الشيخ محمد بن عوض با صاحي .

وأرفق المقيم السياسي في اليوم التالي خطاباً مع المعاهدة لحكومـة الهند قائلاً ان ممثلي السيد الادريسي سيغادرون عدن غداً إلى بلادهم . ويبد أنهم جادون .

٢ – ليس هناك مـا يضاف . فالبند الخامس أهم البنود فهو حسب التعليمات التي وصلت بالشفرة من حكومة الهند .

٣ – وفي بند سبعة فأن تفصيلات المال والذخيرة حذفت عمداً حسب طلب السيد مصطفى لتفادي جرح الحساسية العربية ومع ذلك فقـد حصل المقيم على وصل باستلام كل المعونة .

(٢٤٨٨) تسلمت حكومة الهند المعاهدة والخطاب من المقيم السياسي في عدن وعليها أن ترسلها لوزير الهند مع تعليقاتها وملاحظاتها . وأول ملاحظة لحكومة الهند هي أن المعاهدة كما تبدو لم تكن دقيقة ومحددة في وضعها ولكن الشروط بصفة عامة تتفق وما صُدق به من قبل . وشرح خطاب حكومة الهند بعد ذلك بنود المعـاهدة مبيناً التزامات الادريسي والتزامات الحكومة البريطانية ولكنه يلاحظ عبـارة الأرض العربية في بند ٦ تستدعي بعض التعديل لأنها قد تتعارض مع موقف بريطانيا في العراق . فإذا ما استبدلت هذه بعبـــارة غرب الجزيرة العربية يزول هــــذا الاعتراض وتكون العبارة محددة واضحة وحتى هذا التحديد بغرب الجزيرة قد يقود إلى وضع يجعل بريطانيا في موقف

حرج بالنسبة للزعماء العرب الآخرين كما يبدو . ولكن هناك ضمان لذلك لأن توسع الادريسي حدد بما يستطيع حيازته من الأراضي من الترك . وقد كان من الحكمة أن توضع فقرة تعطي التجار البريطانيين والهنود الحق في استخدام موانىء الادريسي ولكن هذا يتبع قانونياً بالضرورة ميثاق الصداقة بين الطرفين والذي هو الهدف من المعاهدة وبالرغم من أن المعاهدة لم تكن واضحة ومحددة في بعض بنودها إلا أنهـا بعد إدخال التعديل البسيط باستبدال الأرض العربية بغرب الجزيرة العربية فإنها تفي بالغرض . وعليه فإن حكومة الهند تطلب الموافقة للتصديق عليها لأن تنفيذها يتوقف عليه . فإذا ما أرسلت مرة أخرى للمعتمد لمراجعتها مراجعة تفصيلية فإن نجاح المفاوضات سيتعرض للخطر وعلى كل حال فليس من الحكمة التأجيل . وتحت هذا الخطاب توقيعـات كل من المختصين بهذه العلاقات الخارجية في حكومة الهند وعلى رأسهم نائب الملك.

ولوزارة الهند أن تخبر وزارة الخارجية للمعلومية فقط لأن الشؤون العربية في الجنوب العربي والخليج من اختصاصهـا . فوزير الهند يوافق بصفة عامة على المعاهدة ولكن يساوره الشك فيما إذا كان العراق يعتبر أرضاً عربية مما دعا حكومة الهند إلى التعديل لغرب الجزيرة اللهم إلا إذا كان التعبير عن العرب يشمل الناطقين باللغة العربية بدلاً من أرض الجزيرة العربية وعلى أية حال فإن وزارة الهند تشك في الوفاء بالتنفيذ الدقيق لأي شرط من هذا القبيل لأنهم لا ينوون مغادرة شيخ سعيد بعد الحرب ويتركونها لاحتمالات احتلالها بواسطة قوة قد تكون معـادية في المستقبل . وربما تعتبر شيخ سعيد جنوب الجزيرة العربية وليست غربها وعليه فتعديل حكومة الهند فيه الضمان . أما مسألة الموانىء واستخدامها فمن الأفضل أن تكون موضع معاهدة أخرى بعد الحرب وقد تكون لازمة لأنه لا بد من الضمان بأن الادريسي لا يتنازل عن أي ميناء أو جزيرة

لدولة أجنبية وكذلك لا بد من التنظيم والاشراف على استيراد الاسلحة وأخيراً أبرقت حكومة الهند بموافقتها مع تعديل غرب الجزيرة بدلاً من الأرض العربية . (انظر المعاهدة في وضعها الأخير في الملحق نمره ٢).

آراء الشيخ محمد مصطفى المراغي
قاضي قضاة السودان عن الخلافة

(٢٤٨٦) في أبريل ١٩١٥ ظهرت في القسم العربي لجريدة السودان تايمز التي تصدر في الخرطوم ترجمة مقال من التايمز اللندنية . وقرأ الشيخ مصطفى المراغي قاضي قضاة السودان المقال وهو يختص بالخلافة الاسلامية . وبما أنه شخصية دينية كبيرة وله أكبر منصب في القضاء الشرعي في السودان رأى أن يعلق على المقال لما حواه من مفاهيم خاطئة في نظره عن الخلافة الاسلامية . وعليه فقد بعث بخطاب مطول لحاكم السودان العام السير ريجنالد ونجت يشرح فيه منصب الخليفة ليصحح به المفهوم الخاطىء الذي ظهر في مقال التايمز .

بدأ خطابه بأن أورد جزءاً من ذلك المقال : « نستطيع الآن أن نقول بأن موقف الخلافة الفعلي يبدو غريباً . فالمعروف أن الخلافة من حق قبيلة النبي وهي قريش . وواضح أن سلاطين تركيا لا يدعون هذا الشرف . ولكنهم مع ذلك يسوقون ثلاثة أسباب لتمسكهم بهذا المنصب . أولاً : لأنهم حصلوا على هذا اللقب من آخر خليفة عباسي كان في القاهرة سنة ١٥١٧ . وثانياً : لأنهم حماة لمخلفات النبي مثل عباءته وبعض شعرات لحيته . وثالثاً : لأن سلطان تركيا هو حاكم وحامي الأماكن المقدسة المعترف به من الجميع . ويمكن إضافة سبب

رابع وهو أن سلطان تركيا يعتبر أكبر شخصية من بين الأحيـــاء المسلمين ». والشيخ المراغي يقول بأن هذا الرأي قال به بعض علماء السنة ويرجعونه الى الوقت الذي انتقل فيه النبي ﷺ الى الدار الآخرة وبرزت مشكلة فيمن يخلفه . ووضح أن الأنصار نافسوا المهاجرين في الخلافة . إلا أن المهاجرين انتصروا في آخر الأمر ونسبوا حجتهم الى حديث منسوب للنبي بأن الأئمة من قريش . ولم يشك المسلمون آنذاك في صحة الحديث . ومع ذلك بدأت مدارس فكرية لا تعترف بهـذا الرأي لأنه ضد روح الإسلام الذي ساوى بـــين المسلمين مهما اختلفت عناصرهم . والشيخ المراغي يقول بأن منصب الخلافة ولو أنه له علاقات بالدين إلا أنه منصب دنيوي مثل الملوك إلا أنه يحكم بموجب القـانون السماوي المستمد من القرآن . فالاستقرار في الحياة الدينية لا يعتمد على التعاليم الدينية فحسب ولكن يجب أن تكون هناك قوة مسيطرة تمنع الشقاق والخلاف ولذلك كانت ناحية القوة والحكم هي النـاحية الفعالة أكثر من الناحية الدينية البحتة .

وتفضيل قريش على غيرهم في تلك العهود الاولى للاسلام له ما يبرره آنذاك : فلم تكن هناك قبيلة لهـا من القوة والنفوذ والروح المعنوية تضارع قبيلة قريش . ولكن بمرور الزمن تشتت العرب وضعفت حالهم ودخلت الاسلام عناصر أخرى مثل العجم وغيرهم كانت لهم منعة وقوة . والمنطق يقتضي أن يتدارس المسلمون موقفهم من وقت لآخر وأن لا يتمسكوا بنص العبارات والكلمات دون محتواها وتطورات الزمن . ولذلك كيّفوا أنفسهم لهذه التطورات في نواحي عديدة ومن ضمنها مسألة الخلافة.

وحتى لا يتهم بأنه يقصد من خطابه هذا تأييد الخلافـــة التركية استطرد قائلا بأنه قصد معالجة مسألة الخلافة الاسلامية في تطوراتهـــا

التاريخية . ومفهومها من الناحية الدينية والدنيوية . وكل ما قصد إليه هو أن يوضح الرأي العام البريطاني والسلطات المختصة للحكومة البريطانية المفهوم الصحيح للخلافة الاسلامية كما أنه من المفيد للمسلمين في هذا الوقت الذي تتوالى فيه أحداث لها نتائجها العظيمة على العروش والقوى وليس من الأمور السهلة أن يحصل التوافق بين المطامع المختلفة وأن المرء ليعتريه اليأس أمام تلك العقبات التي تقف أمام التوحيد . فإذا ما أمكن إيجاد الرجل الذي يكن له الجميع الاحترام وله كفاءة وأهلية فإن تلك الصعوبات تزول . والتاريخ الاسلامي من هذه الناحيــة مليء بالخلافات وتضارب المصالح والمطـامع وأن المنصب دنيوي له علاقات دينية . وأخيراً يختم الشيخ المراغي خطابه بالدعاء الى الله أن يوفق المسلمين إزاء هذه المصاعب في أن يجعلوا لمصلحتهم الاعتبـــار الأول عندما يحين الوقت ليقرروا مصيرهم بأنفسهم .

وهـذه العبارات الأخيرة هي التي جعلت سير ادوار جراي عندما كتب لماكاهون معلقاً على الخطاب قائلاً له عليك أن تخبر وبحث بأن يعلن للجميع إذا رأى ذلك مناسباً أن حكومة جلالة الملك ستجعل في أية شروط للصلح شرطاً أساسياً في أن تترك شبه الجزيرة العربيــة والأماكن المقدسة في يد دولة إسلامية مستقلة . والاراضي التي تبسط هذه الدولة نفوذها عليها لا يمكن تحديدها في الوقت الحاضر .وحكومة جلالة الملك تشعر بأن مسألة الخلافة أمر يبت فيه المسلمون دون أي تدخل من الدول غير الاسلامية . فإذا ما قرر المسلمون إنشاء خلافـة عربية فإن حكومة جلالة الملك بالطبع ستحترم هذا القرار ولكن المسألة تخص المسلمين وحدهم ليقرروا ما يرونه . وليكن مفهوماً لوبحث أن أماكن الشيعة المقدسة ستكون موضوع بحث منفصل وأن هذه الوعود لا تنطبق عليها .

دعاية بريطانية مضادة لدعاية الأتراك

(٢٤٨٦) علمنا فيما سبق بالدعاية التركية النشطة بين أوساط المسلمين ضد دول الحلفاء وخاصة بريطانيا . وما كان لبريطانيا والحالة هذه أن تقف مكتوفة الأيدي . فبموجب برقية من الخارجية في يوم ١٤ أبريل ١٩١٥ الى ماكاهون في القاهرة وزع الأخير فحوى ما تحويه للبعض في مصر والسودان وبموجب تعليمات برقية أخرى في ٢١ مايو ١٩١٥ وزع ماكاهون نشرة بدون توقيع باللغة العربية بالطائرات والسفن التجارية على ساحل الحجاز . ولم توزع في السودان بل صورة منهـــا أرسلت للسنوسي . وكانت ترجمة لما يلي : « إلى شعب الجزيرة العربية . قد علمتم أننا نحن الانجليز دخلنا في حرب مع المانيا لأنها اعتدت دون سبب أو مبرر على دول مجاورة صغيرة أعطتها المواثيق والعهود باحترام وضمان استقلالها . وتعلمون أيضاً أن المانيا ضغطت بكل مكر وخديعة على تركيا لتساعدها في هذه الحرب . ونالت المانيا ما أرادته من تركيا ببذل الذهب والوعود الكاذبة لتركيا . وهدفها الحقيقي هو الحصول من السلطان على إعلان الجهـــاد ضدنا وضد حلفائنا .. وذلك لأن الملايين العديدة من المسلمين تتمتع بحماية امبراطوريتنا والآلاف منهم يحاربون في جيشنا وتأمل المانيا في إغرائهم لمهاجمتنا ومساعدتهـا هي . فمن البديهي والحالة هذه أن يستهجن كل مسلم حقيقي استغلال دينه كسلاح بواسطة قوة أجنبية لمطامعها الجشعة .

وقد أبدى المسلمون من رعايا الامبراطورية لبريطانيا وفرنسا وروسيا وحلفائهم وجهة نظرهم في هذا الأمر بإمدادنا بالآلاف المؤلفة من الجيوش التي تحارب الأتراك ومن خدعوهم متعاونة معنا . وحتى ذلك الفريق من الأتراك المحترمين يدركون سفالة ما فعلوه . وربما يود فريق منكم أن

يسأل عن نوايانا عندما تضع الحرب أوزارها . ولئلا يكون هناك أي مجال لسوء التفاهم فاعلموا ما يأتي :

إن حكومة جلالة ملك انجلترا وامبراطور الهند أعلنت بأنه عندما تضع هذه الحرب أوزارها ستجعل من شروط الصلح شرطاً لازماً وهو أن شبه الجزيرة العربيـــة والأماكن الاسلامية المقدسة تبقى مستقلة . وسوف لا نضم قدماً واحداً من أرضها ولا نسمح لأية دولة أخرى أن تفعل ذلك . وعليه فاستقلالكم الكامل من أية رقابـة أجنبية أصبح مؤكداً . وبهذه الضمانات فإن الأراضي العربيـــة ستستعيد بمشيئة الله حريتها وترجع لرخائها القديم والآن فريق من زعماء العرب أكدوا لنـا رغبتهم للخلاص من الترك وفريق آخر أوقفوا سيوفهم لمساعدة جيوشنا. والى أولئك الذين يودون الخير لنا ولكنهم يتخوفون من إبداء شعورهم نقول لهم لا يساوركم شك فينا . اصبروا حتى تأتي الفرصة المناسبة . وعندها تتحررون من يد الظالم وسنؤيدكم بكل ما وسعنا من قوة وبمشيئة الله سوف نخلق منكم شعباً مستقلاً . وربما تودون معرفة موقفنا نحو دينكم . فالدين الاسلامي كان دائماً موضع احترام الحكومة البريطانيـة كما تؤيده حوادث التاريخ . ولهـــذا السبب بالذات بنيت صداقتنا ومساعدتنا لسلطان تركيا . أما الآن وقد أغراه وزراؤه المرتشون لينسى ويتنكر لفضلنا عليه ويهاجمنا وقد كنـا أصدقاء يتحتم عليه أن يتحمل النتائج . ولكن سياستنا المؤسسة على احترام وصداقـة الاسلام ستبقى كما هي . وآخر دليل على ذلك أننا نوينا مساعدة سكان المدن المقدسة والحجاج بتموين من القمح . ولكن ضباط الالمان والترك استولوا عليه عندما وصل الى ميناء جدة . وعليه فقد اضطررنا لإيقاف إرساله لئلا يستولي عليه أعداؤنا بينما يفقده الجياع .

وبالرغم من ذلك فإن حكومة جلالة الملك عندما ترامى إلى مسامعها

ما يعانيه الحجاج والسكان الأبرياء من ضيق نسبة لانعدام الطعام فقد تحركت في أنفسنا عاطفة الشفقة وصداقتنا الدائمـة نحو العرب وقررنا الآن مرة أخرى شحنات من الطعام ترسل لجدة . وعلى العرب أنفسهم التأكد من أن هذا الطعام يصل لمن هم في حاجـــة إليه ولا يستحوذ عليه الذين يخالفون قوانين الحرب ويأخذون الطعام من فم الجائع » .

وحكومة الهند كانت دائمـــاً تبدي ملاحظاتها على أية نشرات أو وعود تمنح للعرب لأن هناك من الأراضي العربية ما يقع في دائرة نفوذها أو حمايتها . ولذلك لاحظت وزارة الهند مسألة الضمان الذي يقول بأن الحكومة البريطانية لا تنوي ضم قدم واحد من الأراضي العربية .ويرون ان يكون هذا مرتبطاً بأن لا ينضم العرب إلى جانب الإعداء وأن لا يطبق هذا الوعد بالضرورة على القبائل التي تحارب الآن أو تحارب بعد ذلك بريطانيا وحلفاءها . والمستر شمبرلين (Chamberlain) وزير الهند يقترح إرسال تعليمات لحكومة الهند بأن لا ضرورة لإصدار مثل هـذا الإعلان في العراق . والمعلوم أن هذا الإعلان والإعلان الآخر الذي أرسل لحكومة روسيا لا يمنعان أي واحد من مشايخ العرب خارج محمية عدن وحضرموت من الدخول بطوعه واختياره في تعاقد مع حكومة جلالة الملك للحصول على حمايتها . وتقترح وزارة الهند أنه قبـــل إصدار تصريحات أخرى يجب أن يكون هناك تفاهم واضح للنص الرسمي والتفسير الذي تراه حكومة جلالة الملك لذلك النص .

تقرير عن الحالة في الخليج ونجد والعراق

(٢٤٨٦) في يوم ٩ يونيو ١٩١٥ كتب اللفتينانت كولونيل جراي (Grey) المقيم السياسي البريطاني في الكويت تقريراً وجهه إلى رئيسه المقيم

السياسي في الخليج في بوشهر تعليقاً على تصريحات ظهرت في الصحف وفي مجلس اللوردات في أبريل سنة ١٩١٥ عن العرب وعلاقتهم بالترك. وبعث بصورة من هذا التقرير إلى السير أرثر هرتزل (Arthur Hirtzel) وكيل وزارة الهند في لندن لتصله مباشرة وبسرعة. ويقول في خطابه الذي أرفق معه التقرير أن الحالة تحسنت تحسناً ظاهراً في الأيام الأخيرة. فالمترددون من العرب انضموا إلى جانب بريطانيا من نجاحها وتقدمها أكثر من أي إغراء آخر.

فحسب ما ظهر في جريده التايمز فإن اللورد كيرزون (Kurzon) أبدى ملاحظات على خطاب ألقاه المستر لاندون (Landon) عن البصرة وشط العرب في جمعية الفنون في ١٥ أبريل حيث قال: « وحتى ذلك الوقت فقد كانت علاقتنا ودية مع العرب. ولذلك كان لغزاً لي في أن العرب في المراحل الأولى للقتال انحازوا لجانب الترك كما يبدو. وعليه فبالتأكيد يجب أن يكون هدفنا الدبلوماسي فصلهم من الجانب التركي واستعادة تلك العلاقات الودية معهم والتي امتازت بها سياستنا في الخمسين سنة الأخيرة ».

ومرة ثانية في مجلس اللوردات صرح اللورد كيرزون في يوم ٢٠ أبريل بما يلي:

« ويبدو أنهم (الأتراك) قد نجحوا في الضغط على أغلبية العشائر العربية في الجزء الأدنى من العراق لتعمل معهم. وهذه مسألة لها أهميتها البالغة لأننا احتفظنا بعلاقات ودية وفي اعتقادي ما زلنا نحتفظ بها مع القبائل في ذلك الجزء من العالم ».

وقد صرح وزير الهند قائلاً:

« ولقد انضم عدد كبير من العرب متعاونين مع الاتراك في هجومهم.

ففي معركة شيبة حيث اشترك في القتال ما لا يقل عن عشرة آلاف جندي تركي ويرجح أن ما يقرب من هذا العدد من العرب اشترك معهم في هذه المعركة . ويبدو أن هناك اعتقاداً متسرعاً أخذ على أنه قضية مسلم بهـا أن العرب جميعهم سينتهزون الفرصة لإزالة النير التركي بمجرد انضمامها في الحرب لجانب المانيا . وقد لا يصدق هـذا الافتراض على العرب خاصة في حالة كثير من عرب الصحراء . فإلى أي مدى يمكن تطبيق هذه الحالة على العرب الذين يعيشون حيـاة الاستقرار في القرى والمدن والذين هم كما يبدو يمدون القوات العربية التي تحارب مع الأتراك ؟ ليس من السهولة الاجابة على هذا السؤال . ومن المعقول أن نفترض أن عدداً كبيراً منهم كان على استعداد للانحياز لجانب تركيا الآن لأنهم اقتنعوا بأنهم يدافعون عن الاسلام . وربمـا صدّق بعضهم القصص التي تروى بأن بعض الالمان البارزين قد اعتنقوا الاسلام ومنهم الامبراطور نفسه » .

بعد هذه المقتطفات من التصريحات والآراء أشار جراي على أنـــه سيدوّن المعلومات التي تجمعت لديه عن المدى الذي تعـاون فيه العرب مع الأتراك في شط العرب وعن الاعتبارات التي قادتهم إلى هذه المعاونة والنتيجة النهائية لهم وللأتراك لهــذا التعاون . ويبدي جراي بعض ملاحظات عن القبائل العربية التي وقفت على الحياد أو وقفت موقفـاً واضحاً بجانب حكومة جلالة الملك .

فالقوات العربيـــة التي اشتركت في العمليـات العسكرية أخيراً بالقرب من شيبة غـــالبيتهم العظمى تنتمي إلى جاليات مختلفـة من سكان العراق وعددهم نحو أربعـة آلاف زيادة على نحو ستة آلاف من قبيلة المنتفك التي تقطن على شواطىء الفرات وشط الجرف ما بين خميسية

في الجنوب وكوت العمارنة في الشمال . وهناك عرب آخرون يبدو انهم ساعدوا الأتراك في تلك المناسبة ، مئـــات قليلة منهم ينتمون الى بني حكم وبني حسن ويقطنون في منطقة المستنقعات التي تجـاور سوق الشيوخ .

والعراقيون لا يرتبطون بعلاقـات مع بريطانيا ومواطنهم بعيـــدة الدرجة التي لا تجعل لموظفي الخليج أي نفوذ أو تأثير عليهم . وعليه فالمقيم في بغداد ليست له فرصة محتملة لإيجاد علاقات صداقة معهم أو التأثير عليهم . وعليه فلا غرابة إذا مـــا انضموا للاتراك . فهذا أمر طبيعي . ويصدق هذا أيضاً على قبيلة المنتفك فبلادهم لا تربطها حدود مشتركة مع ادارة مناطق الخليج ، ويقول جراي بأنـه لم يعلم بأي مجهود بذل من قبل قناصل حكومة جلالة الملك في البصرة لإنشاء علاقات صداقة معهم . وفي الحقيقة فإنهم ما كانوا يرون أن هـذا من واجبات وظيفتهم لأنهم لو فعلوا ذلك أصبحوا موضع ريبة وشك من الأتراك إن لم يكن موضع امتعاض . ويجب أن يتذكر الانسان ان أرض المنتفك تقع في طريق طوابير جنود الاتراك التي تتحرك من بغداد قاصـــدة البصرة . وفوق ذلك فهم قد تعودوا لقرون مضت على حكم الموظفين الأتراك أو بالأحرى على حكمهم السيىء . وعليه فقد يبدو غريباً حقيقة إذا هم اختاروا مقاومة القوات التركية . فالنتيجة تبدو لهم واضحة في هذه الحالة . فقد يفقدون كل شيء دون أن يكون لهم أمل في نيل أي مكسب . أمـــا القبائل الصغيرة التي تقطن غرب البصرة والتي ذكرت من قبل فقد أغرتهـــا الرشوة أو أجبرت لأن تساعـد وهم لا يعرفون شيئاً عن البريطانيين مثلهم في ذلك مثـل البصريين الذين أجبروا قبل أشهر لمقاومة الجنود البريطانيين تحت ضغط وتهديد الموت لهم ولأقاربهم والمصادرة لأموالهم وعقاراتهم وما يمتلكه أقاربهم أيضاً

فمسلك العراقيين صحيح كما يبدو من وجهـــة نظر الترك سوى أنهم في بعض الأحيان يفقدون الخضوع للنظام وتعوزهم الشجاعة ، أما فيما يختص بقبيلة المنتفك فقد وضح أن قلوبهم لم تكن في المعارك التي دارت ما بين ١٢ – ١٥ ابريل ولم يكن لهم حماس قومي أو ديني . فزعمـاؤهم دخلوا المعارك في جانب الترك حفاظاً على مراكزهم ولكن الجماهير كانت تهدف للنهب والسلب من أي جانب كان . وتأييداً لذلك فإنهم قاموا في يوم ١٣ ابريل بنهب معسكر الترك عندما كانوا يتقهقرون أمام القوات البريطانية والتفسير الذي أبدوه لهذا المسلك ان الترك وعدوهم بالنصر بينما كانت النتيجة هزيمة منكرة لهم . والنتيجة التي توصل إليها جراي مما تقدم هي أن عنصر الإثارة الدينية لم يكن الدافع الفعال لمن تعاون مع الأتراك أو ساعدهم . ولم تتأثر بإعلان الجهاد تلك القبائل ذات المنفعـة والقوة التي تقطن في قلب جزيرة العرب والى الشمال منها . ولم يسمع جراي من أي عربي أخذ اشاعة اعتناق البارزين من الألمان مأخذاً جدياً .

ويستطرد جراي بعد ذلك في تقريره ليشرح مسلك القبائل التي تقطن جنوباً ولها اتصالات مع الموظفين البريطانيين ومتأثرة بأصدقاء بريطانيا . وتأتي في المقدمة قبيلة الظفير المنتشرة في أقـاليم غرب الكويت والشمال الغربي منه الى منطقة السماوة . وقد امتنعت هذه القبيلة وتستطيـع حشد خمسة آلاف مقاتل منذ البداية من تلبية نـــداء الترك معتذرين بأن لهم تارات مع المنتفك وزاد على ذلك أن أصدقاء بريطانيا نصحوا لهم الوقوف على الحياد . وتأتي بعد ذلك قبيلة بوارين بالقرب من الساحل وفي استطاعتهم حشد ما بين ألفين وثلاثة آلاف مقاتل . وقفوا هم أيضاً على الحيـــاد نسبة لعداوتهم للمنتفك ولتأثير الشيخ مبارك حاكم الكويت عليهم والذي قام بنفس الدور مع بني مالك الذين يأتون لتمضية فصلي الشتاء والربيع في الكويت .

أما عن القوتين الرئيسيتين في شرق الجزيرة العربية وهما قوة ابن سعود وأبي الرشيد فامتناعهما في الوقت المناسب عن مساعدة الترك يعزى الفضل فيه لابن السعود الذي قـدم مساعدة بطريق غير مباشر . فقـد رفض الدعوات المتكررة عليه من الترك لاعلان الجهاد والانضمام لجانب تركيا . وفي الوقت نفسه اعتذر بأنه يجب أن يصفي حسابه مـع ابن الرشيد . والأخير كان يميل للاتراك نوعاً ما إلا أن نشوب القتـال بينه وبين ابن سعود جعله هو وقبائله يدافعون عن أوطانهم ولا يستطيعون لذلك معاونه الترك . ويختم جراي تقريره بالشيخ مبارك حـاكم الكويت الذي التزم باتفاقياته مع بريطانيا واحترمها ويرى جراي في مسلكه هذا نبلاً وشرفاً. وقد ساعد بطريقة أخرى وهي اتصالاته بزعماء العرب الآخرين للوقوف على الحياد .

(٢٤٨٦) الخلافة العربية مرة أخرى

كان السير ريجنالد ونجت حاكم السودان العام كشأن الحكام البريطانيين الآخرين الذين يحكمون أقاليم إسلامية سواء مباشرة أو تحت الحماية – كان مهتماً بمسألة الدعاية التركية للجهاد ونشط هو بدوره في السودان لإيجاد دعاية مضادة . وكانت الخلافة العثمانية أهم عامل استند عليه الأتراك في دعاية رفع راية الجهاد . فإذا ما تيسر خلق خلافة عربية حرم الترك من هذا السلاح على الأقل في الأقطار العربية .. وعليه فقد استشار ونجت السيد علي المرغني أكبر زعيم ديني في السودان في هذا الأمر وأبدى آراء تختص بالثورة العربية والخلافـة والمرشح في نظره هو الشريف حسين شريف مكة . كتب ونجت بذلك الى السير ادوارد جراي وزير الخارجية في خطاب خصوصي . وفي أي أمر يتعلق بالخلافة الاسلامية لا بد أن

يستشير وزارة الهند نظراً للملايين العديدة من المسلمين الهنود .

ففي ١٩ يونيو ١٩١٥ كتبت الخارجية لوزارة الهند مرفقة الخطاب الخصوصي الذى ورد للسير ادوارد جراي من ونجت ومعه مذكرة من السيد علي المرغني عن مستقبل الخلافة والتأثير غير المباشر من قبل حكومة صاحب الجلالة على المسلمين ويرى جراي أن آراء السيد علي لها اعتبارها وأهميتها . ولذلك فهو يقترح نشر الاعلان الذي سبق وأعلن في مصر والسودان في ١٤ ابريل الماضي في الجزيرة العربية وهو يقول بأن مسألة الخلافة أمر يخص المسلمين ولكن إذا ما رأوا خلق خلافة عربية فإن بريطانيا ستحترم هذا القرار . وتستشير الخارجية وزارة الهند فيما إذا كانت ترى خطوات أخرى فيما يختص بباقي اقتراحات السيد علي .

وفي ٢٤ يونيو ردت وزارة الهند ، فوزير الهند أخذ علماً برأي روسيا عن فصل الخلافة من السلطنة العثمانية وباقتراح السيد علي بأن شريف مكة هو أنسب المرشحين . وهذا لا يتعارض مع رأي الحكومة البريطانية مع التحفظ الذي أعلن من قبل وهو انها مسألة تخص المسلمين وحدهم دون أي تدخل من دول أخرى . ووزارة الهند لا يتضح لها ما يريده السيد علي من الحكومة البريطانية . فمثلاً ما هو فحوى الاعلان الذي يراد لبريطانيا أن تعلنه وما هي طبيعة المساعدة الأدبية والمادية التي تقدمها سراً ولكنها تكون معلومة ومعروفة في آخر الأمر . والوقت والطريقة التي تقدم بها ، فإذا ما كانت السياسة هي أن الاعلان ينادي بعدم التدخل فإنه من الخطورة بمكان أن تحاول بريطانيا التدخل سراً مع الزعماء الهنود من المسلمين . وفي رأي وزارة الهند أن لا بد من الحصول على توضيحات عما يراد . وفي الوقت نفسه يرى وزير الهند أن حكومة صاحب الجلالة يجب عليها تشجيع شريف مكة بكل الطرق المتاحة

لها ما عدا التدخل العسكري لإزالة الحكم التركي وتأييده ضد تركيا . (وبنفس التحفظ) لأن يكون حاكماً مستقلاً على الحجاز مستخدمين نفوذهم لدى زعماء العرب الآخرين والذين يقعون في دائرة نفوذهم (مثل السيد الادريسي وأمير نجد) للاعتراف به في هذا الصدد . فإذا ما ثبتت أقدامه ووضح استقلاله وادعى الخلافة فللسيد علي وغيره أن يعترفوا به بعد ذلك . ويعتمد اعتراف الحكام العرب الآخرين به على مدى ما تعنيه هذه الخلافة بالنسبة للسلطة الزمنية وهل تحمل في طياتها السيادة عليهم وعلى أراضيهم التي يحكمونها . فالأمر متروك لهم ، ويرى وزير الهند أن لا تقدم الحكومة البريطانية للشريف أكثر من العون الدبلوماسي ، فالعون المادي قد يتعارض مع التزاماتها نحو استقلال زعماء العرب الآخرين فلهذا السبب ولأسباب أخرى يبدو من الحكمة أن يترك العرب ليتصرفون بأنفسهم بقدر الإمكان وتجنب أي مغامرات سياسية في الداخل . وعلى أي حال فالشريف يحكم وضعه كحاكم فعلي للأراضي المقدسة فإن حكومة جلالة الملك تفاوضه في كل الأمور المتعلقة بالحج . وهذا الوضع بدون شك يؤثر على موقف المسلمين من الهنود وخاصة الزعماء أصحاب السلطة نحو زعامته الروحية .

(٢٤٨٦) وبمناسبة الخلافة فإن للدوائر الروسية رأي طريف عنها دوّنه السير مارك سايكس (Mark Sykes) فقد أخبره مترجم السفارة الروسية في استانبول والذي طرد منها في يونيو أن قسماً من رجال الدين الترك في استانبول يرون في حالة سقوط استانبول من الحكمة فصل لقب الخلافة من بيت آل عثمان وتعيين نقيب الاشراف في استانبول خليفة بصفة موقتة والحصول له من الحلفاء على جزء من استانبول مثل الفاتيكان . وفيما بعد ينوون جعل الترفيع لمنصب الخلافة بطريق الانتخاب مثلما هو في البابوية . ولم يتصلوا بالنقيب في الموضوع والمشروع كما يبدو

مبني على حوادث افتراضية ولم يتطور أكثر من ذلك .

(٢٤٨٦) تقرير سير مارك سايكس عن الأحوال في الجزيرة العربية

في يوم ٢٣ يوليو ١٩١٥ ومن عدن كتب السير مارك سايكس تقريراً عن الموقف العسكري في الجنوب العربي وعن الأسرى من الجيش التركي ولكنـه تلقى معلومات من الكولونيل جيكوب مساعد المقيم السياسي عن الأحوال السياسية في المنطقـة . فالإمام يحيى لا شك في عداوته للبريطانيين ويعزى ذلك إلى أن بريطانيا في سنتي ١٩٠٦–١٩٠٧ امتنعت من تقديم عون أدبي له عندما طلبه في نضاله ضد مظالم الترك ولو انه كان ناجحاً في حربه تلك . والآن وهو الحاكم الفعلي لليمن العليا وبريطانيا متورطة في حرب لا يعلم إلا الله نتائجها لا يجد في نفسه الرغبة لطلب حمايتها في مثل موقفها هذا . واحتلال شيخ سعيد حتى ولو كان مؤقتاً أثار شكوكه في مطامع السياسة البريطانية ويعتبر هذا الاحتلال انتهاكاً للحقوق . ويبـدو أن الإمام يطمع في بادىء الأمر السيطرة على اليمن وعسير وحضرموت ومحميات عدن . وأخيراً يصل إلى غايته وهي أن يعترف به في تلك المناطق صاحب سيادة مدنية وروحية معـاً بحيث يصبح الخليفة المعترف به بينهم . وهو الآن يبذل جهوداً مع زعمـاء حضرموت للحصول على وعد منهم بتأييده . ويعتقد جيكوب أنه إذا ما منح فرصة مواتية فالإمام لا يتردد في محاولة الاعتراف به خليفة في العالم الإسلامي أجمع . وحتى الآن فإن استجابته لأنصار القومية العربية كانت فاترة ولكن ربمـا يعزى هذا الموقف لكراهيته لفكرة سيادة شريف مكة والتي تفرضها نظرية القومية العربية . أما إذا تهيأت له فرصة

تحيل نظرية القومية العربية إلى مداره يمكن أن يغير رأيه . والكولونيل جيكوب ثقتـــه لا تتزعزع في الإدريسي ويعتبره أقوى سند لبريطانيا في المنطقة .

ولا يشارك جيكوب الذين يقولون بأن تحويل الخلافة من الترك إلى عائلة الشريف سيكون الحل المفضل . ويقول بأن هذا التحويل سيؤدي إلى اضطراب في الجزيرة العربية وربما يثير بعثاً دينياً مثل حركة الوهابية وبذلك تقع الخلافة في أيدي تنفخ فيها روحاً جديدة .. وبالنسبة لقرب الجزيرة العربية من الهند وصعوبة التأثير والسيطرة على الأراضي المقدسة فقد تكون تلك البقعة مركزاً للاضطراب والمؤامرات وهذا كله يزيـد من الأخطار . وعليه فأن جيكوب يرى أن خلافـة متجمدة في تركيا حتى ولو كانت تحت نفوذ روسي تكون إمكانيات الخطر منها أقل من خلافة تتركز في الجزيرة العربية المكان الذي ظلت جذوة الإسلام فيه مشتعلة . ويعتبر جيكوب أن آراء رشيد رضا حسب ما هي مدونة في مذكرة سير مارك سايكس في رسالته نمره ١٤ نموذجاً لحركة القومية العربية التي لا تستند على أسس دائمة لصداقة بريطانيا حسب رأيه .

ويرى جيكوب أيضاً أن سقوط استانبول لا يترك أثراً في عقول عرب اليمن . وحتى استسلام الجيش العثماني لبريطانيا في أماكن مختارة لا يؤثر على زعمـــاء المنطقة . فالعرب يحتقرون الفوز الدبلوماسي مهما كانت مراسيم احتفالاته . وليس هناك من عمل يعترف به العرب كدليل لبسط النفوذ والسيطرة في المستقبل سوى القتال . وعليه فهو يرى أن الاعتبارات الحربية والاستراتيجية يجب أن يكون لها المقـــام الأول . ويري أن يسمح لهم إذا أمكن ذلك استعادة لحج بقوة السلاح قبـــل اختتام مؤتمر الصلح العام .

أما عن سياسة بريطانيا في المستقبل فالكولونيل جيكوب يرى أن الوقت قد حان للوصول إلى قرار تحدد فيه بدقة علاقـــة بريطانيا مع مختلف الزعماء في المناطق الداخلية وبالإمام يحيى عندما يغـادر الأتراك الجنوب العربي لأن الإمام يحيى بـــدون شك سيدعي السيادة على كل الأراضي التي يخليها الترك .. .. والسياسة المثلى في رأي جيكوب هي أن تلتزم بريطانيا بكل دقة بمعاهدتها مع الإدريسي في ٣٠ أبريل ١٩١٥ وخاصة نمرة ٥ حتى ولو كان هذا يضع العراقيل أمام نظرية الاستقلال الكامل للجزيرة العربية .

أما عن محمية عدن نفسها فيرى سير مارك سايكس شخصياً أنهم يرتكبون خطأً جسيماً إذا اشتبكوا في عمليات عسكرية بعد بلدة شيخ عثمان أثناء الحرب الحاضرة . فقوة معقولة كافيـــة للاحتفاظ بمواقفهم الضرورية في عدن وشيخ عثمان . ولكن لا يستطيع أحد أن يتنبأ بمـا يجب حشده من قوة إذا ما حاولوا مرة أخرى توسيع عملياتهم العسكرية في المحمية كلها . وهـــذا لا يمنع مساعدة الادريسي بالسلاح والذخيرة وليس بالرجال .

وفي حالة سقوط استانبول فإن سياسة بريطانيـا نحو الإمام يحيى ستكون لها أهميتها . ويخيل للسير مارك سايكس أنه مهما كانت دعوة الإمام فإن احتمالات الخلافـــة له سوف لا تتعدى منطقته وهو بدوره سوف لا يعترف بسيادة الشريف مهما كان اللقب الذي يحمله . ويرى سير مارك أن الانطباع الذي بقي في ذهنه هو أن هناك عـدم تنسيق في سياسة بريطانيـا العربية لأن عدن تتبع سياسياً وعسكرياً لبومباي وحكومة الهند بدلاً من أن تكون تابعة لمصر . فكل العلاقات الأدبية والثقافية بين بريطانيا والعرب متركزة في القـاهرة وليست في الهند . فالشيخ الادريسي له علاقات مع السنوسي والإمام يحيى يتأرجح بـين

عداوة وصداقة شريف مكة والقومية العربية تتأثر بجامعة الأزهر في القاهرة . وهناك رابطة أخرى لها أهميتها بين عرب الجزيرة العربية وسواحل البحر الأحمر في الجانب الافريقي . وعليه فيرى أن تطوير العلاقات البريطانية ـ العربية على أسس سليمة سيكون سهلا وميسوراً إذا ما حولت عدن مؤقتاً لقائد القوات في مصر . وبهذا الاقتراح يرمي سير مارك إلى أن نقل مركز الثقل إلى المكان الذي سيكون مجال نشاط وحيوية من جانب العرب ومع ذلك فهو يعترف بتحيزه نسبة لخبرته بأقاليم شرق البحر المتوسط وجهله بالهند وقد تكون وجهة النظر الهندية متأثرة بالحج وعلاقة حضرموت بحيدرآباد والتقاليد القديمة للهند في حكم المحمية والمصالح التجارية الهندية التي نمت تحت هذا النظام . وسيكتب مرة أخرى عن الموضوع عندما يبحثه مع سلطات حكومة الهند .

(٢٤٩٠) تقرير سير مارك سايكس من القاهرة

من فندق شبرد في القاهرة وقبل أن يغادرها لعدن ليكتب تقريره أعلاه كتب سير مارك سايكس في يوم ١٤ يوليو ١٩١٥ مشروعات تقسيم الأملاك العثمانية في آسيا وعن آراء بعض زعماء العرب في القاهرة .

ويتضح أن هناك لجنة بريطانية كونت لتنطر في أمر تقسيم الممتلكات العثمانية في آسيا بين الحلفاء . وقدمت هذه اللجنة تقريراً بمشروعات مختلفة . وقدم السير مارك هذه المشروعات للجنرال ماكسويل قائد القوات البريطانية في مصر للتعليق عليها . والمشروعات كلها فيما يختص بالبلاد العربية خارج الجزيرة العربية نفسها تدور حول إقامة حكومات عربية محلية تحت رعاية وحماية بريطانيا . وكان نقد السير جون ماكسويل منصباً على نقطتين . أولهما : أنه لا يرى من الحكمة ضم أو استلحاق

منطقة القرنة – البصرة لبريطانيا بل يرى خلق ادارة محلية تحت الحماية .
وثانيهما : فهو يرى كما رأى السير هنري ماكماهون أن تكون دمشق بالمنطقة التي تشرف على إدارتها بريطانيا وإن لم يتيسر ذلك يجب أن تكون نقطة بداية خط حديدي للحجاز تحت الادارة البريطانية .

ويبدو أن هذه المشروعات بنيت على احتمال أن تركيا المهزومة توافق تحت الضغط طبعاً على هذه المشروعات لأن الجنرال ماكسويل في حديثه عن مسألة انتقال الخلافة يقول بأن الحلفاء يجب أن يشترطوا على تركيا إعلان استقلال شريف مكة شرطاً يسبق نقل السلطات المحلية للمناطق العربية المختلفة . وسيكون للحلفاء نوع من السيطرة والرقابة على حكومة تركيا نفسها وبذلك لا تبدو متمتعة بكامل سيادتها بينما يكون شريف مكة أميراً حاكماً مستقلاً . وعليه فسيطلب المسلمون أنفسهم نقل الخلافة إليه بدون تدخل من جانب بريطانيا . ويقترح الجنرال ماكسويل أيضاً أن تعطى ايطاليا تعويضاً في اقليم أزمير إذا لم يشترك اليونان في العمليات العسكرية وهي نفس المنطقة التي ستمنح مبدئياً لليونان . ويكون هذا بالنسبة لايطاليا تعويضاً لها عن ليبيا التي لاقت فيها عقبات ولم تتقدم فيها كثيراً ونزاعها مع السنوسي هناك كان مصدر قلق وخطر على الحدود الغربية لمصر . وأخيراً يرى الجنرال أنه إذا ما قررت هذه الدول الثلاث (فرنسا وروسيا وايطاليا) ضم واستلحاق الأراضي التي تحت نفوذها تستطيع بريطانيا فرض الحماية على مناطق نفوذها تحت سيادة اسمية لشريف مكة ويتسلم الشريف جزية سنوية عن تلك المقاطعات . وعليه يستطيع الشريف أن يعين سلطان مصر مندوباً عنه على ذلك الجزء من نصيب بريطانيا في سوريا وحاكماً وراثياً على ذلك الجزء من نصيبها في العراق .

وفي مقابلاته دوّن سير مارك سايكس حديثه مع سلطان مصر

حيث قدمه السير هنري ماكماهون المندوب السامي . وكان واضحاً أن السلطان على اقتناع بأن تكون سوريا جزءاً من حكومة مصر. ويعتقد سير مارك أن هذا الرأي لم يكن وليد طموح شخصي بل رغبة طبيعية من جانب سليل عائلة محمد علي لاسترجاع مملكتهم مرة أخرى كما كان يتخيلها مؤسس العائلة العبقري . كما وأنها حقيقة واضحة بأن منصبه كسلطان لا يتمتع بتأييـــد أدبي في نظر المسلمين ولقب السلطان يمنحه الخليفة وحده ولكنه منح هذا اللقب من قوة مسيحية . وإذا كان منذ البداية تلقى هذا اللقب من مجلس أو حتى إذا احتل المنصب بدعوة من جماعة دينية متعلمة لكان له حق الولاء من رعاياه المسلمين . ولكن لسوء الحظ أفلتت هذه الفرصة . وانطباع سير مارك هو أن السلطان يحس بأن دعوة السوريين له ليحكمهم ستقوي مركزه وبالتالي سينظر إليـــه رعاياه من المسلمين في مصر بمنظـــار آخر يرتفع به في نظرهم أكثر من صاحب لقب وهمي . وعلى هـذا الأساس تبدو رغبة السلطان واضحة في أن تكون دمشق على الأقل ضمن إدارة وحكومة مصر . وفي حالة انتقال الخلافة لشريف مكة من المستحسن بصفة خاصة أن يصدق على تثبيت السلطان حسين في لقبه هذا .

وقبل أن يستطرد سير مارك في مقـــابلاته الأخرى يرى أن ينبه الاذهان إلى موقف بريطانيا تجاه فرنسا بخصوص سوريا . فعملاء العدو الذين ينشرون بذور التفرقـــة بين بلغاريا واليونان لمنعهم الانضمام لجانب الحلفاء يتخذون نفس الأساليب لإثارة الخلاف بين بريطانيا وفرنسا بالنسبة لسوريا . فهم يشيعون بأن كلا من بريطانيا وفرنسا تسعى للسيطرة على كل اقليم سوريا من العريش الى الاسكندرونـة . وحسب ما يرى سير مارك فإن هذا الجو من الريبـة والشك ساعد في خلقه بعض الغلاة من الفرنسيين الذين يقدمون مطالب فرنسا الى أقصى حـــد ممكن بينما من

الجانب الآخر عبّر المسلمون في سوريا عن أملهم في أن تسيطر بريطانيا وحدها على كل الاقليم السورى . ومثلمـــا نشر غلو المطالب الفرنسية اشخاص معروفون بأنهم عملاء المانيا نشط أيضاً وكلاء جمعية الاتحـــاد والترقي التركية في نشر الدعوة المضادة التي ينادي بهـا مسلمو سوريا . وبذلك انتشرت هـذه المنافسة بين فرنسا وانجلترا في القاهرة مثلمـــا انتشرت المنافسة الروسية – الانجليزية في أثينا وصوفيا . وفي الحـالتين فإن الآراء كانت تصدر عن صدق وإيمان ولكنهـــا عند التقصي كانت ترجع الى مصادر معادية . ونتيجة لذلك يرى سير مارك أن البحث في مسألة سوريا أو المسألة التركية يجب أن يصاحبه حذر شديد .

وفي مقابلته لسعيد باشا شقير وهو سوري يشرف على مكتب مالية السودان في القاهرة دوّن لنا سير مارك معارضته للحكم الفرنسي لسوريا . فالفرنسيون بسياسات الاحتكار والامتيازات ومراعاة المصالح الفرنسية وحدها لا يصلحون لحكم سوريا . ومن المتوقع أن ينتهج الفرنسيون سياسة تأييد المسيحيين ضد المسلمين مما يقود الى عداوة بين الفريقين . فهـذه وإن كان من وجهة النظر الضيقة حكيمة لكنها ستقود في النهـاية إلى وضع سيىء . وأخـيراً يرى سعيد باشا أن الأحوال لا تستقر إلا إذا كانت هذه المشروعات للحكم في الاقليم تتضمن نوعاً من الرقابة الاوروبية في الأقاليم المختلفة .

والدكتور فارس نمر محرر جريدة المقطم أبدى نفس آراء شقير باشا . وهو يعترض بشدة على تقسيم سوريا وفلسطين سواء بطريق الضم والاستلحاق أو بنقل السلطات الى حكم محلي . ومع ذلك لا يمـانع في ضم دمشق لفلسطين تحت الحماية البريطانية وإبقاء لبنان ضمن سوريا لأن هـذا سيضع مسيحيي سوريا في حـالة مميزة حيث يزداد عدد المسيحيين في سوريا . ووضح دكتور فارس أن الاحتفاظ بأي ظل من النفوذ التركي تحت أي

نوع من نقل السلطات المحلية سيكون خطراً على المصالح السورية . ولم يتبين سير مارك رأي الدكتور فارس الواضح في المفاضلة بين تكرار المظالم التركية والاستغلال المالي الفرنسي . ولا يأمل كل من دكتور فارس نمر أو سعيد باشا شقير ولو قليلاً باستقلال لسوريا يقف على رجليه ليوم واحد .

وقابل سير مارك محي الدين الكردي رئيس رواق الاكراد في الأزهر . وبديهي أن يكون أول رأي يبديه عن احتمال قيام دولة كردية . فقد كان رأيه واضحاً وهو أن لا أمل في ذلك . ثم تحدث عن الإسلام والجهاد وقال إن عهده قد مضى وان البهائية هي صاحبة المستقبل . وتطرق في الحديث إلى التغييرات الكبيرة التي سوف تطرأ نتيجة هذه الحرب لأن التقاليد القديمة سوف لا تبقى لأمد طويل . وفي المستوى السياسي ستكون الحاجة لنوع من الحكم الأجنبي موضع بحث لأجل معلوم . ولكن القوى التي تعمل تحت السطح ستظهر أخيراً . وأخيراً يرى أنه إذا ما فتح استانبول ستقلم أظافر القوة العسكرية التركية لأن هذه القوة في آسيا تشبه القوة العسكرية لبروسيا في أوروبا فإذا ما ظلت محتفظة بالخلافة والسلطنة فإن الدنيا سوف لا تجد سبيلا إلى السلام . ويأمل أن يرى العثمانيين ينزلون الى امارات بسيطة في الاناضول وأن العراق ودمشق تكون بها سلطنات مثل مصر تحت سيادة اسمية لشريف مكة وتحت حماية فعلية للدول الاوروبية .

وعلى الطرف الآخر لما سبق بدت للسير مارك آراء السيد رشيد رضا حين وصفه بأنه من زعماء القومية العربية ورابطة الفكر الإسلامي . فهو في نظره متشدد صلب ومسلم متعصب . وأساس عقيدته هو رغبته في أن يرى الإسلام قوة سياسية تضم أقاليم واسعة بقدر الإمكان .. ويعزى

تعصبه الفكري كما يسميه سير مارك إلى اعتقاده بأن بريطانيا تخاف الإسلام وترهبه وأن سياستها رسمت بادىء ذي بدء لإرضاء المسلمين واستمالتهم . والسيد رشيد حسب ما وصفه سير مارك لاذع ومولع بالخصام ولو انه مهذب . ويرى أن سقوط استانبول معناه نهاية قوة تركيا العسكرية . وعليه فهناك ضرورة لإقامة دولة أخرى إسلامية للحفاظ على مركز وكرامة الإسلام . ووجه سير مارك أسئلة يرجوه الإجابة عليها . هل يتفق فرض امبراطور المانيا أوامره مع استقلال الخليفة ؟ وهل في رأيه يعتبر أنور وطلعت وجاويد مسلمين ؟ ألم يذبح أعضاء لجنة الاتحاد والترقي الخوجات والعلماء بدون شفقة أو رحمة ؟ وأخيراً ألم تكن سياسة تركيا الفتاة في عمومها أصلاً موجهة ضد الدين بوجه عام ؟ وأجاب السيد رشيد رضا بأن تركيا في نظر العالم الإسلامي تمثل استقلال الإسلام وأن أعمال الأفراد لا تؤثر على هذه النظرة وأنه (السيد رشيد) عندما انتقد أعمال اللجنة تعرض لهجوم وفقدان بعض ما يتمتع به من احترام . والسيد رشيد يعتقد بأن المصريين لا يرضون بهذه الوصاية البريطانية وأن تذمر مسلمي الهند سيزداد بمرور الوقت وأنه إذا ما سقطت تركيا ستدعو الضرورة إقامة دولة مكتملة الاستقلال في الجزيرة العربية تشمل سوريا والعراق يترأسها الشريف .

ومما أدهش السير مارك أن السيد رشيد لا يعتقد بأن التذمر في مصر أو الهند يتناقص بأي نسبة إذا ما ساعدت بريطانيا في مشروع هذه الدولة الإسلامية وأن الحريات والاعتبارات الأخرى التي أبدتها بريطانيا للمسلمين من قبل لا يعتقد السيد رشيد أنها تكون سبباً للاعتراف بالجميل . والحقيقة التي تبدت للسير مارك هي أن السيد رشيد يعتنق فكرة خيالية كما يصفها وهي أن الإسلام مستقل حقيقة وأن المسلمين في استطاعتهم الاملاء على السياسة البريطانية من موقف المنتصر وأن لا أمل

مطلقاً لصداقة حقيقية أو ولاء من جانب المسلمين . وزاد السيد رشيد بأنه إذا لم تتفق بريطانيا مع المسلمين في وجهات نظرهم فإنهـا ستعرّض نفسها لخطر اتحاد آراء المسلمين المستديم مع قوة المانيا العظيمة والتي هي الآن القوة الرئيسية مادياً وسياسياً وعلمياً وستحيا بعد هذه الحرب مهما كان الفائز . والوضع المثـالي في نظر الشيخ رشيد هو أن يحكم الشريف الجزيرة العربية وكل الاقاليم جنوب الخط الذي يمر بديار بكر وغيرها من الأماكن على الحدود التركية وكل زعيم عربي يحكم في مركزه وستكون سوريا والعراق تحت حكم دستوري . والسيد رشيد يرفض رفضاً باتاً أي فكرة تقول بسيطرة أو مستشارين مع السلطة التنفيذية ويعتقد أن العرب أشد ذكاء من الترك وسيديرون شؤونهم بكل سهولة . ولم يجد سير مارك أي حجة تزلزله من هذا الموقف . وعنـد إبداء اقتراحات التقسيم أو الاستلحاق أجاب السيد رشيد بأن هنـاك الآن بعض ضباط المان اعتنقوا الإسلام وسيقتفي اثرهم آخرون وأن انجلترا لا تقوى على إزعاج رعاياها العديدين من مسلمي الهند والبلاد الأخرى . وقـد نمي إلى سير مارك أن السيد رشيد لا يتبعه كثيرون ولكن آراءه تتفق مع آراء عدد من علماء العرب . ويتضح من هذا حسب ما يقول سير مارك أنه من المستحيل الوصول إلى تفاهم مع من يعتنقون مثل هذه الآراء وأن القوة هي الحجة الوحيدة التي يفهمونها .

ويقول سير مارك أن مقابلاته هذه قادته الى نتيجة واحده وهي أن لا بد لفرنسا وبريطانيا من الوصول الى تفاهم فيما يختص بسوريا . ومـا فهمه سير مارك من مهمة مسيو بيكو (Picot) الفرنسي أن فرنسا على استعداد للتخلي عن الساحل جنوبي عكا وهذا لازم لموقف بريطانيا في العراق . ويعتقد سير مارك فوق ذلك أنه يحتمل الحصول على دمشق منهم . وعليه فقد رأى أن يدخل تعديـــلات في مشروعات التقسيم

هذه تتضمن إعلان استقلال الشريف .

وختم سير مارك تقريره بأنه إذا ما تنازلت فرنسا عن سوريا سترضى كل الأطراف وتحل كل المشاكل وتدار سوريا العظمى بكل أجزائها إدارة موحدة تحت حكم سلطان مع سيادة روحية من شريف مكة . فخضوع تلك الأجزاء الى إدارة موحدة أمر طبيعي لأنها موحدة لغوياً ومالياً ومكتفية ذاتياً فإذا ما رضيت فرنسا بذلك تعوض في أماكن أخرى وتعطى امتيازات في سوريا في القطاع الصناعي وفي السكة الحديد . ومفهوم بديهة أن الاقليم بكامله يخضع للحماية البريطانية مثل مصر آنذاك . والواقع أن كل المشروعات لإدارة تلك الأجزاء على أي وضع كان تقتبس النظام السائد في مصر آنذاك ويحل الشريف محل الخليفة العثماني فيما يتعلق بالسيادة الروحية .

وبعد أن رجع سير مارك سايكس من رحلته إلى عدن أبرق سير هنري ماكماهون خارجية بريطانيا بفحوى حديث له مع أحد الأسرى هناك . فقد قابل سير مارك رؤوف بك الضابط في الجيش التركي والذي أسر في الخليج . فهو مواطن بغدادي من عائلة كريمة واستنتج من الحديث معه أنه إذا ما سقطت استانبول فالمحتمل أن تعلن كل من بغداد والموصل وربما ديار بكر استقلالها . فإذا ما حدث هذا فيرى رؤوف بك أن الفوضى ستسود نسبة لعجز العرب عن تكوين حكومة. وعليه يرى سير مارك حكمة توقع هذا والاستعداد له بتحضير يتم من المستشارين والاداريين للاتصال بأعيان المدن العراقية . ويعتقد سير مارك أن كلاً من لجنة الاتحاد والترقي التركية والالمان يتوقعون عند انهيار الامبراطورية العثمانية تطورات فوضوية في البلاد الناطقة بالعربية . وهذا من مصلحتهم كما يعتقدون لأنه يمدهم بأساس يبنون فوقه في المستقبل دعاية ثورية تصم أي حزب تركي يحاول الوصول الى شروط صلح مع الحلفاء .

(٢٤٨٦) استئناف الاتصالات مع الشريف حسين

في يوم ٢٢ أغسطس ١٩١٥ أبرق ماكماهون من القاهرة الخارجيـة فى لندن منبئاً بوصول رسول من الشريف حسين يحمل خطابات منه . فبعد أن يؤكد الشريف اتفاق المصالح بين بريطانيا والعرب يقترح مـا يسمو إلى مـــعاهدة دفاعية وجانب هجومي مشروط على الأسس الآتية : (١) تعترف انجلترا باستقلال الأراضي العربية شمالاً الى مرسينة وعلى طول خط العرض ٣٧ الى الحدود الايرانية والحدود الحالية للجزيرة العربيـة شرقاً وجنوباً وغرباً والموافقـة على إعلان الخلافة العربية . (٢) تضمن الحكومة العربية لبريطانيا الأفصلية الاقتصادية في الاقطار العربيـــة . (٣ و ٤) شروط المساعـــدة المتبادلة . (٥) توافق بريطانيا العظمي وتلغى الامتيازات الأجنبية في البلاد العربية . (٦) بند تجديد المحالفة . وزيادة على ذلك فالشريف في الخطاب الخاص المرفق مع مشروع المعاهدة يرجو استئناف إرسال المعونـة السنوية للمدن المقدسة . ويصف الرسول الذي حمل الخطابات العرب بأن شعورهم مضاد للأتراك لدرجـــة قصوى ويختلط ذلك بحنق شديد ضدهم وضد الألمان لأنهم قطعوا طريق الحج وما يصاحبه من حركة تجارية ومالية مثمرة . وواضح أيضاً أن الشريف بدون شك يحاول إرضاء مصالح الزعمـاء الآخرين في المنطقة ولكن في الوقت نفسه ليست له صلاحية إلا في الحجاز .

ويقول ماكماهون أن هذه المطالب والادعاءات على أي وجـه كانت مبالغ فيها دون شك لدرجة بعيدة لا أمل في قبولها . ولكن يصعب النظر في تفاصيلها دون أن يثنيه أو يعوقه . وعليه فماكماهون يقترح الرد الآتي : إعلان موافقة مصالح بريطانيا والعرب كان مصدر ابتهـاج

ورضاء لنا . نؤكد شعور صداقة حكومة جلالة الملك الذي أبداه لورد كتشنر في رسالته لكم السنة الماضية . ولكن مناقشة تفاصيل الحدود سابق لأوانه أثناء الحرب لأن الترك لم يُطردوا من جزء كبير من الاقاليم موضوع البحث وقد لاحظت حكومة جلالة الملك بدهشة وأسف أن العرب في بعض المناطق ما زالوا في إهمالهم لتلك الفرصة العظيمة وما زالوا يعملون مع الترك والالمان. ومع ذلك فبريطانيا العظمى على استعداد لإرسال المعونة المعتادة إذا أبدى الشريف ضماناً لوصولها . وأخيراً يطلب ماكاهون إجابة سريعة لأن الرسول سيرجع تواً .

وصلت هذه البرقية في نفس اليوم وكالعادة يجب أن ترسل صورة من هذه الأوراق لوزارة الهند للتعليق عليها . ففي يوم ٢٤ أغسطس بعثت وزارة الهند للخارجية بردها . وتوافق وزارة الهند على أن الشروط التي قدمها الشريف والتي أملتها تطلعات القومية العربية المتطرفة كما يبدو لا يمكن قبولها كما هي عليه وربما تتعارض مع حقوق ومصالح زعماء العرب الآخرين والذين لهم ارتباطات بحكومة جلالة الملك . وعليه فوزير الهند يوافق بصفة عامة على مقترحات إجابة سير هنري . ومع ذلك فهو يرى أن رسالة تقتصر على تعميمات في هذه المرحلة من المفاوضات رداً على اقتراحات معينة ومحددد كالتي قدمها الشريف لا يقتصر أثرها على مباعدته بل ربما يظن أن بريطانيا لم تكن جادة في أمرها . ويقترح وزير الهند من أجل تعاون الشريف أن يضيف سير هنري ما يأتي : « ومع ذلك فإن حكومة جلالة الملك على استعداد للدخول في مفاوضة لاتفاقية مبدئية من أجل الحصول على استقلال وحقوق وامتيازات الشرافة إذا ما أرسل الشريف ابنه عبدالله أو أي مفوض آخر لمصر لهذا الغرض». فإذا ما وافق على ذلك يحتمل أثناء التفاوض انكماش هذه المقترحات الى حجم معقول . ومن الضروري الرد عليه في مسألة الخلافة . فوزارة الهند

تقترح أن يشار إلى رسالة اللورد كتشنر مع إضافة ضرورة استشارة زملائه المسلمين عن مسألة إعلان نفسه خليفة .

وبعد أن تسلم الموظف المختص في الخارجية تعليق وزارة الهند كتب تعليقه الذي أبدى فيه رأيه بأن سير هنري ماكماهون مع مستشاريه في وضع أحسن من أي شخص آخر لتقييم موقف الشريف وشعوره . وعليه فهو يفضل التمسك برد ماكماهون خاصة وأنه يجب أن يكونوا حذرين حتى لا يظن أنهم يعملون وراء ظهور حلفائهم . ومع ذلك إذا ما رؤي إدخال إضافات وزارة الهند فإنه يقترح وضع يناقش بدلاً من « يفاوض » ويكتب هـذا الموظف المختص (المستر كلارك) صيغة الرد . ووضع وكيل الوزارة تأشيرته وكذلك الوزير .

وأرسلت برقية مستعجلة في يوم ٢٥ أغسطس لسير هنري ماكماهون : « برقيتك نمرة ٤٥٠ نوافق على اقتراحاتك للرد على شريف مكة وإذا ما رأيت مناسباً يمكن إضافة رسالة خاصة بهذا المعنى حكومة جلالة الملك على استعداد لمناقشة اتفاقية مبدئية للحصول على استقلال وحقوق وامتيازات الشرافة إذا ما أرسل الشريف ابنه عبدالله أو أي مفوض آخر لمصر لهذا الغرض .

وفيما يختص بالخلافة إذا ما أعلن الشريف نفسه خليفة بموافقة زملائه من المسلمين فليكن مطمئناً على أن حكومة جلالة الملك ترحب بعودة الخلافة للعرب في شخص عربي منهم كما هو مشار إليه في رسالة لورد كتشنر في نوفمبر الماضي » . ولكن سير هنري لم يعمل بهذه الاضافات لأنه لم يوافق عليها . فهو يرى أن الوقت لم يحن بعد للبحث حتى في اتفاقية مبدئية وقد تضر في هذه المرحلة بفرص الشريف للخلافة إذا ما أعلن اتصاله ببريطانيا بإرسال ابنه أو أي مفاوض آخر . وكذلك

حذف سير هنري أي إشارة محددة الى خلافة الشريف لأن عبارات الرسالة واضحة ومفهومة لديه .

(٢٤٨٦) وبعد أن تسلم رسول الشريف الرد بعث ماكماهون بالبريد العادي الترجمة الكاملة لخطاب الشريف والرد عليه مع المعلومات التي أدلى بها رسول الشريف عن الأحوال في الحجاز وعن الشريف . ففي يوم ١٨ أغسطس ١٩١٥ في مصيف الاسكندرية حيث كانت الوكالة البريطانية دونت المعلومات التي أدلى بها رسول الشريف محمد بن عارف بن عريفان . وتسلمت الخارجية هذه المعلومات مع التراجم الكاملة يوم ٤ سبتمبر . وهنا يجدر بنا أن نقف قليلاً لنبين الحقيقة والواقع في مثل هذه الاتصالات : تصل الرسالة كاملة للقاهرة . ولكن الوكالة البريطانية تبرق بفحواها وبالنقاط الرئيسية مختصرة ويأتيها الرد بهذه الطريقة سواء الموافقة على مقترحات القاهرة بتعديلات أو بدونها أو رداً يحوي مقترحات الخارجية . وتضع الوكالة الرد في قالب خطاب بناء على النقاط الرئيسية . وبعد ذلك تبعث الترجمة الكاملة بالبريد العادي مع أية معلومات أخرى من المخابرات أو من الرسول كما حدث في هذا الاتصال.

فماذا قال محمد بن عارف ؟ التعليمات التي تلقاها من الشريف وهو في مصيفه بالطائف تدعوه بحمل الخطابات وتسليمها لمستر ستورز في القاهرة والرجوع خلال خمسة عشر يوماً . فبعد أن وصف رحلته التي ما خلت من متاعب وصل الاسكندرية في يوم ١٨ أغسطس وسلم الرسائل لمستر ستورز في نفس اليوم . وقال إن ما يريده الشريف موضح في الخطاب ولكن حين تسلمها قال له الشريف أمام أبنائه الأربعة : « قل لمستر ستورز نحن الآن على استعداد » وابنه عبدالله قال « اخبر مستر ستورز بأن كلمتنا هي كلمة الشرف وسنعمل على تنفيذها حتى ولو كانت على

حساب أرواحنا . فلسنا الآن خاضعين لأوامر الترك بل على العكس فالترك هم الذين يأتمرون بأوامرنا » .

وعن شعور عرب الحجاز نحو الاتراك قال عارف إنهم في حالة سيئة من الغيظ لانقطاع الحجيج هذه السنة من مصر والهند وجاوه وغيرها من الأقطار ونتيجة لذلك فهم يلعنون الحرب ومن كان السبب في إشعالها . فالأتراك يحاولون إقناع العرب بأن الانجليز هم سبب الحرب وأنهم منعوا المسلمين في مستعمراتهم من تأدية هذه الفريضة ولكن عدد قليل من جاوا أتوا للحج هذه السنة قادمين عن طريق المكلة وعدن وسواكن وأعلنوا أن الانجليز لم يضعوا أية عقبات بأي شكل من الأشكال أمام أولئك الذين ينوون الحج ولكن لم تكن هناك سفن لسفرهم لأن كل السفن البريطانية استخدمت في نقل الجنود لميادين الحرب . وفي شهر شعبان ١٣٣٣ (يونيو ١٩١٥) نثرت طائرة بريطانية إعلانات موجهة للعرب في رابغ وجدة . وحين أخذها العرب وقرأوها أخذوا نسخاً منها وذهبوا بها لوالي الحجاز التركي وشريف مكة وقالوا لهم « إن الترك والالمان وليسوا الانجليز هم الذين تسببوا في الحرب وبذلك جلبوا تلك المصائب لبلادنا » . ويمضي محمد بن عارف في قصة سرده لتطور الأحوال في الحجاز ويقول أنه في محرم ١٣٣٣ (ديسمبر ١٩١٤) ظهرت سفينة حربية بريطانية في مياه جدة . فخف الوالي التركي قادماً من مكة إلى جدة يريد أن يأمر بإطلاق النيران عليها . غير أن عرب قبيلة حرب أنذروه بأنهم سيهاجمونه هو إذا أمر بالضرب قبل أن تبدأه الباخرة لأنه إذا كان الترك في حالة حرب مع الانجليز فإن العرب لم يكونوا كذلك. فهم لا يريدون أن تقفل موانئهم .

وفي أوائل ربيع الأول ١٣٣٣ (يناير ١٩١٥) وصل جدة من الوجه ثلاث سنابيك تحمل ٣٨ ضابطاً المانياً و٨ مدافع في طريقهم لليمن

وذهبوا للحديدة عن طريق القنفذة ومصوع وبعد زيارتهم لصنعاء وبعض الاماكن في اليمن رجعوا الى الحديدة تاركين ٢٥ ضابطاً و ٦ مدافع في صنعاء . ومن الملاحظ أن قبائل حرب تقف ضد الحلف التركي - الالماني لدرجة بالغة وأنذروا الترك بأنه إذا مـــا نزل الالمان في أرضهم فإنهم سيقتلونهم في الحال . وعليه فقد كانوا يراقبون تحركات هـذا الفريق الالمـاني وعندما علموا برجوعهم هجموا عليهم بالقرب من جدة وقتلوا ثمانية منهم وفر الباقون بسنبوك إلى جدة ومنهـــا رحلوا راجعين الى الوجه .

وفي شعبان ١٣٣٣ (يونيه ١٩١٥) وصل المدينة المنورة ١٦ اورطة تركية ومعهم وال جديد . وقـد قابل عرب حرب الوالي وأخبروه بأنهم لا يحتملون الزج بالحجاز في هذه الحرب العالمية لأجل الالمان . وعليه فلا داعي لجنود تحشد في الحجاز ويجب والحالة هذه أن تتراجع هذه الجيوش الى الشمال . وعندما حاولت الجنود التقدم جنوباً اعترضها عرب حرب وقتلوا أربعة جنود منهم . وقد كان الشريف علي آنئذ موجوداً بالمدينة . ولذلك طلب منه الوالي التدخل في المسألة . وقـد حلف الوالي على المصحف بأنه لا يوجد ضباط المان بينهم وأنه سوف لا يتخذ خطوات عدوانية ضد الحجاز وأن هؤلاء الجند قصد بهم التحرك لليمن ونجد . وبعد ذلك تحرك الوالي بجنوده لمكة ومنها للطائف. ويقول محمد بن عارف أن الطريق بين جدة ومكة قطعه عرب حرب قبـــل مغادرته لجدة . وفي طريقه من بورتسودان لمصر علم محمد أن الترك بعثوا اورطتين من الطائف لجدة . فإذا صحت هذه الرواية يقول ستورز الذي دوّن هذه المحادثة أن ثورة قبائل حرب وصلت درجة من الخطورة استدعت إرسال الجيوش لإخمادها .

ثورة الوهابيين ضد الترك

واصل محمد بن عارف حديثه عما ترامى إليه عن موقف الوهابيين في نجد ففي أواخر شعبان ١٣٣٣ (يوليو ١٩١٥) وصل الى الشريف حسين خطاب من زعيم وهابي في نجد على مسيرة ستة أيام شرقي الطائف يشير فيه إليه أن يقوم بطرد الأتراك من الحجاز . وإذا لم يتمكن من ذلك فسيسير هو بجنود كثيفة الى الحجاز ويقوم بعمليات تطردهم . وينزل الآن بسجن مكة أربعة جواسيس لزعيم الوهابيين . ويقال ان هذا الزعيم يوالي السيد الادريسي وانه مؤيد من قبائل قحطان ويام العظيمتين .

أتراك اليمن والادريسي

ويقول ابن عارف أنه قبل مغادرته الطائف في أوائل رمضان حضر رسول من والي اليمن لوالي الحجاز يطلب إرسال نجدات ومبالغ من المال ولم يتمكن والي الحجاز من إرسال نجدة الجنود المطلوبة نظراً لموقف الزعيم الوهابي في نجد ولكنه أرسل مائة ألف ريال . وسمع محمد أيضاً أن السيد الادريسي دخل في معركة ضد الاتراك وخرج منها بنصر رائع . فقد أربعة رجال فقط بينما بلغت خسائر الاتراك المئات من القتلى والجرحى وغنم مدفعاً قيمته ٢٢ ألف ريال واستولى على قلعة و٧ قرى وأسر ٤ ضباط و٤٩ جندياً . وبينما كان محمد بن عارف في جزيرة قمران سمع دوي المدافع طيلة اليوم وعلم أنها معركة أخرى بين الادريسي والترك مع المؤيدين لهم من العرب . والدلائل تشير إلى أنه كسب معركة أخرى . ثم تطرق محمد الى تقدير جنود الادريسي وجنود الاتراك الموزعين بين اليمن والحجاز وأشار مستر ستورز إلى أن هذه الأرقام التي أعطاها محمد مبالغ فيها للغاية .

وعن خطة الشريف يقول محمد بن عارف أنه يسعى لتعزيز مركزه كأمير مستقل لمكة وكل اقليم الحجاز والجزء من عسير ويعمل الوصول الى هذه الغاية بكل ما وسعه من جهد وقد تم له الآن ولاء سكان الحجاز وقسم من قبائل عسير الذين يعتبرونه سياسياً عظيماً . وسمع محمد أن الضباط العرب في الجيش التركي الموجودين في الحجاز حلفوا سراً يمين الولاء والطاعة للشريف والقتال تحت رايته . وقد أعلنوا أنهم لا يذهبون لليمن للقتال هناك ولا يودون الاشتراك في هذه الحرب العالمية بل يودون البقاء مع الشريف للدفاع عن الحرمين ضد أي من الغزاة وكثير من الذين هربوا من الجيش التركي في اليمن التجأوا إلى الشريف الذي داوم على دفع مرتبات لهم وأخفاهم عن السلطات التركية . وقد ارتفعت مكانة الشريف لدرجة أن السلطان رأى من الحكمة في الظروف الراهنة التودد إليه والحصول على ولائه . وعليه فقد أرسل له فرماناً يعلن تعيينه حاكماً أعلى ومديراً لشؤون الحجاز ويأتمر الوالي التركي بأوامره . ونتيجة لذلك ارتفعت مكانة الشريف لدرجة عظيمة في الحجاز كما انخفضت بنفس النسبة مكانة الترك . والشريف على اتصال دائم مع الإمام يحيى والإدريسي . وسياسته الحاضرة تهدف الى عقد صلح مع الادريسي وصلح بين الادريسي والإمام يحيى . ويقول محمد بن عارف بلهجة التأكيد أن الادريسي يعتبر الإمام يحيى خائناً ولكنه يكن للشريف احتراماً لدرجة ما . فالشريف في نظر الادريسي سياسي ولكنه ليس بالزعيم الديني . ويختم محمد بن عارف حديثه للمستر ستورز عن أحوال الحجاز بأنه لا خطر هناك من حدوث مجاعة بعد أن فتح الانجليز طريق التجارة لجدة ويعترف العرب بهذا الجميل للانجليز .

وقدم محمد بن عارف معلومات عن الشريف وأولاده . فأكبر أنجال الشريف علي وقد ذهب للمدينة في مارس ١٩١٥ لتهدئة الأحوال بين

قبيلة بني حرب . وعبدالله ثاني الأنجال وأشهرهم في مجـالات السياسة ذهب في نفس الشهر لعقـــد مصالحات مع أهل ذلك الاقليم . وثالثهم فيصل وقـــد ذهب لاستانبول في نفس الشهر أيضاً كعضو في البرلمان التركي عن الحجاز ليقدم احتجاجاً ضد تجنيد بدو الحجاز . أما أصغرهم وهو زيد فقد أرسل إلى عسير أيضاً لمصالحـــات مع القبائل هناك . ورجعوا جميعهم في يونيو عندما تسلم محمد بن عارف الرسائـل ليذهب بها الى القاهرة . وهكذا استأنف الشريف اتصالاته بعد أن جس النبض في أنحاء الجزيرة العربية وحضر أبناؤه جميعاً وعقدوا الرأي سوياً .

وذكر بن عارف حج السيد محمد إدريس السنوسي في الموسم الماضي في الظاهر ولكنه في الحقيقة قدم الحجاز مبعوثـاً من الترك لتحريض قبيلة حرب لرفع راية الجهاد ضد الانجليز في مصر . وقبيلة حرب تحتل كل الأراضي التي تقع بين مكة والمدينة ويبلغ تعدادهم نحو ثمانين ألفاً وهم أتباع الطريقة السنوسية . وعقد السيد السنوسي اجتماعين كبيرين مع زعماء القبيلة أحدهما في المدينة والثاني في مكة . وقد رفضوا بإجمـاع الآراء فكرة الجهاد ضد الانجليز قائلين : « لم يصبنا أي أذى من الانجليز . فهم عدول وكرام وأغنياء بينما نجد الترك متصفين بالظلم والقهر والترفع . وقد نقض الترك عهودهم معنا مراراً ولم يفعلوا خيراً لبلادنا » . وعندما يئس السنوسي ورأى إصرار القبائل على عدم رفع راية الجهـــاد ضد الانجليز اعترف لهم سراً بأن الالمان وراء هذه الدعاية وأنـه شخصياً يحب الانجليز ولا يود أن يرفع سيفه ضدهم . وأثنـاء إقامته في مكة بعث رسلاً للادريسي ورجعوا منه بهدية للسنوسي . والمعتقد أن الادريسي أوصى السنوسي أن لا يثق في الترك .

وأخيراً وصف ستورز محمد بن عارف بأنـه محترم ويتمتع بقدر من

الذكاء وله معرفة بالأحوال الى حد معقول ويبلغ من العمر ٥٣ سنة وهو عدو لدود للترك حيث حكموا عليـــه بالسجن مدة ثلاث سنوات في الحديدة بعـد أن صادروا بضائعه بتهمة باطلة . أما عن الأرقام التي قدمها فإنه كغيره من الشرقيين لا يهتمون بالدقة ويميلون دائمـاً الى أعلى رقم عندما يعتريهم الشك . وفي تعليقه على الخطابات يقول مستر ستورز أنها بخط الأمير عبد الله وهو معروف لديه بإملاء من والده كما هو محتمل. والخطابان خاليان من التوقيع والرسالة الخاصة مؤرخة .. والغريب أن هناك تشابه بين شروط الشريف المقترحة والآراء التي ظل ينادي بها في أكثر من مناسبة الشيخ رشيد رضا وخاصة في مسألة الحدود وهذا يؤكد ما هو معروف من احتمال اتصال الشيخ بالشريف . ويتضح لستورز أن الشريف يحاول ترضية العرب في منطقته ولكنه لا يملك تفويضاً من أي من الزعمـــاء الآخرين وفي رأي ستورز أن الشريف يعرف أن مطالبه كأساس للمفاوضات أكثر مما يستحق أو يأمل في الحصول عليها حسب درجة نفوذه . ومثل إخوانه في الدين في البلاد الأخرى سيعتدل عندما تسقط استانبول .

ويرى ستورز أن تمتنع الطائرات من التحليق فوق الحجاز على الأقل في الوقت الحاضر لأنها قد تضع الشريف في موقف حرج وقـــد أدت مهمتها بنجاح حسب ما وصف محمد بن عارف . ولكن إعانـة الحبوب والمال يجب أن يستمر إرسالها لتقوية ذلك الانطباع الحسن الذي تركته بين العرب هناك . وعليـــه فيجب أن يزود رسول الشريف بتعليمات تضمن إيصال هـــذه المعونة لمندوب موثوق به من الشريف عن طريق رموز خاصة . وعن الخلافة العربية يقول ستورز أن موقف بريطانيـا أصبح معروفاً وواضحاً وهو أنها أمر يهم المسلمين . أما مسألة الحدود

فيمكن تأجيلها الى مناقشات تالية . والموضوع الهام في الوقت الحاضر هو طرد الاتراك والالمان وحفظ الأمن ووحدة العرب في الجزيرة العربية .

معلومات عن الشريف من مصادر أخرى

(٢٤٨٦) عندما وصلت برقية ماكماهون الى لندن في يوم ٢٢ أغسطس ١٩١٥ عن خطاب الشريف ، كانت هناك معلومات أخرى جاءت عن طريق الخرطوم من السير ريجنالد ونجت سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام في ١٤ أغسطس . فما هي المعلومات التي تضمنتها وثائق الخرطوم ؟ حوت رسائل السودان معلومات أدلى بها شريف قدم من مكة قبل نحو سبعة أشهر عن الحالة هناك وعن الشريف حسين وعائلته وخطاب من السير ريجنالد ونجت وقع عليه سكرتيره الخاص جورج ستيوارت سايمز . وقد صدر هذا الخطاب من اركويت مصيف الحاكم العام مثلما كان ماكماهون في مصيفه في الاسكندرية والشريف حسين في مصيفه في الطائف . والراوي كما وصفه خطاب ونجت من آل البيت ذكي ومتعلم ويبلغ عمره نحو الخمسين وزميل للشريف عبدالله بن الشريف حسين .

يروي عن تاريخ ونشأة الشريف حسين بقوله إنه ينتمي الى عائلة بمكة وهو أخ للشريف عون . ولد بمكة وعندما بلغ سن الرشد ذهب لاستانبول حيث بقي هناك ٢٥ سنة إلى أن عين شريفاً للحجاز بعد أن نجحت الثورة ضد السلطان عبد الحميد في استانبول وأرغمته على إعلان الدستور . ويبلغ الشريف حسين من العمر الآن نحو ستين سنة. والشريف حسب ما وصفه الراوي سمح الطباع متعلم وله اطلاع واسع في الشؤون الدينية . وإقامته في استانبول جعلته خبيراً بصفة خاصة في شؤون

السياسة لا سيا وأنه كان دائمـاً على اتصال بالسياسيين والمفكرين . وهو كريم رحيم القلب وحر التفكير ولم يظهر عليه أي كبرياء أو ترفع في معاملته للناس مهما كانت درجـة المتحدث معه في سلم المدنية . فهو لا يمتنع من مد يده لمصافحة العربي بنظرته الجافة وهيئته القذرة حامـلاً أحذيته حول معصمه باسطاً يده للشريف ومخاطباً إياه « السلام يا الحسين ابن علي » . وعندما يلاحظ الشريف من زائره أي تحفظ يخاطبه بأنه عربي عادي مثله وأخ وإذا كان الزائر شاباً خاطبه بأنه رجل شايب مثل والده . والشريف عادل ورحيم والعرب يضعونه في مرتبة أعلى من كل أسلافه الاشراف الذين توالوا على حكم مكة ويحترمونه لدرجة بالغة .

وعن تطلعات الشريف السياسية قال الراوي إنه يطمع ويأمـل في أن يستقل عن الاتراك في حكم الحجاز . وانه اضطر لالتزام الصمت الى الآن لعلمه بأنه يفقد القدرة التي تجعله يأخذ بزمام المبادرة للعمل . فهو في حاجة للسلاح والذخيرة والمال فإذا ما نجح في الحصول على مساعدة مثل الادريسي والإمام يحيى فسوف لا يتردد في إعلان استقلاله والعرب يحبونه وعلى استعداد للانضمام إليـــه ضد الترك . والترك أعداء ألداء للشريف ومما لا شك فيه أنه لا يتفق معهم في السياسة . ولولا علمهم بقوة حزبه ومساندة العرب له لكان الاتراك قبضوا عليه منـــذ وقت مضى . وتجد جمعية الاتحاد والترقي التركية في الشريف عقبة كأداء في تنفيذ مشروعاتهم ومطامعهم فيما يختص بالعرب . وقبل وقت قصير من إشعال الحرب الأوروبية قرر الاتحـاديون خلع الشريف وتعيين شريف آخر يتفق مع آرائهم مكانه . ولتنفيذ تلك السياسة عينوا عضواً هاماً من حزبهم اسمه وهيب بك والياً على الحجاز وأوكلوا إليه مهمة تقييد سلطة الشريف وبذلك يمهد الطريق لاعتقاله . وعندما وصل وهيب بك لمكة بدأ بتنفيـذ تلك السياسة . غير أن الشريف كان أكثر دهاء فلم

يترك نفسه يقع في المصيدة . فقد ظل يراقب الوالي تاركاً للوالي الجديد ينفذ سياسة الاتحاديين بطريقته الخاصة وليتأكد العرب بأنفسهم مما يراد لهم . وأدرك العرب أخيراً أن الترك يقصدون إحكام وضع الحبل حول رقابهم كالعبيد .

وكان رد الفعل لذلك أن قطع العرب الطريق بين جدة والمدينة واختل الأمن في الحجاز ممـــا أدى الى أن يبرق أهل مكة استانبول باضطراب الأحوال . وقد انزعج الاتحاديون في الاستانة لدرجة بالغة مما جعلهم يعدلون في سياستهم نحو العرب . وحين أبرقوا للشريف حسين ليبذل جهده لإعادة الأمن والاستقرار أجاب بأن الوالي لم يترك له سلطة أو نفوذ ولا يستطيع عمل أي شيء ما لم يسترد نفوذه وسلطته . وإزاء هذا الموقف لم يجد الاتحاديون مفراً من الكتابـــة للوالي بإعادة نفوذ وسلطة الشريف وأن لا يتدخـل في شؤونه وأعقبوا ذلك بفرمان تلي للجميع بتعيين الشريف حاكماً أعلى للحجاز ويأتمر الوالي بأمره . وكان هذا نجاحاً عظيماً للشريف لم يصل إليه أي من أسلافه الأشراف وقـد شاع السرور لهذا العمل بين العرب والزعماء في كل أنحاء الحجاز وأقيمت الزينات وأضيئت الأنوار في مكة عامـة والحرم خاصة وبالعكس ظلت الترك سحابة من الغم والكدر خوفاً من العرب . وعندما سمع العرب في جميع أنحاء الحجاز تسلم الشريف هدأت الأحوال وعاد السلام للأرض . وسعى الوالي نفسه بكـل قواه في التودد الى الشريف ولثم يده تعظيماً له أمام الجمع الحاشد من الناس . وفي هذا دليل واضح لقيام هـــذه العلاقة الجديدة بين الشريف والوالي .

وكانت علاقة الشريف بالاوروبيين وخاصة بالانجليز ودية ومرضية . فهو يعلم أنهم عدول ويتمتعون بدرجة عالية من التقدم والمدنية ولذلك

فهو يحبهم . وما من شك في أنه اتصل بهم وخالطهم أثناء إقامته في استانبول وعلم وتعلم الكثير مما هو خير عن المدنية الحديثة والعدل . والترك في الحجاز يتهمون الشريف حسين بأنه يميل نحو الانجليز وأن له علاقات سرية معهم . وهذه الآراء كانت شائعة ومنتشرة قبل قيام الحرب . فإذا كان هذا هو موقف الترك من الشريف فإنهم لا بد وأن ينتهزوا أول فرصة مؤاتية لخلعه وتعيين شريف آخر مكانه يكون آلة مسخرة في يد الاتحاديين القابضين على زمام الحكم في استانبول .

وللشريف غرام بزيارة العرب في مضاربهم في الصحراء ويقضي أشهراً عدة في تلك الزيارات . وهذه وحدها كافية لأن يتعلق العرب به ويضعون ثقتهم فيه . وتعوّد أثناء زيارته لهم توزيع الهدايا والمال لهم . وعند نشوب الحرب أصاب العرب الفقر والحاجة ولكن الشريف اشترى حبوباً من المدينة وسوريا بعشرين ألف ريال وباعها للعرب بتكلفتها دون أرباح . وأدى هذا العمل لمزيد من الحب للشريف لدى العرب الذين يعترفون بالجميل ويقدرونه . وتحدث الراوي بعد ذلك عن أبناء الشريف . وقال عن الشريف عبدالله أنه شجاع حر في آرائه وهو نائب عن مكة في البرلمان في استانبول . ويحكى أنه دخل في نقاش مع أنور باشا احتد فيه الى درجة أنه شتمه أمام الناس ، وكان على وشك أن يضربه ومع ذلك لوحظ أن أنور باشا بدأ يتودد إليه ليكسب صداقته . وكانت دهشة الناس بالغة عندما علموا بأن الشريف الشاب تحدى أنور العظيم صاحب القوة والنفوذ .

وللشريف الحق حسب ما يعتقد الراوي في أن يدعي احترام وتقدير وحب معظم زعماء الحجاز وقبائلهم . وفوق ذلك فهو على علاقات حسنة مع ابن الرشيد وبينهما معاهدة . وليس هناك من علاقات ودية بين الشريف

وابن السعود لأن الأخير عدو لابن الرشيد . والسيد الادريسي عدو لشريف مكة . وقد اشتبكوا في عدة معارك اشترك فيها الشريف فيصل نجل الحسين وقد ظهر الشريف للمراقب الذي لا يعرف مجريات الأمور أنه يدافع عن الترك في تلك المعارك بينما يعلم العارفون ببواطن الأمور أنه يحمي الحجاز من مطامع الادريسي الذي يتطلع الى السيطرة على كل اقليم الحجاز بما في ذلك مكة والمدينة ليعلن نفسه خليفة على المسلمين . وإذا ما اعترضته عقبات لتحقيق مطمع الخلافة فإنه يصبو إلى منصب المهدي المنتظر لأن من أهم شروطها ظهوره في مكة ويعرف الادريسي في منطقته بلقب الهادي ويبدو أن هذا اللقب مقدمة تمهيدية للقب المهدي. والادريسي في نظر الراوي شخصية مشكوك فيها . فهو معروف باعتماده على التعاويذ والأحجبة وما شاكلها ليدخل في أذهان اتباعه قوته الخارقة للعادات المألوفة . فالشريف على ذلك يحمي الحجاز من رجل طوح ولا يحمي الترك بصفة مباشرة . فالترك من الطبيعي أن يقدموا له يد المساعدة في حروبه ضد الادريسي . أما العلاقة بين الشريف والإمام يحيى فتبدو غامضة نوعاً ما ولكنها الى الآن تبدو ودية .

وفي الخطاب الذي أرفق هذه المعلومات قال السير ونجت أنه من هذه الرواية ومؤيدة بروايات أخرى أن الشريف عبدالله هو « القوة وراء العرش » وقد اصطدمت تطلعات عبدالله وشخصيته القوية بحذر والده ودبلوماسيته مراراً ومع ذلك فالعلاقات الشخصية بينهما ودية ولا يعرف الراوي فيما إذا كان الشريف يوافق على مطامع ابنه في الخلافة . ولو ان الروايات كلها تتفق على أن الشريف ميوله واضحة ضد الاتراك إلا أن موقفه في مكة يشبه موقف البابا يستدعي غاية الحذر لا سيما وأنه في حاجة ملحة للمال والسلاح والذخيرة وإمدادات الحبوب وغيرها . وقد كان سكان الحجاز يعتمدون لدرجة كبيرة على ما يرد إليهم منها

من سوريا . ولهذه المسألة اعتبارها . وخطة الشريف عبدالله هي أن يبدأ باستقلال الحجاز كمقدمة لمشروعه الكبير وفي هـذا ضمن تأييد ابن رشيد من بين زعماء العرب والطريقة هي طرد الاتراك بالقوة العسكرية والتي يأمل في أن تمدهم بريطانيا بالأسلحة والذخيرة سراً وتدفع قيمتهـا فيما بعـد . والشريف حسين يتفق مع ابنه في مسألة استقلال الحجاز ولكن لا يريد السير في مشروع الخلافة إلا إذا تأكد من زوال السلطة الزمنية التركية نتيجة لهزيمة القوة الالمانية وتحسس شعور المسلمين خارج الامبراطورية العثمانيـة . والراوي يؤيد ما علم من قبل عن الغيرة وسوء الظن بين الشريف والادريسي إلا أن مكاتبات الشريف السرية مع زعماء العرب الآخرين مهدت الطريق لنزع ولائهم للخلافة العثمانية وكانت العلاقة التي تربطهم بها تعتمد على مقدرة الدولة العثمانية في حمـاية أراضيهم ضد اعتداءات المسيحيين وغيرهم .

(٢٤٩٠) الضباط العرب في الجيش التركي

في يوم ٨ سبتمبر ١٩١٥ بعثت وزارة الحربية الى الخارجية نسخـة خطاب ورد إليهـا من قائد حملة البحر الأبيض المتوسط يتعلق بموضوع استسلام ضابط تركي بعد أن رفع العلم الأبيض ويدعي أنـه عضو في منظمة ثورية ويسمى شريف الفاروقي وتطلب وزارة الحربية من الخارجية الرد على الجنرال سيرايان هملتون . فما هي هذه المعلومات التي أدلى بها هذا الضابط ؟

كان الفاروقي ياوراً لفخري باشا وأرسل من حلب الى غاليبولي مغضوباً عليه ليموت هناك ولكنه هرب وسلـّم نفسه للانجليز حيث أدلى بمعلومات هامة عن عمل جمعية القومية العربية في سوريا . بدأت هذه الجمعية كشأن

كل الجمعيات الثورية في الشرق في الجيش وبين صفوف صغار الضباط . والملاحظ أنه ليس هناك جنرال من العرب وكوّن هؤلاء الضباط جمعية ببرنامجها وميثاقها ومعظمهم في فرق الموصل وبغداد إلا أن الفكرة امتدت الى سوريا والحجاز واليمن . والخطة المرسومة هي أن الأعضاء العاديين لهذه الجمعية يلبون نداء اللجنة برجالهم إذا ما صدرت لهم الإشارة . وانضم بعض المدنيين لهذه الجمعية ولكن لا نفوذ لهم في إدارة أمورها . وأول مشروع لهم هو المساعدة في نزول الجنود البريطانية المرتقب في الاسكندرونة وقد عهد لأمين بك لطفي بن فخري وجمال بتحصين خليج الاسكندرونة وقام فعلاً بالمهمة ولكنه حفر الخنادق ووضع المدافع بشكل لا يخدم غرض الدفاع . واتفق مع فرقتي الموصل وحمص وقد كونتا احتياطي أن يخفا لمساعدة الصفوف الأمامية عندما يطلب ذلك منهما .

وتأمل الجمعية بمعونة الانجليز الحلول محل الترك في سوريا والعراق والحجاز . ويأملون في أن يجدوا زعيماً عندما تصل ثورتهم المرحلة التي تمكنه من الظهور وسلطانهم هذا سيكون ذا سلطة زمنية ولا يكون له نفوذ على الحجاز والتي ستظل تحت حكم الشريف كخليفة والشريف نفسه على علم واتفاق مع الخطة . وفشلت الخطة لأن البريطانيين لم ينزلوا في الاسكندرونة ولسوء الحظ لم يتم ذلك . ودبّر تمرد في حمص في شهر فبراير وقطعت كل أسلاك التلغراف ووقفت الخيالة الكردية على استعداد . ونتيجة لذلك أبعدت فرقة الموصل من سوريا ونجح الفاروقي في زيادة حدة تمرد آخر أرسله فخرى باشا لاطفائه . وهذا كان السبب الحقيقي لتمزيق وحدة الفيلق نمرة ٣٦ .

والضباط الصغار في حلب يسعون بكل ما وسعهم ذلك لإغراء رجالهم بالفرار من الجيش التركي والالتجاء الى قبيلة عنيزة بالعراق .

فنوري الشعلان وهاشم من أعضاء الجمعية البارزين . وقد وعد ابن سعود والادريسي والإمام يحيى بالمساعدة ولو انهم تحفظوا في وعودهم شريطة أن لا يمس استقلالهم بأي وجه من الوجوه من قبل الحكومة العربية الجديدة . ويقول الفاروقي أن مركزهم في دمشق والموصل وبغداد قوي جداً ويبدو أن أعضاء هذه الجمعية ينتمون الى عائلات كبار ملاك الأراضي في سوريا والعراق . وعليه فمن الطبيعي أن يتبعهم جمهور المؤجرين لأراضيهم في صفوف الجند .

أقوال الملازم أول محمد شريف الفاروقي

(٢٤٨٦) ذكرنا من قبل أن شريف الفاروقي فر من الجيش التركي في الدردنيل وسلم نفسه للسلطات العسكرية البريطانية وحسب تعليمات الخارجية بعثوه إلى مصر . وهناك في القاهرة دوّن قلم المخابرات العسكرية أقواله وعلق عليها كليتون مدير المخابرات وأرسل مكماهون الأوراق إلى لندن في يوم ١٢ اكتوبر ١٩١٥ لتصلها يوم ٢٥ اكتوبر . فماذا قال شريف الفاروقي ؟

« انتمى لعمر بن الخطاب الخليفة الثاني في الإسلام ويلقب بالفاروق ومعناها المفرق . وسمي بهذا اللقب لأنه كان يفرق بين الحق والباطل . وتقطن كل سلالة عمر الفاروق في دمشق ولكن قبل قرون هاجر بعضهم إلى الموصل وهناك في الوقت الحاضر ٣٠ عائلة منهم تسكن في الموصل و ٢٠ عائلة في دمشق . ولدت في الموصل سنة ١٨٩١ وتعلمت في الكلية الحربية في استانبول وانخرطت في سلك الجيش التركي ضابط بيادة .

وعندما اندلعت نيران هذة الحرب كنت في الموصل ياوراً لفخري

باشا قومندان الفيلق الثاني عشر ومدرباً في استخدام البندقية لهذا الفيلق وبعد إعلان الحرب بقليل صدرت الأوامر لتحرك الفيلق لحلب ورافقت فخري باشا بالوظيفتين وأصبحت عضواً في جمعية أسسها الضباط العرب في الجيش التركي . وهدفها استقلال وسعادة العرب وقد زاد نشاط الضباط العرب أعضاء هذه الجمعية في هذا الفيلق بعد إعلان الحرب وتحركهم إلى حلب وبجدية قاموا بأعمال كثيرة وحملوا رسائل عديدة للجمعية في حلب وضواحيها .

وعندما أتى جمال باشا إلى سوريا قائداً عاماً للجيش الرابع وللحملة الموجهة لغزو مصر اتخذ دمشق مركزاً لرئاسته . وعليه فقد تحركت إدارة فيلقنا إلى دمشق وعين فخري باشا قائد فيلقنا وكيلا لجمال باشا ورافقته إلى هناك . وهنا تجدد نشاط أعضاء جمعيتنا وكانوا روح الإدارة العسكرية في مقاطعات حلب ودمشق وبيروت وقمنا بأعمال جليلة لتقوية ونشر مبادىء جمعيتنا حيث أسسنا فروعاً للجمعية في كل مدينة . وعندما كنت في حلب علمت بوجود جمعية من المدنيين في سوريا تسمى « فتاة العرب » ولها نفس الأهداف مثل جمعيتنا . وقد فكرت في دمج الجمعيتين حتى تنال قوة بهذا الدمج ولتجنب الأخطاء السياسية التي ربما يرتكبها العسكريون إذا ما تركوا وحدهم . وهذا ما علمناه من التاريخ. وقد سعيت بكل جهدي في هذا الدمج ونجحت . وقبل أن ننضم إلى المدنيين فقد اقتنعنا بأن الانجليز سيساعدوننا في جهودنا لأن ثورتنا ضد الترك ستؤدي خدمة عظيمة للحلفاء . ونحن على علم بحقيقة الوضع العسكري بالنسبة للقوتين المتصارعتين في الاستعدادات والموارد. فانضمامنا للحلفاء سيخفض كثيراً من قوات عدوهم الذي سيتعرض لمتاعب بالغة . وفوق ذلك فالانجليز أعلنوا للجميع أنهم يساعدون العرب ضد الترك . وعليه فقد نشرنا في سريّة في كل الأنحاء بين العسكريين والمدنيين وبين

البادية والحضر أن الانجليز هم الأصدقاء الذين يؤيدوننا لنيل استقلالنا . ونحن من جانبنا على استعداد لمنحهم امتيــازات ومزايا لا تمس مواردنا الضرورية ولا تمس استقلالنا . وذلك مقابل مساعدتهم لنا . ويجب أن نتذكر أن سلطة الترك على البلاد لم تكن كبيرة ومع ذلك لا نرضى أن نبقى تحت حكمهم حتى لو منحونا معظم حقوقنا لأن هدفنا الرئيسي هو الاستقلال الكامل .

وعندما اندمجنا مع المدنيين وجدنا مركز رئاسة حزبهم خارج تركيا (لندن) والأعضاء هناك انجليز وعرب ولهم مكتب مركزي في دمشق واجبه تنبيه الأذهان وحشد القوى لتنفيذ الوصول إلى الهدف .ووجدناهم أيضاً على اتصال بشريف مكة حيث أعلنوا ولاءهم له كخليفة وخلعوا ولاءهم لرشاد سلطان تركيا . وأول عمل قمنا به بعد الاندماج هو أننا أرسلنا ضابطاً لشريف مكة ليعلن ولاءه بالنيابة عن جميع الضباط أعضاء الحزب وخلع ولاءنا لرشاد . ووجدنا أيضاً أن شريف مكة على اتصال بالمندوب السامي في مصر والانجليز على استعداد لعون الشريف بالأسلحــة الضرورية والذخيرة لتحقيق الهدف وأن الانجليز وافقوا الشريف على قيام الامبراطورية العربية ولكن لم تعين حدود هذه الامبراطورية . وقد ذكر أن أراضي الشريف تشمله وتشمل من اتبعه . وعندما علم ذلك في دمشق استنتج أن الحدود الشمالية لامبراطورية الشريف يجب أن تكون خط مرسينا — ديار بكر .

وقبل نحو ثلاثة أشهر سافر ممثلون للحزب موفدين منه لجدة بتعليمات تقول بمناقشة وتعديل البنود الأخرى للاتفاقية إذا وافق الانجليز على هذه وبخلاف ذلك يجب على الممثلين الرجوع دون بحث النقاط الأخرى . ولم أعلم بما حدث لتلك البعثة . فهذه التفاصيل معلومة لدى رئيس أركان

الفيلق (ياسين بك) وهو أعلى مني رتبة في الجمعية ويعرف أكثر مما أعرفه من أسرارها .

وبعد اندماج الجمعيتين السريتين العسكرية والمدنية وبينما كنا نقوي مركزنا في البلاد علم كل من جمال باشا وفخري باشا من جواسيسهما أن هناك جمعية سرية من العرب من الجانبين العسكري والمدني تعمل ضد الأتراك . وعليه فقد بدأوا في تحقيقهم ببذل الكثير من المال واستخدام مختلف الوسائل لاكتشاف الأعضاء وما تهدف إليه الجمعية ولكنهم فشلوا . ومع ذلك فقد قبضوا على عدد من أعضاء الجمعية من المدنيين والعسكريين . وقبضوا أيضاً على مدنيين لم يكونوا أعضاء فيها . فمن ضمن المقبوض عليهم عبد الكريم خليل ورضا الصلح ومحمد المحمصاني وعبد الرحمن عوف ونجيب الارزازي (محامي ومن أعيان النصيرية في انطاكية) وشاكر علي القواص (نصيري من انطاكية) ومفتي صيدا وأعضاء عائلة الجوهري بصيدا . وقبضوا أيضاً على تسعة من الضباط العرب وكنت واحداً منهم . حدث هذا بعد أن رجع جمال من القتال فاشلاً .

وقد كنت آنذاك في الخدمة في حلب حيث قبض عليّ وأودعت سجن المعسكر لمدة خمسة عشر يوماً . وقد قاموا بتفتيش أوراقنا بدقة ولم يجدوا ورقة واحدة تديننا . واستطعنا القيام بثورة وأحدثنا اضطراباً في الجيش ولكن حزبنا لم يكن مستعداً . ولذلك قررنا استخدام السياسة لإقناع الترك بأن المقبوض عليهم لم يرتكبوا مخالفة ما . ومع ذلك فهذا القرار لم يمنع بعض الضباط من القيام بثورات فردية .

وعند رجوع الفيلق الخامس والعشرين من القتال صدرت التعليمات بتحركه شمالاً لاستانبول . وعند وصول الفيلق لحلب قام ضابط عربي

اسمه عز الدين السروجي من دمشق وخطب علناً في الجنود في شوارع حلب مشيراً لهم بالرجوع إلى ديارهم وألا يقاتلوا للترك الذين ظلموا واضطهدوا العرب . ففي الحال هرب ثلاثمائة من الجنود في يوم واحد ورجعوا الى بيوتهم في سوريا الجنوبية . والضابط نفسه التجأ الى عرب بدو كانوا أعضاء في حزبنا . وقام جمال بإرسال برقيات الى كل الجهات للقبض على هذا الضابط حياً أو ميتاً دون جدوى . والقنصل الامريكاني يعرف هذه الحادثة ويعرف عن سجني في تلك المدينة .

وقام كل من جمال باشا وفخري باشا باتصالات بي بواسطة تلغرافات الشفرة أولاً ثم حضر جمال بنفسه الى حلب واجتمع بي مدة ساعة ونصف وحاول جهده بإظهار عطف مصطنع لإغرائي للكشف له عن أسرار جمعيتنا دون جدوى . وقد أصدر أوامره بعد ذلك باخراجنا من السجن نحن الضباط وأرسلنا لاستانبول وقد اجتمعنا في حلب مع بعض الأعضاء الآخرين وقررنا الآتي : ١) على كل منا أن يحاول الهروب من استانبول الى شريف مكة بمعاونة أو بغير معاونة الانجليز عندما تسمح الظروف بذلك . ٢) على زملائنا في سوريا الاستمرار في عملهم كالعادة وأن لا يثبط هممهم ما يلاقونه من اضطهاد . ٣) يجب أن تكون المكاتبات متصلة بيننا وأن نخطر بتاريخ الثورة خمسة عشر يوماً قبل حدوثها حتى نتمكن من الهرب والحضور الى سوريا لنتخذ مراكزنا المخصصة لنا .. واجتمعنا مرة أخرى في مرسينة وحاولنا الهرب عن طريق قبرص لشريف مكة ولكننا فشلنا لأن الرقابة علينا كانت دقيقة . وعند وصولنا لاستانبول حاولنا مرة أخرى ولم تسنح لنا فرصة ما . ووزعنا الترك لتأدية واجبات مختلفة وألحوا علينا السفر الى مراكزنا في الحال وقررنا إطاعة الأوامر وعلى كل منا محاولة الهرب واللجوء الى الجيش البريطاني إذا أمكن .

وكان رئيس الأركان لفيلقنا واحداً منا وقد عين رئيساً لأركان أحد الفيالق في استانبول وعهد إليّ قيادة بلوك من البيادة التي تقاتل في غاليبولي وقابلت صديقي هذا قبل مسيرنا لغاليبولي وقررنا أن يحاول كل منا الهرب . وتمكنت من الهرب واللجوء للانجليز في غاليبولي وكتبنا بذلك للمكتب المركزي في دمشق . فعندما وصلت غاليبولي بقيت في خط النار عشرة أيام محاولاً أن تسنح لي الفرصة للهرب . وقد وجدتها وهربت ملتجئاً بالجيش البريطاني . ولقد كان هروبي أمراً لا مفر منه لأنني طالما كنت على رأس فريق من الجيش التركي فسوف أقاتل أصدقائي وأصدقاء حزبي وهم الانجليز . وبذلك أؤدي خدمة لأعدائي وأعداء حزبي وهم الترك الذين يرغبون في قتلي وقتل حزبي .

وحفظاً لشرفي رأيت أن أبقى بالشروط الآتية :

١ - أن لا أكون سجيناً بل ضيفاً على الحكومة البريطانية .

٢ - أن أرسل الى السلطات البريطانية في مصر أولاً ثم أنقل بعد ذلك الى مكان أختاره تكون فيه المصلحة والفائدة للفريقين .

٣ - يظل اسمي وهدفي سرياً .

٤ - أن لا يعلم الترك بأنني سلمت نفسي بل انة قبض عليّ أسيراً لأنه إذا ما علم الترك أنني هربت بطوعي واختياري سيقومون بأعمال انتقامية ضد أهلي ويزداد ضغطهم على حزبي . وقد قبلت هذه الشروط وبقيت مع الانجليز وقدمت لهم كل المعلومات التي أعرفها عن الجيش التركي من حيث قوته وتوزيعه تفصيلياً وعن الأحوال عموماً في تركيا ومعلومات أخرى عسكرية وقد قدم لي الجنرال هملتون والسلطات العسكرية في مصر شكرهم لهذه المعلومات .

والآن وبعد أن تم الفكاك من أيدي الترك أصبح أهم واجب لي هو

بذل الجهود لمساعدة زملائي للهرب من قبضة الترك . وعليه فالمأمول أن يساعدني الانجليز لتمكيني من تأدية هـــذا الواجب . فإذا ما وفقوا فسأرشدهم الى الطريقة ويجب أن نضمن بأنه إذا ما تم لهم الهرب أن نرسل لشريف مكة . وفي حالة عدم تمكننا من خلاص أي منهم يجب أن أرسل وحدي لشريف مكة لأن هذا يتفق مع برنامجنا العام . ومن الضروري أن يعلم أننا نعتمد على أنفسنا في الدرجة الأولى للوصول الى هدفنا . وسننال بكل الوسائل وتحت كل الظروف استقلالنا ونعلم أن وسائل نيل الاستقلال هي التضحية بأرواحنا .

والأسس التي نبني عليهـا قوميتنا قومية وليست دينية لأن القومية هي روح العصر . ونعتمد أيضاً على كلمة الشرف التي أعلنتها بريطانيا العظمى للعالم بأنها تحب العرب وتساعدهم لإزاحة النير التركي عن أعناقهم. فنحن الحزب العربي قوة لا يستهان بها أو تهمل . تسعون في المائة من الضباط في الجيش التركي وجزء من الضباط الأكراد أعضاء في الجمعية وبانضمامنا الى الحزب المدني الذي يضم الأهالي من حضر وبادية وكل الطوائف بما فيهم النصيرية اصبحنا أقوى مما كنا عليه معنوياً ومالياً .

ففي أبريل سنة ١٩١٥ تمكنا من القيـام بثورة في حماه بين صفوف الفرقة ١٠٧ وتضم أورطتين من العرب والأكراد . وبعض أعضاء حزبنا في العراق انضموا فعلاً للانجليز والعديد منهم ما زال متردداً . فإذا ما تم الاتفاق الذي أشرت إليه قبلاً سأذهب الى العراق وأقوم بضم عدد كبير من الضباط والجنود إلينا خاصة من الفرقة نمرة ٣٦ في الموصل وأنا معروف لديهم جميعـاً ولست مفوضاً أن أبحث معك بصفة رسمية برنامجنا السياسي ولكن إذا لم يتوصل الى اتفـــاق بينكم وبين ممثلينا الذين أتوا لجدة يمكنني لأجل تقصير أمد المفاوضات أن أجيب على أية أسئلة تود التوجه بها اليّ عن الاتفاقية .

وإذا كان ضرورياً إجراء تعديل في بنودها بما فيها الحد الشمالي المار بمرسينا ـ ديار بكر سأبذل جهدي باقناعهم بقبول اتفاقيتي . هذا مع علمي بوجود تعقيدات في المسائل الاجتماعية بين العرب أنفسهم والمشاكل السياسية بيننا وبين إحدى الدول الأوروبية (فرنسا) . من أجل تلك الأسباب ومن ثقتي بنفسي وبحزبي وكل العرب وحسن نوايا الانجليز نحو العرب واعتقادي بأن انجلترا لا تود أن تباعد ما بينها وبين العرب ، من أجل ذلك كله قلت ما قلت استعدادي للاجابة على الأسئلة ».

وعندما سأله كلايتون عن المبادىء التي تقوم عليها حكومتهم أجاب الفاروقي بما يلي :

(١) معاهدة ود وصداقة مع الانجليز إذا أمكن على أساس المصالح المتبادلة .

(٢) تحكم الأقاليم العربية على أساس اللامركزية . كل اقليم يحكم على النمط الذي يناسبه ولكنه يخضع للحكومة المركزية وهي مقر الخلافة .

(٣) يكون الشريف حسين خليفة وسلطاناً للامبراطورية الجديدة وقد قدمنا له بالفعل فروض الولاء والطاعة ونزعنا ولاءنا لرشاد سلطان تركيا .

(٤) ولو ان الامبراطورية الجديدة التي تنوي إنشاءها يرأسها خليفة إلا أن أسسها قومية وليست دينية . وستكون عربية وليست امبراطورية إسلامية .

(٥) وسيكون للعرب المسيحيين والدروز والنصيرية نفس الحقوق التي للمسلمين ولكن اليهود سيحكمون بقانون خاص .

ويبدو أن كلايتون أخذ أقوال الفاروقي هذه في مقابلات متعددة

لأنه في يوم ١١ اكتوبر ١٩١٥ كتب مذكرة أشار فيها الى ما دوّنه من الفاروقي . وقال عنه أنه حسب أقواله عضو بارز في حزب العرب الفتاة (العسكرى) وأيد أقواله عن عضويته في الحزب عزيز علي المصري وهو أيضاً عضو فيه . وحزب العرب الفتاة ممثل بجمعية سرية تسمى فتاة العرب والمعلومات التي أدلى بها الفاروقي عنها هي ما يلي :

اسم الجمعية التي تضم الضباط قبل اندماجها في فتاة العرب «العهد». وكل عضو في فتاة العرب مدنياً كان أو عسكرياً يدفع اشتراكاً شهرياً للمكتب المركزي في دمشق . والمبلغ المتجمع في الخزينة الآن بلغ مائة ألف ليرة تركية . وقد أقسم الأعضاء على القرآن بأن لا يفشوا أسرار الجمعية حتى ولو قطعوا إرباً إرباً . وإذا ما أفشى أحد الأعضاء السر يكون نصيبه القتل . والعضوية لها ثلاث درجات والفاروقي نفسه في الدرجة الثانية ويس بك الذي ذكر من قبل في الدرجة الأولى .

وعلى الأعضاء إخطار المكتب المركزي بتحركاتهم وأخبارهم . وعلى المكتب المركزي وهو على اتصال مستمر بالرئاسة أن يخبرهم بكل إجراءاته وقراراته وللأعضاء شفرة خاصة يتخاطبون بها . فهي معقدة ويستحيل على الغريب حل رموزها . وأقسم الأعضاء على القرآن بأن ينفذوا ما يهدفون إليه وإقامة خلافة عربية في جزيرة العرب وسوريا والعراق مهما كان الثمن وتحت كل الظروف مضحين بكل شيء لهذه الغاية بما يملكون وبأرواحهم إذا ما استدعت الظروف ذلك .

والفاروقي يقول بأن حزب العرب الفتاة يملك قوة كبيرة في كل أنحاء الامبراطورية العثمانية . وكدليل على مدى هذه القوة في الجانب العسكري فلم يحاول الترك ولا الالمان القضاء عليها مع علمهم بحقيقة اتجاهها المعادي على الاقل سلبياً وعلى الرغم من أن الكثير من أعضائها

ظاهر عطفهم نحو الحلفاء وخاصة بريطانيا العظمى . ويقول الفاروقي بأن الحزب وصل إلى نتيجة وهي أنهم يقتربون من الوقت الذي يكون فيه العمل أمر حتمي . ولذلك فقد قرروا الاتصال ببريطانيـــا ليعرضوا عليها معاونة فعلية مقابل ضمانها لتأييدهم في محاولتهم نيـل استقلالهم وهم يدركون بأن تنفيذ فكرتهم للامبراطورية العربية من كامل وجوهها أمر ربما لا يكون واقعياً في الوقت الحاضر وهو على كل حال يقدر التزامات انجلترا لحلفائهـــا في هذه الحرب . وأصحاب التجارب منهم ربما يدركون أن انجلترا لا يتوقع منها النظر بارتياح الى قيام امبراطوية عربية متحدة وقوية في حدود مع مصر وعلى جنـــاح طريق الهند . ولكنهم يطلبون من انجلترا أن تعدهم بالمساعدة في الحصول على مقدار من الاستقلال في حدود معقولة وحكم محلي في تلك الاقاليم العربية التي لانجلترا مصالح فيها أكثر من مصالح حلفائها .

ويقول الفاروقي أن استقلال الجزيرة العربية وحدها لا يرضيهم . ولكن يودون زيادة على ذلك إقامة حكم محلي داخلي يتطور بتزايد تدريجيـــاً تحت رعاية ونفوذ بريطانيا في فلسطين والعراق . أما سوريا فإنها بالطبع تقع ضمن برنامجهم ولكنهم يجب أن يدركوا أن فرنسا لهـا مطامع في هـــذه المنطقة . والفاروقي يعلن أن احتلال فرنسا لسوريا سوف يجد مقاومة عنيفة من السكان المسلمين . وعليه فإنهم بدون شك يتوقعون من انجلترا استخدام نفوذها لتسوية المسألة السورية تكون من صالحهم بقـدر الإمكان وبالتأكيد فـإنهم سيطالبون بادخال مدن دمشق وحلب وحمص وحماه ضمن الاتحاد العربي . وهذه هي كلمات الفاروقي : « إن مشروعنا يشمل كل البلاد العربية بما فيها سوريا والعراق ولكن إذا لم نتمكن من الحصول على الكل فإننا نرضى بما نستطيع الحصول عليه » .

ويقول الفاروقي أن الترك والالمان يدركون الوضع تمام الإدراك وقد

قاموا بالفعل باتصالات مع زعماء اللجنة ووصلوا الى حد بذل الوعود لهم بمنحهم مطالبهم كاملة . وقد كان القنصل الالماني في حلب خاصة نشطاً في هذا الصدد . ومن تقرير حديث وضح أن مبلغاً كبيراً من المال أرسل من استانبول لبغداد وما جاورها لشراء الزعماء في المنطقة وهذا له دلالته ولكن اللجنة تميل ميلاً كاملاً وظاهراً نحو انجلترا لأنهم يعتبرونها الدولة الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها . وسيادتها البحرية وقوتها المالية فيهما الضمان للمساعدة الضرورية التي يريدونها .ويقول الفاروقي. ونحن نفضل وعداً بالنصف من انجلترا على وعد بالكل من تركيا والمانيا . ونقبل شروطاً مقبولة من انجلترا ولكن لا نرضى بغير برنامجنا الكامل من أي دولة أخرى .

وفي الوقت نفسه فإنهم على اقتناع بأنهم لا يستطيعون الوقوف على الحياد أكثر من ذلك ، فإذا لم يحصلوا على إجابة مرضية من انجلترا في ظرف أسابيع قليلة فقد قرروا أن ينحازوا لتركيا والمانيا للحصول على أفضل الشروط بقدر الإمكان . ويقول الفاروقي أنه مفوض من قبل اللجنة ويمكن لانجلترا أن تبلغ اللجنة عن طريقه . وقد دارت مناقشة دقيقة بين كلايتون والفاروقي حول الموضوع . فإذا ما أضيف هذا الى تجارب السنة الماضية حيث هيئت فرص مناسبة لدراسة القومية العربية يتضح أن هذه المقترحات بالغة الأهمية .

فالوضع في الشرق الأدنى كما يقول كلايتون يتطلب من بريطانيا الحصول على نفوذ يساعدها في المعاملة مع الرأي الاسلامي الذي أثارته بالضرورة الحرب الراهنة بين الحلفاء والخلافة . ففشل الجهاد الذي أعلنته استانبول يعزى لحد بعيد الى موقف العرب الذي كان سلبياً ومعادياً لتركيا وفي بعض الحالات صديقاً فعلياً لانجلترا وحتى الآن فإن سياسة بريطانيا نحو العرب وخاصة مع الادريسي وشريف مكة كانت ناجحة بوجه عام .

ولكن هناك ما يدل على أنه إذا استمرت تركيا في مقاومتها الناجحة فإن شعور الشك والقلق سوف ينتشر .. وقـد اتصل شريف مكة مؤخراً مع حكومة جلالة الملك بمقترحات تشابه تلك التي قدمها الفاروقي ووضح حدود الأراضي التي يدعيها العرب . وقد أرسل إليه رد فيـه تملص أثار في نفسه الشكوك لأنه رد بوضوح غـير عادي . ففي خطابه الأخير يبدي دهشته لتردد السلطات البريطانيـة لمناقشة الحدود ويسأل بوضوح أن تبين بريطانيا العظمى سياستها في هذة المسألة لأنه يوليها اهتمامه الزائد وتسويتها ينتظرها المسلمون بفارغ الصبر بصفـة عامة . وليس هناك الآن من شك في أن موقف الشريف هو موقف أغلبية العرب . فعندمـا اندلعت نيران الحرب اتجهوا نحو انجلترا للتخلص من نير الترك . وقد انتظروا صابرين لمدة سنة . ولكن للصبر حدود حتى للشرقيين .

وهذه الآونة التي تقترب فيها القوات البريطانية من بغداد لعلهـا أصلح الأوقات لإعلان سياسة واضحة . فإجابة مرضية لمقترحات العرب ولو أنها قد لا ترضي كل تطلعاتهم وآمالهم كاملة ستقود إلى صداقتهم . فالزعماء أصحاب النفوذ يبدو أنهم على استعداد لقبول مقترحات معقولة أقل مما قدموه في مطالبهم والتي تبدو بعيدةالتحقيق في الوقت الحاضر حسبما يراها العقلاء منهم . واللجنة يمكنها البدء فوراً في العمل والحجاز المكان الذي يملك فيه الشريف قوة هائلة وستمد الحركة حالاً إلى سوريا وفلسطين وهناك تناقصت القوة التركية وفي بغداد والموصل تتمتع اللجنة بنفوذ كبير كما يبدو .

وعندما تتم العمليات العسكرية الموجهة من مصر في سوريا وفي العراق في الشتاء المقبـل بنجاح سيتركز الموقف البريطاني العسكري بالنسبة

للعمليات الأخرى شمالها وتستعيد بريطانيا مركزها وسمعتها وثقة العالم الإسلامي فيها . وسيزول عامل القلق المتزايد الذي يسود في الوقت الحاضر . ومن جهة أخرى إذا ما رفضت المقترحات العربية برمتها أو محاولة تحاشي بحث ما تثيره من مشاكل سيقود الى نتيجة واحدة وهي أن يرمي العرب بأنفسهم أو على الأقـــل بعضهم في أحضان العدو . وجهازهم هذا سيستخدم ضد بريطانيا في جميع أنحـــاء العالم العربي وسيكسب العدو قطعاً زعماء العرب عن بكرة أبيهم وهم كلهم إمـــا أعضاء في هذا الحزب العربي أو على اتصال به . وستنشط دعاية الرابطة الدينية وعنـــد الفشل ستكون نظرية الجهاد واقعية يمتد أثرها بعيداً وتكون عاقبتها في الأزمة الحاضرة وخيمة .

وفي ١٢ اكتوبر ١٩١٥ كتب ماكماهون رسالة مرفقـــاً معها أقوال الفاروقي ومذكرة كلايتون ومشيراً إلى أنه ينتظر في الأيام المقبلة خطاباً من شريف مكة يلقي بعض الضوء على عرض الفاروقي .

وقد كانت هذه الأوراق في وزارة الخارجية يوم ٢٥ اكتوبر لأنهـا أرسلت بالبريد العادي .

ولكن السلطات العسكرية في مصر التي قدمت لها هـذه المذكرات لا بد لهـا من إخطار وزارة الحربية برقياً بملخص ما أدلى به الفاروقي من معلومات . وعليه فقد أبرق الجنرال ماكسويل قائد القوات البريطانية في مصر وزارة الحربية في لندن يوم ١٢ اكتوبر ملخصاً لهذه المعلومات . أشار في مستهل برقيته بأنه بعث اليوم بالبريـد العادي مذكرة تختص بالمسألة العربية تدعو للبت العاجل

فهناك منظمة قوية لها نفوذ كبير في الجيش وبين زعماء العرب تدعى لجنة العرب الفتاة . ويبدو أنها قررت أن الظروف مؤاتية للقيام بعمل.

والترك والالمان الآن في مفاوضات معهم باذلين المال لكسبهم الى جانبهم . ومع ذلك فهذا الحزب العربي يميل لبريطانيا وما يريدونه هو تأييد وعطف من انجلترا في عبارات واضحة حتى ولو ان برنامجهم لا يقبل برمته وشريف مكة على اتصال بهم ويبدو عليـــه القلق ويطالب بشدة بتصريح واضح بسياسة بريطانيا في هذا الصدد . فإذا رفضت عروضهم أو تأخر الرد أكثر مما يجب فهذا الحزب العربي سيرمي بنفسه في أحضان الترك ويعمل معهم . وهذا يعني إثارة الشعور الديني في الحـــال وقد ينتهي الأمر إلى جهـاد حقيقي . ومن جهة أخرى فإن مساعدة فعالة يقدمهـا العرب مقابل تأييد بريطانيا لهم ستكون لهـــا قيمتها في الجزيرة العربية والعراق وسوريا وفلسطين . فالمسألة هامة وتستدعي قراراً سريعاً .

وفي يوم ١٦ اكتوبر ١٩١٥ أرسل ماكسويل برقية أخرى أشار فيها إلى برقية ماكماهون التي يشرح فيهـا بنود مقترحات الحزب العربي عن طريق شريف مكة . فماكماهون في رأي ماكسويل لا يؤكد في برقيته أن هناك وراء الزعماء العرب حزب عربي قوي النفوذ يضم عضوية الكثير من الضباط العرب في الجيش التركي وأقسموا للقضية العربية . وهـــذا الحزب سيعمل ضد الترك ولجنة الاتحاد والترقي إذا ما توصلوا الى أسس معقولة للمفاوضات على وجه السرعة . وعليه فمن الضرورة بمكان الاسراع وعدم تضييع الوقت وإلا فإنهم ومعهم الزعماء سيرتمون في أحضان الترك. وهذه حالة تزيد من متاعب بريطانيا في العراق وفي الجزيرة العربية ومع السنوسي مما يجعل غزو مصر أمراً سهلاً . فالمقترحات الموضحة في برقية ماكماهون تمثل المطالب الكاملة ولكن لدينا من الأدلة ما يجعلنـا نعتقد أنهم يقبلون تعديلات فيها تنازلات معقولة أثنـاء المفاوضات . ويرى ماكسويل أن أوان التعميات الغامضة قد فات والقضية كما يراها ماكسويل هي أن تبعد بريطانيا ذلك الجزء من المقترحات الذي لا تستطيع قبوله

ولا تسمح به وتجعل مـــا تبقى منها أساساً للمفاوضات . ويجب على بريطانيا أن تعلم أنها إذا أصرت على البصرة داخـل دائرة نفوذها فإن بقية العراق يجب أن تدخل ضمن المفاوضات . وبالمثل فإن الحزب العربي كما يعتقد ماكسويل يصر على حمص وحماة ودمشق ضمن الدولة العربية .

ويرى ماكسويل أخيراً أنهم يواجهون مسألة مستقبـل الإسلام فإذا ما نجحوا في أن يجعلوا فرنسا تدرك هذه الحقيقة فربمـا تميل إلى قبول تسوية ما .. والوقت عامل له أهميته البالغة في نظر ماكسويل فإذا لم تقدم بريطانيا للشريف عروضاً محـددة ومقبولة في الحال ستواجه بقوة الإسلام الموحدة . وفي الختام يشير الى أنه سيرسل التقرير المفصّل .

وفي ١٨ اكتوبر ١٩١٥ بعث ماكماهون ببرقيــة الى الخارجية تحوي ملخصاً لرد الشريف على خطاب ماكماهون الذي بعث به الى مكة في يوم ٣٠ أغسطس والذي أشار إليه ماكسويل . فالشريف يقول إنــه تسلم خطاب ماكماهون بمزيد الغبطة والسرور ولو انه وجده غامضاً وملتويـاً فيما يختص بالنقطة الأساسية وهي : حدود الدولة العربية الجديدة . وهو يعبر عن ثقته وتفضيله للامبراطورية البريطانية تحت كل الظروف كما أملتها مصالح رعاياه الحقيقية . ومع ذلك فقد انزعج للعبارة التي أشارت بأنه لا فائدة ترجى من مناقشة حدود الدولة العربيــة بينما لا زالت بعض الأراضي المشار إليها في يد الأعداء . ولو انه قد يكون من الضروري تسوية الحدود العربية مع أكثر من دولة ويحدث هذا بعد الحرب إلا أنها مسألة موت أو حياة للأمة العربية . فهم في هذه النقطة كلمتهم واحدة ولا اختلاف بينهم ولا بد من بحثها مع بريطانيا العظمى . فهي الدولة الوحيدة التي يولونها ثقتهم . فتسوية حدود بلادهم أمر ضروري لإثارتهم ودفعهم ومدهم بالثقة حتى يتفادوا احتمال ما يجعلهم في نزاع مع انجلترا

أو أي من حلفائها . وهم أبعدوا من حدود الدولة العربية الأماكن التي تقطنها عناصر أجنبية وموقفهم في هـذا الصدد لا مجرد كلمات جوفاء ولكنه تعبير واضح عن ضروريات حياتهم الاقتصادية .

ويرد الشريف على تردد بريطانيا للبت في مسألة الحدود بحجة أن بعض العرب ما زال يحمي المصالح التركية . فهو يؤكد أن كل العرب وحتى الذين يأتمرون بأوامر الترك والالمان الآن يترقبون نتائج المفاوضات القائمة . وهـذه النتيجة تعتمد على قبول أو رفض مطالبهم الاقليمية والإعلان عن حماية دينهم وحقوقهم . وعليـه فالشريف يطالب برسالة عن طبيعة السياسة البريطانية والتعليمات الموجهة لها . ولا يقترح مكماهون كما فعل أولاً أي رد بل طلب التعليمات التي تمكنه من الرد على الشريف.

وعندما تناول المستر كلارك الموظف المختص في الخارجية البرقيـة ليعلق عليها أشار بأن برقيات ماكسويل يجب أن تقرأ معها . فالمسألة في رأي المستر كلارك لها وجهـان عسكري وسياسي والأول يدعو للاستعجال . وقد قيـل ان الضباط والجنود العرب في الجيش التركي وليسوا العرب وحدهم على استعداد للعمل ضد لجنة الاتحاد والترقي والترك إذا ما وافقت بريطانيا على حدود دولتهم . أما إذا لم يتوصل معهم الى اتفاق فإنهم بكل تأكيد ينضمون لجانب تركيا والمانيا ضد بريطانيا. فمزايا أحد الوضعين ظاهرة ظهور مخاطر الوضع الآخر . وعليه فكلارك يقترح الاسراع بجمع ضباط من مصر والدردنيل لهم معلومات وتجـارب محلية مع ممثـل للسلطات العسكرية الفرنسية في لندن لبحث الموقف ووضع خطة .

أما من الناحية السياسية فأول شيء في نظر كلارك هو هل بريطانيا على استعداد لقبول مبدأ « بلاد العرب للعرب » حتى ولو كان مبالغاً

فيه كما اقترحه الشريف . ويوضح هنا كلارك رأيه الشخصي الذي اعتنقه منذ بداية الحرب ويعتقد أنه الحل الأمثل . وهو دولة عربية تعتمد على بريطانيا كمؤسسة وحامية لهذه الدولة بحدود اقليمية غنية ومتسعة لدرجة امتلاكها لموارد كافية . ولكن هناك عقبتان أمام قيام هذه الدولة . ١) مطالب فرنسا ومطامعها . ٢) تقدم بريطانيا في العراق . فمن الأولى يصعب على الانسان تحدي مركز فرنسا ومطالبها ومصالحها في الجزء الشمالي من الدولة العربية المقترحة من العرب . ولا تستطيع بريطانيا أن تكسب العرب إلا إذا ما لاءمت بين مطالب فرنسا والعرب وأن يكون الموقف معروفاً بوضوح منذ البداية لكل من فرنسا والعرب . وإلا ستجد بريطانيا نفسها في موقف لا تحسد عليه لمتاعبه الخطيرة .

ويرى كلارك والحالة هذه أن تكون خطة بريطانيا هي أن تشرح لحلفائها وتقنعهم بضرورة عامل الزمن والسرعة في هذه المسألة وأن يوافقوا على تفويضها كمتحدث رسمي بالنيابة عنهم . وبعد ذلك تقول للعرب أنها تتحدث عن الحلفاء ككل وأن يكون العرب على استعداد بالاعتراف بأفضلية المصالح التجارية الفرنسية في الشمالي الشرقي . أما العراق فإنه في الدرجة الأولى مسألة تهم الهند ولكن كلارك يرى أنه في الإمكان إيجاد حل يضمن استقلال العرب وفي الوقت نفسه الاحتفاظ بمصالح بريطانيا الحيوية ومع ذلك فيجب أن تكون بريطانيا على استعداد للتخلي عن مصالحها الاقليمية في العراق إذا ما كانت فرنسا على استعداد للتخلي عن أحلامها في سوريا .

وهناك صعوبة ثالثة وهي من يكون على رأس هذه الامبراطورية العربية ؟ فابن السعود يحكم نجداً والشريف حسين في الحجاز والادريسي أو الإمام يحيى قد يكون سيداً على اليمن . ولكن لم تكن هناك

إشارة الى من يكون أمير دمشق أو خليفة بغداد . فهذه مسألة سوف يلقى عليها الضوء في مرحلة المفاوضات مع ممثلي العرب .

فإذا لم تأت رسالة مكماهون المطولة بما يستحق النظر من جديد فإن كلارك يقترح أن تكون التعليمات للسير هنري مكماهون هي أن حكومة جلالة الملك توافق على قيام دولة عربية مستقلة من حيث المبدأ وهي على استعداد لمناقشة الحدود لهذه الدولة والإجراءات الواجب اتخاذها لإنشائها مع ممثلي العرب أصحاب الصلاحية بدون تأخير .

غير أن سير أرثر نيكلسون وكيل الوزارة يساوره الشك في اجتماع كلمة زعماء العرب المتنافسين على إنشاء دولة عربية مستقلة . ومع ذلك يوافق أن يسيروا على الخطوط التي اقترحها مستر كلارك لأن مكماهون يطلب رداً سريعاً . وقد كتب رداً بالفعل ولكن قبل إرساله وصلت برقية من مكماهون ولذلك شطبت مسودة الرد حتى يطلع المختصون على البرقية الأخيرة .

والبرقية الثانية تاريخها ١٨ اكتوبر ١٩١٥ . أشار في مستهلها إلى خطابه بالبريد العادي الذي أرفق معه أقوال الفاروقي وكلايتون وبرقيته السابقة التي تحوي مقترحات الشريف . فمن محادثاتهم مع الفاروقى علموا أن الحزب العربي أصبح على مفترق الطرق . فإذا لم يحصلوا على ضمانات ترضيهم في الحال فإنهم سيرتمون في أحضان الالمان الذين وعدوهم تلبية مطالبهم جميعها . فمن جهة فهم على استعداد للعمل إيجابياً مع بريطانيا وهذا مما يكون له كبير الأثر على الوضع في العراق والحملة على سوريا . ومن الجهة الأخرى يتخذون موقفاً معادياً لبريطانيا وربما يقف كل العالم الاسلامي في الشرق ضد الحلفاء .

والحزب العربي لا يستمر في موقف المتردد أكثر مما وقف لأنهم

يرون بدء العمل قبل أن تصل إمدادات أخرى للترك من الالمان .وعليه فالمسألة تدعو للسرعة والقرار تواجهه صعوبات كبيرة لأنه إذا لم تكن بريطانيا دقيقة في حذرها يحتمل أن يبرهن هذا الحزب العربي بمرور الوقت على أنه مجلبة للمتاعب مثل حزب تركيا الفتاة . وعليه فإذا لم تكن لدى حكومة جلالة الملك معلومات تزيل القلق من جراء خطط المانية - تركية ضد بغداد ومصر فمن الأصوب أن تقوم بمخاطرة محاولة إبقاء العرب في جانبها .

وقد علم ماكماهون في محادثة أخرى مع الفاروقي أن الحزب العربي قد يقبل شروطاً على الأسس التالية : تقبل بريطانيا مبدأ استقلال البلاد العربية تحت رعايتها في الحدود التي اقترحها شريف مكة . وفي الأراضي التي تستطيع أن تتصرف فيها بريطانيا بحرية دون المساس بمصالح حلفائها الحاليين ويعني ذلك فرنسا . وعلى انجلترا عندما يسمح الموقف أن تقدم نصحاً للعرب عن نوع الحكومة المناسبة في الأراضي المشار إليها . وعلى العرب في تلك الأراضي الاعتراف بنفوذ بريطانيا ومصالحها وتفضيلها على غيرها والعمل تحت إرشادها ورعايتها ومن أجل ذلك يقبل العرب المقيمين والمستشارين والموظفين البريطانيين الذين تدعو الضرورة لهم لضمان إدارة رشيدة . ولكن الجزيرة العربية تظل تحت حكم زعمائها . وعلى انجلترا الاعتراف بحرمة الأماكن المقدسة وضمانها ضد احتمالات أية اعتداءات خارجية .

وفيما يتعلق بالحدود الشمالية - الغربية التي اقترحها شريف مكة فحسب اعتقاد الفاروقي فإن العرب سوف يقبلون بعض التعديلات التي تسمح ببقاء المراكز العربية الخالصة مثل دمشق وحلب وحماة وحمص داخل الدولة العربية وأنهم سيقاومون الاحتلال الفرنسي لتلك البلدان

بقوة السلاح . وهم يقبلون حقيقـــة أن المصالح البريطانية تستدعي إجراءات خاصة وسيطرة بريطانيـــة في ولاية البصرة . فإذا نظر في خطاب الشريف ضوء آراء الفاروقي يظهر بوضوح أنـه لا الشريف ولا الحزب العربي على استعداد لقبول أية عروض عامة أقل من هذه.والفاروقي نفسه يود زيارة الشريف ويقترح ماكماهون تسهيل مهمته والاستجابـــة لرغبته في الوقت المناسب . وأخيراً يكون ماكماهون شاكراً لو وصلته التعليمات التي يرد بمقتضاها على الشريف والضمانات التي يرد بها على الحزب العربي عن طريق الفاروقي .

علق المستر كلارك على هذه البرقية بأنه كتب رأيه على البرقية السابقة قبل أن تصله هذه . ومع ذلك لم يجد مـا يضيفه الى تعليقه السابق حيث لم يجد ما يجعله يعدل عن رأيه . ومع ذلك فهناك احتمال كما يبدو في أن يعترف العرب لدرجة ما باستحالة إهمال فرنسة كلية . أما سير أرثر نكلسون وكيل الوزارة فقد أشّر بأنه كتب مسودة الرد على البرقية الأولى ولكنها شطبت .

ويبدو أن السير ادوارد جراي وزير الخارجية بعد أن قرأ برقيات ماكسويل وبرقية ماكماهون الأخيرة رأى أن المسألة تستدعي أن يكتب بنفسه ولذلك شطبت مسودة نكلسون وكتبهـا بخط يده . ثم عرضت على لورد كتشنر ووافق عليها مع صياغة أول البرقية بشكل تظهر فيه حرارة الضمانات . وعرضت أيضاً على وزارة الهند حيث أضاف وكيل الوزارة هناك تحفظات بشأن العراق والاتفاقيات مع الزعماء العرب في الجزيرة العربية . وبعد هذه التعديلات على صيغة السير ادوارد أرسلت البرقية في يوم ٢٠ اكتوبر ١٩١٥ الى القاهرة .

فوّض ماكماهون بأن يعطي ضمانات ودية على الأسس التي اقترحها مع

التحفظات الخاصة بحلفاء بريطانيا التي اقترحها ماكماهون أيضاً . أما مسألة اعتراف العرب بالمصالح البريطانية واعطائها الأفضلية والعمل تحت إرشاد بريطانيا لا ضرورة لها إلا إذا كانت لازمة لموافقة العرب لأنها ربما تخلق انطباعاً في فرنسا على أن بريطانيا لا تحاول الحصول على مصالح العرب فحسب بل لتؤيد مصالحها في سوريا على حساب فرنسا .

وليس هناك من صعوبة في الحديث بدون تحفظ فيما يختص بالجزيرة العربية والأماكن المقدسة . والتحفظ اللازم العام هو الذي يختص بالحدود الشمالية ـ الغربية . أما بخصوص العراق ومنطقة نفوذ بريطانيا في ولاية البصرة تحتاج الى امتداد نسبة لمصالح بريطانيا في ولاية بغداد والأراضي التي احتلتها بالفعل . ومعاهدات بريطانيا مع الزعماء العرب يجب أن تظل سارية المفعول ولكن من الأهمية بمكان أن تعطى الضمانات والتأكيدات التي تمنع العرب من عداء بريطانيا والبعد عنها ويفوض ماكماهون بالطريقة التي يراها في المسألة لأن الأمر يستدعي البت السريع وليس هناك من وقت يسمح لبحث صيغة محددة ودقيقة .والخطة المبسطة جداً هي أن يعطي ضماناً لاستقلال العرب مع الدخول حالاً في مناقشة عن الحدود إذا ما أرسلوا ممثلين لهذا الغرض ومع ذلك فإذا كان هناك لا بد من شيء محدد يضاف أكثر من هذا فماكماهون مفوض بذلك . وأخيراً على ماكماهون أن يجعل ونجت على علم بما يحدث .

في نفس اليوم الذي أرسلت فيه هذه التعليمات لماكماهون (١٠ اكتوبر) وصلت برقية أخرى من القاهرة ولكن كانت أمام الموظفين المختصين في اليوم التالي وفيها ينقل ماكماهون ما قدمه رسول الشريف من معلومات. فقد تأثر الشريف كثيراً بأن انجلترا لم تمنع الحج أو كسوة الكعبة وأن ما حل بالحجاز من ضيق مرده الى الترك . وقد غادر الشريف عبدالله الحجاز في يوم ٢ سبتمبر لنجد ومعه ستة عشر ألف مقاتل لتأييد ابن

الرشيد في الظاهر وقد تسلم من الترك عشرة آلاف جنيه وعشرة آلاف بندقية ثمناً لمساعدته المتوقعة لهم في الهجوم على البصرة . ولكنه في الحقيقة كان يرمي الى العكس من ذلك بأن يثبط همته من هذه المغامرة . وقد بلغ غضب الشريف منتهاه عندما علم بالأخبار المؤسفة التي تقول بأن الترك قد أعدموا شنقاً خمسة عشر عربياً بارزاً في حمص وحماة وبما أذاعه أحد الوهابيين المعروفين جداً من أنه (الشريف) كافر . أما ابنه الثالث فيصل فقد دعاه الترك ليساعدهم في سوريا وسيلبي الدعوة بشرط واضح وهو أن يكون حراً في مقابلة أي من الزعماء العرب هناك . وسترافقه قوة مكونة من عشرين ألف رجل تأخذ أسلحتهم من المدينة وقد أشار فيصل لهذا الرسول بأن يخبر المندوب السامي بأنه ليس في نيتهم القتال مع الترك حتى ولو أرسلوا الى القتال . ففي هذه الحالة فسيكون هجومهم مفتعلاً . فهدف العرب الوحيد هو عقد معاهدة مع انجلترا . وعرب سوريا يتبعونه بموجب ميثاق موقع عليه .

ورسول الشريف هذا ويبدو عليه أنه من البارزين في الحجاز يقول بأن العرب ينتظرون مترقبين نتائج المفاوضات الجارية مع انجلترا وخاصة شيخ رابغ فهو صديق وينتظر متحفزاً كشأن كثير من الزعماء الآخرين للانقضاض على الترك بعد التأكد من هذه الضمانات . والشريف يتصل كتابياً بالإمام يحيى ويشير عليه بأن لا ينضم الى الترك . ووكيل ماكماهون الذي رافق الكسوة قدم تقريراً يقول فيه أن تجار جدة بإيعاز من الترك أرسلوا لحكومة استانبول عريضة ضد الشريف وأن كل جنود الترك أرسلوا لمكة والطائف وأن الشريف في خطر من أن يغتال.

وصلت هذه البرقية بعد أن أرسل الرد في اليوم السابق ولذلك لم يجد المستر كلارك ما يعلق عليه سوى قوله أنه من الصعوبة بمكان التأكد من أن الشريف يتحدث نيابة عن جميع العرب . وعرضت البرقية بعد

ذلك على لورد كتشنر ووزارة الهنـــد وسير أرثر نكلسون وأخير سير ادوارد جراي . ووقع كل من وكيل الوزارة والوزير بالأحرف الأولى وتحت ذلك ظهر تعليق لم يتبين لنا من كتبه . والتعليق يقول بأنـه يجب عليهم بذل جهـد لإثارة الضباط العرب في الجيش التركي وحسب اعتقاده أن العرب سوف ينتظرون مترقبين تطور الحرب ورجحان الكفة قبل أن يعلنوا قطع علاقتهم مع الترك .

ومثل هذه الرسائل الهامة التي تتصل بعلاقات بريطانيـا مع العرب في الجزيرة العربية لا بد وأن ترسل صور منها لنائب الملك في الهند . وفي الأحوال العادية لا يشير وزير الهند بشيء أو يعلق إلا بعد استشارة نائب الملك . أما الآن وقد انزعجت لندن من أقوال الفاروقي واحتمال انضمام الحزب العربي للترك والالمان إذا ما تأخر القرار والضمانات فقـد استعجلوا الرد قبل استشارة نائب الملك لأن الوقت لا يسمح بذلك . وعليه فلا بد والحالة هذه من أن يشرح وزير الهند الأمر لنائب الملك . فقد بيَّن إصرار سير ادوار جراي ولورد كتشنر على سرعـــة الرد متأثرين في ذلك ببرقيات الجنرال ماكسويل قائد القوات البريطانيـة في مصر نتيجة أقوال الفاروقي . ولخص له كل ما جاء في تلك البرقيات المزعجة من القاهرة .

(٢٤٧٩) تقرير من عدن
تاريخه ٩ سبتمبر وفي الخارجية ٢٢ اكتوبر ١٩١٥

كتب هذا التقرير عن الأحوال في جنوب الجزيرة العربية اللفتينانت كولونيل جيكوب مساعد المقيم السياسي البريطاني في عدن . والجيكوب

خدمة أطول من رئيسه في المنطقة وتتبع التطورات في حقبة ما قبل الحرب وأثناءها . وقد علم بل ربما تلقت المقيمية في عدن عن طريق حكومة الهند صورة بمشروع التقسيم لتركيا الاسيوية الذي أعدته لجنة تمثل الدوائر البريطانية المختصة . ولذلك بدأ تقريره بأنه في حالة تقسيم تركيا واختفائها من اليمن فالوضع السياسي يستدعي بالضرورة إعادة النظر فيه جذرياً .

فقد ينقل إمام صنعاء مركز رئاسته إلى الجنوب فهو يكره الترك ولكنه لا يستطيع الاستغناء عن الهيئات التركية ويتخذ بديلاً عنها أعرابه المرتزقة من أمثال حاشد وباقل . فولاؤهم غالي الثمن والإمام بخيل مقتر . وقد قال أحد معاوني الإمام لجيكوب مؤخراً أنه سوف لا يسمح للجنود الترك مغادرة صنعاء جميعهم لأنهم علامة ظاهرة وملموسة للسلطة التركية يود الاحتفاظ بها لإرهاب القبائل المتمردين وجمع الضرائب التي تكوّن إيراداته . ولم يكن الإمام راضياً عن احتلال الترك لاقليم لحج لأنه يعتبرها منطقة محجوزة له خاصة . والإمام تربطه معاهدة سرية دفاعية وهجومية مع السلطان سير أحمد فضل والذي يعتبره أحد صنائعه .

ولم يكن الإمام راضياً عن رمي الاسطول البريطاني لشيخ سعيد بالقنابل والتي يعتبرها من أملاكه القديمة ويتطلع الى استعادة سيادته عليها . وعند اختفاء الترك من اليمن فإن الإمام دون شك سيحاول الاستيلاء على ما أخلوه من أراضي وستواجه بريطانيا موقفاً صعباً لأنه ليس من الأمور السهلة استرضاء حاكم طموح . ومن الواضح أن الإمام أصبح سيد اليمن العليا عندما نقل الترك رئاسة قواتهم الى تعز .وسيظل يتآمر مع العشائر التي تستظل تحت الحماية البريطانية في الحدود الشمالية ـ الشرقية وقد قام فعلاً باتصالات مع حاكم مأرب وهو زيدي مثل

الإمام ولكنه ظل يحاول الحصول على إعانة من بريطانيا . والعرب في الداخل تحت ظل النفوذ البريطاني شافعية واتصال الإمام بهم شيء كريه لديهم ولكنهم كانوا زيدية فيما قبل وكان زعماؤهم يمثلون دور نواب الإمام . وحسب معرفته بالعرب لا يستبعد جيكوب انحيازهم لمعتمد قوي إذا ما رأوا بريطانيا ساكنة لا تتحرك . وعليه فيرى جيكوب من الصعوبة بمكان أن تتنكر بريطانيا لمعاهداتها الحالية . وفي الوقت نفسه فإن هذه المعاهدات لا تلزم بريطانيا بشيء .

وتتلخص في بندين رئيسيين . أولهما التزام من العرب أن لا يتخلوا عن أراضيهم لدول أخرى . وثانيهما السماح لسلطات بريطانيا بحق المرور في أراضيهم . ويرى جيكوب أن العرب سيحافظون على الالتزام الأول لأنه شرط لحصولهم على المال . ولكن الالتزام الثاني مضحك وسخيف فهم أحرار الدخول في عدن ويتلقون هدايا ويرفهون عن أنفسهم. ولكن عندما تبدي السلطات البريطانية رغبة في زيارة ودية لاقاليمهم فكل شيخ يشم رائحة غرض خفي هو الضم والاستلحاق . ولذلك يجد مثل هذا الطلب مقاومة لأن العربي يحب الدولة التى يحصل منها على المال ولكنه في الوقت نفسه يرى أن يترك وشأنه . وحب العزلة هذه تعزى جزئياً الى جغرافية أقاليمهم والى ثارات الدم بينهم . فكل قبيلة وحدة في نفسها وإذا ما حدثت محالفات فسرعان ما تنقض . وهناك طرق كما يرى جيكوب لإزالة هذا التحفظ والانعزالية .

ويرى جيكوب أن بريطانيا ستكون مهتمة ومشغولة بعد الحرب بالمصالحة بين الادريسي والإمام . فمصالحهما متضاربة وتصطدم ببعضها . فالادريسي يود أن يتوسع على حساب مناطق نفوذ الترك في الوقت الذي يرى الإمام أنه الخليفة الشرعي لبعض الأراضي التي يخليها الترك .

ويقول جيكوب أنهم في معاهدتهم مع الادريسي التزموا بأن لا يضموا أراضي جديدة في جنوب - غربي الجزيرة العربية . ولكن عندما يرى الانسان زحف الاتراك على حدودهم واحتلالهم لاقليم لحج يجد أن لا بد من تعديل سياستهم هذه . وأيضاً لالتزامهم لابن ناصر مقبل بأن يترك وشأنه . ولكنه انضم للترك نتيجة ضغط أو ربما لأن بريطانيا لم تتحرك من أجله . ومنطقته خصبة وغنية والإمام يرنو إليهـا بأبصاره وعليه فيجب أن تكون هذه المنطقة لبريطانيا بالرغم من إعلان سياستها بالوقوف على الحياد لأن الظروف قد تغيرت وهناك شيوخ آخرون انضموا للترك في لحج إما خوفاً أو للتعاون معهم لتحطيم سلطة عائلة العبدلي لأنه هو وعشيرته ظلوا على ولائهم لبريطانيا وحاولوا وقف زحف الترك .

وسياسة بريطانيا كما يراها جيكوب لولاء العرب تتركز في أعانات مالية وهدايا للمشايخ والذين بدورهم يشركون معهم بعض الرؤوس أصحاب النفوذ ولكن العربي العادي من القبائل لا يناله شيء من تلك الأموال وبحكم طبيعة العرب الفردية والتي تأنف من أن ترى رئيساً عليها يمقتون بريطانيا ومشايخهم وتظل نار الكراهية متأججة في ضلوعهم للفريقين . ولذلك فإن هذه الإعانات والهدايا لا تمس إلا أطراف المجتمع العربي . ويرى جيكوب تصحيحاً لهذا الوضع الخاطىء أن لا بد من خط حديدي للداخل لتكون منفعته للجميع من حيث تصدير محاصيلهم واستيراد السلع اللازمة وخلق احتياجات لا يعرفونها الآن . وبذلك يشيع الأمن ويمتد النفوذ البريطاني وتنتهي عوائد الترانزيت وبوجه عام يأخذ كل إنسان نصيبه من الفوائد والمزايا التي تعود من هذا الخط . وهناك فوائد تموينية واستراتيجية لبريطانيا أيضاً . والاقتراح الثاني الذي يراه جيكوب هو تجنيد فرقة من العرب للعمل تحت السلطات البريطانية في عدن لأن الايطـاليين نجحوا في تجنيد عرب الجنوب الغربي من الصومال . وعرب

الداخل مقاتلون أكفاء ويسرهم الانخراط في هذه الجندية . وهذه أيضاً وسيلة لامتداد النفوذ البريطاني .

واقتراح آخر يراه جيكوب معززاً للنفوذ البريطاني وهو تعليم أبناء الزعماء . فعند استشارته لبعض الزعماء لم يلق إلا معارضة واحدة . والاقتراح هو إنشاء مدرسة خاصة لأبناء الزعماء على أسس إسلامية مغلفة بالنظم الانجليزية . وهذه أيضاً وسيلة ماهرة لدعم المثل البريطانية . فإذا ما غرست البذرة فلا بد من أن تنمو وتزهر . ويعتقد جيكوب أن لا أمل في استقلال الجزيرة العربية ولا بد من سيطرة دولة أوروبية . فلماذا لا تكون هذه الدولة بريطانيا ؟ فهي موجودة في المنطقة وطرقها ونظم ادارتها مألوفة معروفة بل تنال الاستحسان والإعجاب ولم تظهر بريطانيا بجرأة لبث أفكارها . ويوصي جيكوب بشدة عمل البعثات الطبية ويشير الى التجربة في الحدود الهندية وقبل سنوات افتتح دكتور هاربر مركزاً طبياً في الضالع ولكنه استدعي نسبة لنشاط الترك هناك ولو أن أمير الضالع كان معارضاً لهذا الاستدعاء .

وأخيراً فإن العلم البريطاني ظل غائباً عن ساحل حضرموت ما يقرب من السنة ولذلك تسنى لنشاط الترك والإمامية أن يلقى نجاحاً . فالعربي عقله في ناظريه . ولذلك لا يستطيع أن يفهم دولة غائبة لا يراها بعينيه . فهناك إمكانيات ضخمة في ساحل حضرموت من معادن وبترول وهي جوانب تجارية يجب أن تكون دافعاً للعمل في تلك البقاع . وملحق مع هذا التقرير المعاهدة البريطانية مع السيد الادريسي التي عقدت في أبريل سنة ١٩١٥ شريطة أن تصدق عليها السلطات البريطانية المختصة . وقد صدق عليها نائب الملك في الهند في ٦ نوفمبر ١٩١٥ .

(٢٤٨٦) رد مكماهون على الشريف حسين

وصلت التعليمات لماكماهون ليرد للشريف على جناح السرعة لأن الأمر يستدعي ذلك نظراً للصورة التي رسمتها محادثات الفاروقي كما أسلفنا . ففي يوم ٢٦ اكتوبر ١٩١٥ أبرق ماكماهون الخارجية بملخص خطابه للشريف . وفي نفس اليوم بعث بالبريد العـادي النص الانجليزي للخطاب . أشار ماكماهون لخطاب الشريف الأخير وقال له ان مراكز مرسينة والاسكندرونة وأجزاء من سوريا تقع الى الغرب من دمشق وحمـــاة وحمص وحلب لا يمكن اعتبارها عربية خالصة ويجب إبعادها من المنطقة التي اقترحها . ثم قال انهم يقبلون الحدود المقترحة مع التعديلات التي ذكرهـــا قبلاً ودون المساس بالاتفاقيات الراهنة مع الزعمـــاء العرب . وفيما يتعلق بالأراضي التي لبريطانيا حرية العمل فيها دون المساس بمصالح فرنسا . يعطي ماكماهون الضمانات الآتية : ١ – تعترف بريطانيا وتؤيد استقلال العرب . ٢ – تضمن بريطانيا الأماكن المقدسة ضد الاعتداء . ٣ – تنصح وتساعد العرب في إقامة أنسب نوع للحكومة عندما يحين الوقت لذلك مع العلم بأن العرب يودون أن يكون هؤلاء المستشارين والموظفين من البريطانيين . والعرب من جانبهم يعترفون بأن مركز بريطانيا ومصالحها تستدعي إجراءات خاصة للادارة والضبط في ولايتي بغداد والبصرة .

ويأمل ماكماهون أن هذا التصريح يزيل أي شك محتمل في عطف بريطانيا لآمال وتطلعات العرب وتعود في النهـاية الى حلف ثابت ملزم تكون نتيجته المباشرة طرد الترك من الأراضي العربية .

ويقول ماكماهون أنـه يقترح تقديم هذه الشروط في شكل محدد

للفاروقي وعزيز المصري ومنحهما التسهيلات التي تمكنهما من البدء في دعايتهما. وسيقدم ماكماهون تقريراً عن مقترحاتهما للعمل .

ويلتزم ماكماهون بسرية تامة في رسائله مع الشريف لأن آخر التقارير تشير الى أن حياته في خطر . وهـذا بالطبع لا يؤثر على الاتصالات مع زعماء العرب الآخرين بخصوص الشروط التي تقدم لهم .

وفي تعليقه على هذه البرقية لا يرى مستر كلارك ما يدعو لعمل ما هنا في وزارة الخارجية الى أن يتبينوا رد فعــل الشريف والفاروقي وعزيز علي المصري على الضمانات التي حواها رد ماكماهون . وكلارك يرى أن يصلوا الى قرار في أقرب فرصة فيما يتعلق باشراك السلطات العسكرية في الأمر لأن هذا في رأيه خير وسيلة لمعالجة المشكلة مع فرنسا من هذا الجانب . ولا بد لكتشنر أن يطلع على هـذه الأوراق لأنه هو الذي بدأ هذه الاتصالات ولأن الجانب العسكري الذي اقترحه كلارك يخص وزارة الحربية في الدرجة الأولى . وضع وكيل وزارة الخارجية أحرفه الأولى دون أن يعلق . أما الوزير السير ادوارد جراي فإنه كتب يقول ان المستر شامبرلين (وزير الهند) أخبره بأن صورة من برقيــة لنائب الملك في الهند عما يجب أن يقال عن بغداد أرسلت للخارجية بالامس . وهو يأمر بأن ترسل لماكماهون ولكنـه يستدرك أخيراً ويقول يجب أن تعرض عليه قبل إرسالها . وهنا تعليق يبدو أنــه من وزارة الحربية يقول بأنـه طلب من السلطات الفرنسية إرسال ضابط أو مدني لبحث المسألة ووعد بذلك ولكنه لم يحضر أحد منهم . ولعل الموقف السياسي في باريس لم يمكنهم من ذلك . وكتب سير ادوارد جراي تحت هـذا أنه أيضاً أخبر مسيو كومبون (سفير فرنسا في لندن) قبل أيام .

(٢٤٨٦) في يوم ٣ نوفمبر ١٩١٥ وصلت رسالة ماكماهون بالبريد

العادي والتي أرسلها في نفس اليوم (٢٦ اكتوبر) الذي بعث فيه البرقية المختصرة . أرفق مع الرسالة ترجمة النص الكامل الذي بعث بـه إلى الشريف . فماذا قال في هذه الرسالة ؟ قال في مستهلها أن المسألة كما بدت له لا تحمل التأجيل ولذلك لم يرَ الرجوع الى الخارجية مرة أخرى وهو قد فوض في ذلك . وقد تبدت لماكماهون صعوبة التوفيق بين رد يرضى عنه العرب ويتقبلونه وبين ترك المجال لحرية العمل في المستقبـل بقدر الإمكان لبريطانيا .

وكنت واضحاً في أن بريطانيا العظمى ستعترف بمبدأ استقلال العرب في الأراضي العربية الخالصة وهذه هي النقطة الرئيسية التي تتركز عليها الاتفاقية . وكنت واضحاً بالمثل في إقصاء مرسينا والاسكندرونة وتلك المراكز في الساحل الشمالي لسوريا والتي لا يمكن أن يقال عنهـا عربية والتي علمت أن لفرنسا مصالح معترف بها فيها . ولست على علم بمدى اتساع الادعاءات والمطـالب الفرنسية في سوريا ولا عن مدى اعتراف حكومة جلالة الملك من الاعتراف بها . وعليه فبينما اعترفت بمدن دمشق وحماة وحمص وحلب على أنها ضمن حدود الاراضي العربية حاولت في الوقت نفسه أن أترك مجـالاً للادعاءات الفرنسية المحتملة لتلك الاراضي وذلك بأن حكومة جلالة الملك تعطي ضمانات لتلك الاراضي التي تستطيع العمل فيها بحرية دون المساس بمصالح حليفتها فرنسا » .

ويقول ماكماهون أنه حدد بدقة فرنسا على أنها الحليف الوحيد المشار إليه . لأن تعبير حلفاء بصفة عامة كما علم يثير شكوك العرب ويتخيلون أن كل الحلفاء سيقدمون مطالب في أجزاء من البلاد العربية . ويعتقد ماكماهون أنه على حق في أنـــه ليس لروسيا مطامع اقليمية في شمال العراق ولا تطالب ايطاليا بأي جزء من الساحل العربي للبحر الأحمر .

وعليه فلا ضرورة لذكرها . وهو يرى أن التسوية النهائية سهلة ميسورة إذا ما رضيت فرنسا التخلي عن أية مطالب لهـــا في الاراضي العربية الخالصة مثل دمشق وحماة وحمص وحلب . فالعرب يصرون على أن تكون هذه ضمن حدود الدولة العربية ولو انهم قد يقبلون بالنسبة لفرنسا نفس الترتيبات التي يقبلونها من بريطانيا في منطقة نفوذها وواضح أن هذه المشكلة ستثير المتاعب وأنه مما يقود الى نتائج مرضية في المستقبل أن تنفرد بريطانيا وحدها بمعالجة المشكلة العربية .

وأمام الأهمية الحيوية لقضية الحلفاء وما ينبثق عنها من أمور حاضرة قد لا تتعنت فرنسا في هذه النقطة ولذلك يجب أن تؤخذ مسألة تعويض فرنسا في جهات أخرى في الاعتبار الجاد إن كانت هنـاك ضرورة . والأمل الوحيد في رأي ماكماهون لتفادي المتاعب في هذه المسألة للأطراف المعنية أن تترك معالجتها لدولة واحدة . ويؤكد ماكماهون أهمية دمشق الدينية بالنسبة للعرب . فهي زيادة على أنها إحدى ثلاث أماكن تخرج منها كسوة الكعبة فإنها في نظر العرب إحدى الأماكن الرئيسية المقدسة . وأخيراً يرى ماكماهون أن تلك الضمانات التي قدمت هي أقل ما يمكن تقديمه للوصول الى نتيجة ناجحة فالمأمول أن يقبلهـــا الشريف بشخصه وتكون مقبولة للحزب العربي . وحمل رسول الشريف معه رسالة شفوية شرحت له فيها الشروط ليستطيع الشريف تفهمهـــا . وحمل الرسول للشريف أيضاً ما يطمئنه من أي شك في مساعدة بريطانيا للادريسي . وتتناول تعليق المستر كلارك على رسالة ماكماهون نقطتين أولهما فرنسا وقال بأن المسألة ستبحث معهم الاسبوع المقبل . وثانيهما بغداد وقـد أشار بأن تطلع الخارجية على الإعلان الذي ستنشره حكومة الهند بهذا الصدد قبل نشره .

(٢٤٨٦) أما الترجمة الكاملة فلم تكن في وزارة الخارجية البريطانية

إلا في يوم ٣ نوفمبر . ولذلك لم تعد لهـا أهمية بعد أن اتخذ القرار بالرد . وعليه فقد خلت من تعليقات أو متابعـة . ويصف ماكماهون الخطاب بالغموض كشأن الشريف دائماً في خطاباته . ولعله كان متعمداً . ولذلك استعصى على الترجمة ومع ذلك فالمعنى العام واضح . فهو والمجتمعات العربية التي يمثلها على استعداد للانحياز لجانب بريطانيا شريطة أن تقبل بريطانيا شروطهم الهامة وخاصة المتعلقة بالحدود . وبقية الخطاب يتعلق بالمال والتموين من الحبوب لمكة . وقد أرسلت الحبوب بالفعل وسيتبعها المال . وقـد أشار الشريف فيما يختص بطلبه للمال والتموين إلى أنه يريد تأكيداً لإعلان بريطانيا على أنها تحارب من اغتصبوا الخلافـة لا المسلمين عامة .

(٢٤٨٦) اعتراضات حكومة الهند

والاعتراضات على توسيع حدود الدولة العربية المزمعة لم تقتصر على ما تلاقيه من فرنسا ومطامعها في سوريا ولكن حكومة الهند نفسهـا تشعر بالحساسية المفرطة أحياناً عندما يرد ذكر العراق أو أي جزء منه ضمن مطالب العرب ليكون داخل حدود دولتهم أو عن خلافة عربية . فقد ذكرنا من قبل أن وزير الهند أبرق نائب الملك في دلهي بأنه اضطر للموافقة على الرد على الشريف حسين قبل أن يتمكن من استشارته لأن الظروف حسبما شرحت له من برقيـات ماكماهون وماكسويل لا تحتمل التأجيل لأن العرب كانوا على مفترق الطرق بين الانحياز لبريطانيا بعـد إرضاء مطالبهم أو الانحياز الى الترك بعدمهـا . ففي ٤ نوفمبر ١٩١٥ بعث نائب الملك برقية لوزير الهند يقول فيها انه يدرك بأسف الظروف التي حالت دون استشارته فيما يختص بالعروض التي قدمت للعرب وعلى

الأخص التفويض الذي منح لماكاهون عما يتعلق بمصالح الهند الخاصة في ولاية بغداد والأراضي التي تحتلها بريطانيا بالفعل . فاستخدام هذا التفويض لم يعطِ اعتباراً كافياً للمصالح الهندية بادخال ولايتي بغداد والبصرة ضمن حدود الدولة العربية المقترحة ولم يترك لحكومة جلالة الملك أو حكومة الهند هناك من إشراف وسيطرة سوى إجراءات خاصة لادارة متطورة في الولايتين . وما كان لبريطانيا حسب رأي نائب الملك أن تلتزم بهذه السياسة وكان يجب استشارتهم قبل إعطاء تعهد كهذا له أهميته الحيوية لمستقبل الهند فقد كانوا دائماً ضد خلق دولة عربية قوية في وضع يعترض مصالحهم في الشرق والخليج لأنها يحتمل أن تكون مصدر إزعاج في النهاية وليس هناك من تأكيد لمزايا عسكرية أو سياسية منها .

فإذا ما اقتنعت حكومة جلالة الملك بأن الحلف مع العرب يعجل بإنهاء الحرب فهم لا يعترضون على أسس عامة ولو انهم يعترضون على شروط تختص بالعراق والأسس التي بنيت عليها . وقد كانت خطتهم دائماً هي ضم واستلحاق ولاية البصرة في النهاية كحد أدنى ونوع من الادارة الاهلية لبغداد تحت سيطرتهم السياسية الدقيقة. فضمانات ماكاهون كما تبدو تبعد هذا الضم والاستلحاق . فالتنازل عن ولاية البصرة يجلب المتاعب للخليج وتفقد ثمار انتصارات في العراق أتت بجهود فائق . وسوف لا تكون نتيجة ذلك التخلي عن امكانيات مصادر دخل هائلة فحسب ولكن ستقابل من الشعب الهندي ومن الجاليات الاوروبية التجارية بامتعاض وقد كانوا ينظرون الى العراق على أنه مجال لاتساع تجارتهم وميدان للهجرة مكافأة لهم لدماء مواطنيهم التي إريقت هناك . وهو يرجو ويأمل بإخلاص أن تعدل الصيغة لتطلق يد حكومة جلالة الملك للتصرف في النهاية في ولايتي البصرة وبغداد وقد كان الحصول عليهما بهذه

التضحيات . وفي انتظار التعليمات فنائب الملك يتردد في التوصية لإصدار بيـان على الأسس التي اقترحها ماكماهون في برقيته الخاصة بتاريخ اول نوفمبر .

(٢٤٨٦) وما كان لوزارة الهند وقد تسلمت برقية الاحتجاج هـذه من نائب الملك في الهند إلا وأن تكتب للخارجية توضح فيهـا موقف حكومة الهند . فوزارة الهند تعترف بالتفويض الذى منح لماكماهون ولكنها ترى أن العبارات التي استخدمها فيما يتعلق بالبصرة وبغداد من وجهة نظر المصالح الامبراطورية عامة والهندية الصرفة لم تكن موفقـة وقد تقود الى ارتباطات في حالة نجاح حملة العراق . فالنتيجة الطبيعية في حالة نجاح هذه الحملة هي ضم واستلحاق ولاية البصرة وامتداد النفوذ البريطاني على ولاية بغداد . وأهمية هذا الهدف تتضح في تقرير لجنة سير م. دي بنسن حيث تتعارض توصياتها مع الضمانات التي أعطاها سير هنري ماكماهون إذا ما اعتبرت ملزمة . وعليه فيأمل المستر شامبرلين (وزير الهند) أن ترسل تعليمات لماكماهون قبل أن يتورط أكثر من ذلك لحزب العرب الفتاة بتعديل الصيغة كما اقترحها نائب الملك وهي أن تكون لحكومة الملك يد في التصرف النهائي لولايتي البصرة وبغداد وألا يصدر ماكماهون بياناً للجمهور في مصر أو غيرها حتى تتسلم وزارة الهند البيان المزمع إعلانه في بغداد وتنظر فيه بعناية ودقة .

وفي نفس اليوم (٦ نوفمبر ١٩١٥) وصلت الخارجية برقية من ماكماهون يرد فيها على اعتراضات نائب الملك لأنه تسلم صورة منها . يقول ماكماهون أنه عند صياغة الرد على الشريف حافظ على مصالح الهند كاملة في الحدود التي سمحت بها طبيعة الظروف والاستعجال في الرد وحاول حمايتها بقدر ما مكنته تلك الظروف . وقـــد أعاد الفقرة الخاصة بالعراق وهي :

« أما فيما يختص بولايتي بغداد والبصرة فإن العرب يعترفون أن مركز ومصالح بريطانيا الثابتة تقضي بالضرورة اجراءات خاصة بتنظيم اداري (وكلمة تقدمية التي ظهرت قبل ادارية في برقية نائب الملك غير مفهومة) لحماية هذه المناطق من الاعتداء الخارجي ولتقدم ورفاهية السكان المحليين ولحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة » . وهذة الصيغة قصد بها الحصول على كل شيء ما عدا الضم والاستلحاق الواضح المحـــدد . فهي تسمح بحرية الاجراءات العسكرية والادارة الداخلية والتنمية والمشروعـــات التجارية والصناعية . وعند قراءتها مع ما سبقها من جملة فهي عمليـــاً تسمو الى احتكار بريطـاني لكل ادارة وسيطرة في الولايتين وفسرت وفهمت بهذا المعنى لممثلي العرب في القاهرة .

ويشارك ماكماهون نائب الملك في الانزعاج من وجود دولة عربيـة قوية ولكن الى الآن لا توجد عناصر هذه الدولة وأنه (ماكماهون) حاول في بيانه عن الضمانات المتبادلة أن يجعل أية دولة عربية مزمعة في منطقة النفوذ البريطاني تعتمد في إنشائها وتوجيهها على سيطرة بريطانيا . ويأسف لأن حكومة الهند استنتجت من بيانه إهمالاً للمصالح الهندية . فإذا لم يرضِ هذا التوضيح سلطات الهند فإن عبـــارات اعلان بغداد يمكن صياغتها بشكل عام لتفادي خطورة اثارة شكوك العرب بعبارات مختلفة. وفيما يتعلق بالعجلة التي استدعاها الموقف والتي تحت ضغطه أصدر بيانه يقول ماكاهون أنه تسلم اليوم صورة من خطاب أخير تسلمه السيد علي المرغني في السودان من الشريف يحث فيه على الأهمية البالغة للتأكيدات السريعة من قبل بريطانيا عن نواياها خاصة فيما يتعلق بالحدود كما وضحها من قبل والعرب يعطونها اهتماماً عظيماً . والشريف يشير في خطابه هـذا الى خطورة الموقف في الجزيرة العربيـة حيث يزداد الضغط التركي والوعود الالمانية التي ربما تلزم العرب بجهاد حقيقي ضد بريطانيا . وعندما عرضت

البرقية على السير ادوارد جراي علق عليها قائلاً إنـه سيقابل المستر شامبرلين اليوم وسيجعله يصيغ برقية لماكماهون وربما يزيد هو (جراي) عليها شيئاً .

وفي ١١ نوفمبر نقل رد المستر شامبرلين للخارجية في برقية لماكماهون. فماذا قال ؟ (قرأ عبارات خطاب ماكماهون للشريف بقلق . فالضمانات بالنسبة لمستقبل البصرة وبغداد حتى بعد أن شرحها في برقيته الأخيرة ذهبت أبعد مما كان يتوقع لهـا وستعود الى خيبة أمل في الهند . والهنود لا يحبون العرب ويعتبرون العراق مكافأتهم على جهودهم . ولكن لا بـد لبريطانيا بالطبع الالتزام بوعود ماكماهون إذا قام العرب بدورهم . ولا يستطيع الحكم والتعليق وهو في لندن على أي أهميـة للمعلومات التي جمعها في القاهرة عن شعور العرب ولكن معلوماته الخاصة تشير إلى أن الشريف ليست له قوة ينفذ بها مشروعاته وأن العرب لا رابطة لهم ولا احتمال لاتحادهم ولا يعتقد في الحقيقة في فعالية ثورة العرب المزمعة في الجيش أو في أي مكان آخر . ويجب أن يلاحظ أن أصدقاء بريطانيا كالادريسي وابن السعود المعتقد أنهما ضد الشريف . والإمام وابن الرشيد أصدقاء للشريف وفي الوقت نفسه يميلان للترك بينما أحد أبناء الشريف الآن في طريقه لتأييد ابن الرشيد ضد ابن السعود) .

وعليه فالى أن يبرهن الشريف والفاروقي على مقدرتهما لتنفيذ وعودهما فهو على وفاق مع حكومة الهند على استنكار أي بيان يصدر في بغداد أو مصر . والخطوة التالية هي يجب أن توضح لهم على أن الوعود التي قطعت لهم من قبل ماكماهون تعتمد على عمل في الحال ولا التزام على بريطانيا إلا إذا قاموا بدورهم . وهو يتفق مع سير ادوارد جراي أن الفقرة التي تضع كل البلاد العربية الموسعة تحت الحمـاية البريطانية

ستضع عبئاً مزعجاً لا فائدة ترجى منه على كاهل بريطانيا وتحطم احتمال أي اتفاقية مع فرنسا . ولكن مركز بريطانيا ومصالحها الخاصة في العراق يجب حمايتها بقدر الإمكان بعد ضمانات ماكماهون .

وأضاف السير ادوارد جراي الى ذلك أنه يتفق مع وزير الهند بعدم اصدار أي بيان في بغداد نتيجة الخطاب الذي أرسل للشريف . فإذا قام العرب بدورهم فبريطانيا تنجز وعودها التي قدمها ماكماهون . وعليه ففي الرسالة التالية التي تبعث لهم يشار إليهم بالعمل حالاً . ويرى جراي أن أية حركة عربية فعالة ضد الترك تعادل ما تلاقيه بريطانيا من مضايقات في المستقبل فيما يختص ببغداد ولكنه يشارك في الشك عن احتمال الحصول على هذه الحركة . ومعنى هذا أن الحكومة آنذاك في شك من حركة عربية فعالة ضد الترك لصالح بريطانيا .

(٢٤٨٦) وفي نفس اليوم الذي أرسلت هذه البرقية لماكماهون (١١ نوفمبر) أبرق نائب الملك وزارته وكانت صورة منها في وزارة الخارجية في اليوم التالي . فهو لا يرى في التفسيرات والتوضيحات التي بعث بها ماكماهون أي تغيير في الموقف فيما يختص بالعراق . فقد وضّح التحفظات البريطانية فيما يختص بالاسكندرونة ومرسينا وسوريا ، ولكنه أعطى تعهداً للعرب بتسليم أراض لهم في العراق . تلك الأراضي التي فتحتها بريطانيا بقوتها وسلاحها لا ضد مقاومة الترك وحدهم بل ضد مقاومة عربية ما كان للترك منفردين أن يظهروا ذلك الصمود بل كانت مقاومتهم ضعيفة . وزيادة على ذلك فقد يبدو من المعلومات التي قدمها السير ريجنالد ونجت أن الزعماء في مصر على استعداد للاعتراف بضرورة ضم بعض الاراضي في العراق للامبراطورية البريطانية وأنهم لا يعترضون على إجراء كهذا . وفوق ذلك فإن تمويل مشروعات للري في العراق تزيد من انتاجه

مائة مرة لا يمكن أن يجد طريقة للتنفيذ إذا ما كان دولة عربية تحت ادارة عربية . وفي هذه الحالة ستتردى أحوال العراق الى درجة أسوأ مما كانت عليه تحت حكم الترك . وستكون بذلك مصدر خطر على مصالح بريطانيا السياسية والتجارية . فامتلاك البصرة ضروة لازمة لحماية عبادان وتأمين مصالح بريطانيا في حقول الزيت .

ويرى نائب الملك أنهم في جهل تام بما يقدمه العرب مقابل هذه الضمانات الشاملة . وهو يرجو أن تحتفظ بريطانيا ببعض المبررات في التخلي عن هذه الالتزامات إذا فشل العرب في القيام بدورهم على الاقل فيما يختص بالعراق .

أما فيما يختص بالبيان فنسبة للبلبلة التي أشاعتها ضمانات ماكماهون فإن حكومة الهند ترى من الحكمة أن لا يصدر الجنرال نيكسون (Nixon) بياناً مطلقاً عندما تحتل قواته بغداد سوى أن يطلب من السكان الخضوع والتسليم . فإذا فعلوا ذلك فإن أرواحهم وممتلكاتهم ودياناتهم تجد من القوة المحتلة كل احترام وضمان .

وفي الهند يقترح نائب الملك عندما تصلهم أخبار الاحتلال الفعلي لبغداد أن تمنع الرقابة نشر هذه الاخبار لمدة يومين ثم يصدر البيان التالي :

« لقد فوضت حكومة جلالة الملك للجنرال نيكسون بالتقدم نحو بغداد بعد أن كسرت قواته المقاومة التركية مرة أخرى على دجلة بالقرب من سلمان باك . ولم يكن هذا التقدم ضرورة عسكرية فحسب ولكن لتخليص السيدات البريطانيات ورعايا بريطانياالهنود الذين حجزوا في بغداد ضد قوانين الحرب في المجتمعات المتمدنة المرعية عالمياً وللقضاء على مركز نشاط الدسائس الالمانية في الشرق الاوسط . وفي الوقت

نفسه فان الحكومة البريطانية مهتمة بالأماكن المقدسة في العراق ولذلك فليكن معلوماً لدى الجميع أنها أصدرت أوامرها المشددة لحماية ضريح السيد عبد القادر الجيلاني والقبور الاخرى والضرايح في المنطقة من أن ينالها أذى ولو بوجه الصدفة بأية حال من الأحوال أثناء العمليات العسكرية . كل ذلك اتباعاً لسياستها التي لا تتزحزح عنها من احترامها للأماكن الاسلامية المقدسة وكل ما هو عزيز للمجتمع الإسلامي . وتود حكومة جلالة الملك أن يكون معلوماً لدى الجميع أن هذه السياسة قد اتبعت في الماضي فيما يختص بالأماكن الاسلامية المقدسة في العراق ولا زالت متبعة وستظل متبعة في المستقبل بكل دقة .

وليس هناك من عوائق أو عقبات توضع أمام الأئمة والعلماء والمجتهدين وغيرهم من رجال الدين من أن يباشروا بكل حرية كالعادة وظائفهم الدينية بعد احتلال بغداد » .

(٢٤٨٦) وفي ١٤ نوفمبر ١٩١٥ جاء نذير آخر من الجنرال نيكسون قائد القوات البريطانية في العراق . فقد وصلته رسالة من الهند تنقل إليه خبر مفاوضات بين شريف مكة والمندوب السامي لبريطانيا في مصر ولم يعرف تفاصيلها . ولكنه علم أن بعد بعض التعديلات أدخلت ولايتا البصرة وبغداد ضمن الاقاليم التي رضيت حكومة جلالة الملك أن تعترف بها كأجزاء من دولة عربية مستقلة . فهو يرى أن هذا الالتزام سابق لأوانه كما يبدو ستضار منه المصالح البريطانية في البصرة وبغداد ومستقبل هذا القطر العظيم . وزيادة على ذلك فإن هذا الالتزام يحمل في طياته فهماً خاطئاً واضحاً فيما يختص بموقف الأهالي في العراق . فهو يهمل الحقيقة الهامة والاساسية وهي أن أربعة أخماس سكان البصرة من الشيعة . ويدين ثلثا سكان ولاية بغداد بالمذهب الشيعي أيضاً . وعليه يرجو

الجنرال نيكسون أن يعاد النظر في هذا الموضوع وتستوفي كل الاعتبارات الاخرى البحث قبل أن تتخذ الخطوات النهائية . ويرجو أن يراجع ويستشار في المسائل التي تؤثر على العراق . ويوافق كوكس المقيم السياسي في الخليج على هذه الآراء وقد ضمنت آراء نيكسون في برقية الى ماكاهون لتكون موضع اعتباره في المخاطبات المقبلة مع العرب بقدر الأمكان .

(٢٤٨٦) النقاش يستمر حول السياسة البريطانية والعرب

في يوم ١٦ نوفمبر وصلت برقية من ماكاهون يشير فيها الى خطاب الشريف ويقول إن الترجمة الدقيقة له قد تمت ولذلك أصبح ممكناً إعطاء صورة أوضح للجزء الثاني من الخطاب الذي كان غامضاً نوعاً ما . فالشريف يتخلى عن مصالح العرب في أضنه ومرسينا ولكنه يصر على إبقاء ولايات بيروت وحلب ضمن حدود الدولة العربية . ولأسباب تجارية واقتصادية لا يمكنه التخلي عن العراق ولكنه لتسهيل الاتفاقية ونسبة لاعتبارات الضمانات التي قدمتها حكومة جلالة الملك يقبل احتلالاً وإدارة بريطانية لفترة قصيرة لتلك الأجزاء من العراق التي تحتلها القوات البريطانية فعلاً لقاء مبلغ مناسب من المال تدفعه للمملكة العربية كتعويض طوال مدة الاحتلال دون المساس بحقوق أي من الطرفين مع احترام الاتفاقيات المعقودة فعلاً مع مشايخ العرب .

أما عن بدء العمل فإن الشريف ما زال متردداً خوفاً من آراء المسلمين المضادة في المعسكر المناوىء ويتخوف أكثر من احتمال عقد صلح في غير صالح الحلفاء وبترك العرب لمجابهة تحالف الالمان والترك . فإذا ما تأكدوا من التأييد الفعال من حكومة جلالة الملك فهم على استعداد للعمل .

وفيما يختص بالاداريين البريطانيين فلا حاجة لذكر هذه المسألة لأن حكومة جلالة الملك لا تنوي التدخل في الشؤون الداخلية . وهنا يدلي ماكاهون بملاحظة بين حاصرتين : (فالشريف هنا يشير الى الجزيرة العربية وحدها إذا لم يكن يقصد الغموض عمداً) . والشريف يفضل لنفسه اعتزال السياسة لولا أن الأمة العربية ألزمته بهذه المسؤولية . وختم ماكاهون البرقية بأنه يرجىء تعليقه وآراءه عن هذه المسألة الى أن يرجع للقاهرة .

وزعت صور هذه البرقية على كل الجهات المختصة بما فيها الملك نفسه . وأول تعليق كتب عليها لم نتبين كاتبه . فهو يقول انه ينتظر بشوق تعليق السير هنري ماكاهون على هذا الخطاب بعد أن تمت ترجمته . ويجد المعلق صعوبة في أن يجد فقرة تماثل الفقرة الثانية من البرقية (وهي الخاصة بإدارة بريطانية تدفع تعويضاً للمملكة العربية) من حيث الإمعان في الغطرسة . وكتب سير أرثر نكلسون تحت ذلك إن الشريف مع غيره يجلسون على الحاجز لمدة من الوقت . فإذا ما رأوا أن الحوادث لا تتطور لصالح بريطانيا فانهم ينضمون للجانب الآخر . وتعليق آخر تحت هذا يرى أن البرقية لا تبشر بتوقعات حسنة . وعندما تسلمت وزارة الهند صورة من برقية ماكماهون هذه أبرقها لنائب الملك في الهند .

وعندما تسلم نائب الملك هذه البرقية رد في الحال بتعليقه في ٢٢ نوفمبر . فهو يرى أن هذه البرقية الأخيرة تظهر خطاب الشريف في صورة غير مرضية أكثر من السابقة . فإذا كانت حكومة جلالة الملك تود إعطاء ضمانات بمساعدة وحماية المملكة العربية المزمعة بأقصى ما تملك من قوة أليس من الحكمة أن تقول في الحال أن مصالح بريطانيا العظمى تتطلب إدارة صديقة في ولاية بغداد ؟

فهذه المصالح الخاصة تدعو بالضرورة الى بحث أوفى عن مستقبل العراق غير ما هو حادث في الموقف الحالي وما تسمح به العجلة في هذه المفاوضات . فصيغة على هذه الخطوط لا تذكر فيها البصرة بالاسم تعطي بريطانيا حرية العمل فيما بعد بدون أن تثير شكوك الشريف .

(٢٤٨٦) ولأن الدافع الأساسي لبريطانيا في أن تدخل في مناقشات ومكاتبات مع زعماء الحركة العربية والشريف حسين بالذات هو مدى مساعدة هذه الحركة لهم عسكرياً في حماية مصر وطرد الاتراك والالمان من شرقي البحر الأبيض المتوسط رأت أن تبعث بخبيرها العسكري الى القاهرة للمناقشة في هذا الشأن مع قائد الجيوش البريطانية في مصر ومع المندوب السامي . وهذا الخبير هو السير مارك سايكس . فهو زيادة على مهامه العسكرية اكتسب خبرة بالوضع السياسي في الشرق الأدنى والبلاد العربية بوجه خاص . وعندما وصل القاهرة كان الجنرال ماكسويل والسير هنري ماكماهون خارجها وعكف أثناء فترة الانتظار هذه على الاطلاع ومراجعة كل الأوراق الخاصة بالقضية العربية .

وعندما تكوّن له رأي مبدئي بعث بمقترحاته الى لندن برقياً في يوم ١٩ نوفمبر ١٩١٥ .

فبعد أن استوعب الرسائل والمكاتبات والتقارير عن المحادثات خرج بالنتيجة الآتية :

أولاً — العرب يفقدون الثقة في قوة بريطانيا . ثانياً — صعوبة إقناع العرب بالالتقاء مع فرنسا في مصالحها المالية وعاطفتها التاريخية . فمن اقتراحه لمعالجة المشكلة الاولى يرى أن تقفل مداخل سوريا من جهة تركيا وبذلك يحرم الأتراك من الاتصال بسوريا كخطوة أولى . يلي ذلك احتلال خط طويل في شمال سوريا حتى يصل بروسيا بينما يصعب على

القوات التركية والالمـــانية سرعة الحركة نظراً لتراكم ثلوج الشتاء في الاناضول وأرمينيا . وبذلك يفسح المجال للعرب أن يفعلوا ما يريدون جنوبي هذا الخط . وتفاصيل هذه الخطة وعدد الجنود المطلوبة لتنفيذها ستصل لندن يوم ٢٤ نوفمبر .

وعن المشكلة الثانية وهي التفـــاهم بين العرب وفرنسا يقترح سير مارك أن تعترف وتحترم وتحمي دولتنا الحلف الحكومـات الاقليمية أو الحكومات التي تقام في ولايات بيروت وحلب ودمشق والقدس والحجاز وسنجق ودير الزور اورفا أثناء الحرب . وتمتد الضمانات لهـذه الاقاليم بعد الحرب على أنها الحد الادنى للدولة العربية المستقلة . والعرب من جانبهم يلتزمون أن لا يمنحوا امتيازات بطريق مباشر أو غير مباشر للدوائر المالية المنتمية لدول الوسط لمدة خمسة وعشرين سنة وأن لا يقيموا علاقات دبلوماسية معها لمدة عشر سنوات . وعلى بريطانيا وروسيا وايطاليا ألا تسعى للحصول على امتيـــازات في ولايات حلب وبيروت ودمشق وسنجق اورفا بدون موافقـة الحكومة الفرنسية وأن تعترف بروح الاتفاقيات السابقة بين الحكومتين الفرنسية والعثمانيـــة فيما يختص بالمؤسسات التعليمية في هذه المناطق والمقترحة لتكون جزءاً من ضمن الكيان العربي المستقل سواء كان حكومة واحدة أو حكومات .

أما عن العراق فالسير مارك يرى في ولايتي البصرة وبغداد عـدم الاستعداد والأهلية لحكم ذاتي . فحكومـــة جديدة ضعيفة لا تستطيع ادارة هذه المناطق نظراً للخلاف بين السنة والشيعة .

وعليه فسير مارك يرى أن تتفق بريطانيا مع العرب لادارة الولايتين نيابة عنهم مقابل منحهم موارد مالية خاصة منها للحكومة أو الحكومات العربية تكون مساوية لما يحتاجونه من معونـة مالية . زيادة على ذلك

فعندما لا يتهيأ العدد اللازم من سكان الولايتين الاكفاء لإدارتها تحت الإشراف البريطاني يسد العجز من العرب الاكفاء الآخرين من الحكومة أو الحكومات العربية الاخرى المستقلة .

والدافع لتقديم هذه المقترحات كما يراه السير مارك هو أن الموقف خطير وعلى حكومة الهند أن لا تتخوف من حكومة عربية لأن القومية العربية في نظره لا تكوّن خطورة بالنسبة للهند لا في الحاضر ولا في المستقبل اللهم إلا إذا حصرت بريطانيا نفسها في الدفاع عن قنال السويس وتركت الحرية للترك والالمان يحتشدون في سوريا وشمال العراق واستعادة نفوذهم وهيبتهم . وبذلك يتمكنون من القيام بجهاد فعلي بمعونة العرب . وسيكون لهذا صداه في شمال افريقيا في مناطق نفوذ فرنسا وايطاليا وفي فارس والقوقاز وافغانستان . ونتيجة لذلك يحتاج الأمر لمجابهة هذا الموقف الى قوات كبيرة من دول الحلفاء تحت ظروف أسوأ من الظروف الحالية . ويتضح من هذا أن الجميع يتأثرون مباشرة من هذا الموقف : ايطاليا وفرنسا وروسيا .

فالعرب في الوقت الحاضر ميولهم ضد الترك وثلوج طوروس وأرمينيا تعرقل تحركات العدو وعليه والحالة هذه فإن السير مارك يرى أن الوقت الحاضر أنسب فرصة لتعويق الخطط الالمانية يشترك فيها كل دول الحلفاء في عمليات دفاعية ضد الاسلام .

(٢٤٨٦) واصل السير مارك سايكس من القاهرة تقاريره لمدير العمليات في لندن بصورة لوزارة الخارجية في اليوم التالي (٢٠ نوفمبر ١٩١٥) أشار في مستهل برقيته الى خطاب خاص وصله من المدير اليوم . وقبل أن يتسلمه تباحث مع الفاروقي عن الموقف واضعاً نصب عينيه الصعوبات مع فرنسا .

فحسب رأي الفاروقي فإن العرب يقبلون لدولتهم العربية الحد الشمالي في الخط الذي يبدأ من الاسكندرونة بوجه التقريب ويتجه شرقــاً . ويقبلون أيضاً بوفاق مع فرنسا يمنحونها بموجبه احتكاراً لكل المشروعات ذات الامتياز في سوريا وفلسطين . ويعرّفون سوريا بالأراضي التي تحد بالفرات وجنوباً الى دير الزور ومن هناك الى درعا على طول خط سكة الحجاز الى معان وخط الحجاز جنوباً الى عمان يمكن بيعه لأصحـاب الامتياز الفرنسيين . ويوافق العرب زيادة على ذلك باستخدام الفرنسيين وحدهم كمستشارين وموظفين في هذه المنطقة ولم يلتزم العرب باستخدام الاوروبيين إذا كان في استطاعتهم العمل بدونهم . ومعنى هـــذا أنهم يزيلون أي شك في سيطرة أجنبية . ويوافق العرب على وجود كل المؤسسات التعليمية الفرنسية والتي حصلت على اعتراف خاص في المنطقة كما يوافق العرب على وفاق مماثل مع بريطانيــا العظمى في بقية أجزاء الأراضي العربية مثل العراق والجزيرة وشمـــال ما بين النهرين . زيادة على ذلك فالعرب يوافقون على أي اقليم شمـــال حدود الدولة العربية تمتلكه فرنسا وترفع فيه علمها . ولا يمانع العرب في أن تمتلك بريطانيا البصرة وكل الاراضي المنزرعة الى الجنوب . والعرب فوق ذلك عـلى استعداد لعقد معاهدة مع دول الحلفاء على هذه الأسس :

١ – يلتزمون من جانبهم بأن لا تكون لهم أية معاملات مع تركيا أو المانيا او النمسا لمدة ١٥ سنة .

٢ – على دول الحلفاء حمـاية استقلال العرب وستكون فوق ذلك هناك معاهدة تحالف مع تلك الدول يمنحون بموجبهـــا حرية التنقل في الاراضي العربية واستخدام سككها الحديدية فيها أثناء الحرب . وسيكون وضع قوات دول الحلفاء في الاراضي العربيـــة مثل وضعهم في أرض

الفلاندرز (Flanders) وعلى جيوش الحلفاء أن تنسحب عندما تتوقف العمليات الحربية .

ويصر الفـاروقي على أن هذه الاتفاقيات تتوقف على إنزال جنود الحلفاء في نقطة بين مرسينا والاسكندرونة وقفـــل أبواب جاليشيا . والفاروقي يشترط أيضاً أن لا يتحرك الشريف للعمل إلا إذا نفذ الحلفاء تلك الخطط . وسير مارك مقتنع بأن لا يطلب من الشريف العمل إلا إذا سُدّت تلك المنافذ وبخلاف ذلك يستحيل عليه إعلان الثورة . والفاروقي ينذر بضرورة القيـــام بعمل سريع كاف في الحال في خليج الاسكندرونة وإلا فإن الالمـان ينتهزون هذه الفرصة ويسبقونهم . فإذا ما تدفق الترك والالمان على سوريا فإن العرب لمصلحتهم سوف يضطرون لمراجعة موقفهم . ورأي سير مارك الخـــاص هو أن العرب سيقومون بمجرد إزعاج للترك عندما يتقدمون نحو القنال .

فإذا ما سمحت بريطانيا للترك الدخول في سوريا بقواتهم سينحـاز العرب إليهم لأجل الحصول على اعتبارات خاصة منهم . وقـــد اقترح الالمان فعلاً نظاماً تركيا ـ عربياً على غرار النمسا والمجر . وختم سير مارك هذه البرقية بأنه سيقدم ملاحظاته على هذه الجوانب الهامـــة في برقية أخرى .

ولكن في الوقت نفسه فإنه مقتنع بضرورة عمل فعـــال في أسرع فرصة ممكنة ليتمكن العرب من التحرك .

(٢٤٨٦) وفي اليوم التـــالي (٢١ نوفمبر) أبرق سير مارك مرة أخرى مقترحاً ما يلي :

١ ـــ يرى أن مهمة بريطانيا فيما يختص بفرنسا والعرب هي أن يحملوا الآخرين على تنـــازلات لفرنسا بقدر الإمكان وأن يجعلوا ميناء حيفا

وفلسطين ضمن منطقة نفوذهم (بريطانيا) في قالب امتياز تمنحه فرنسا لهم. وبذلك يمهد الطريق للتفاهم بين الفرنسيين والسوريين وعلى السوريين ان يتعاملوا مع فرنسا فيما يختص بالمصالح التجارية التقليدية . ويلاحظ سير مارك أن العرب دائماً يرحبون بتوسع نفوذ بريطانيا .

٢ – وفيما يختص بشبه الجزيرة العربية فسير مارك لا يرى أن الحركة العربية تؤثر على موقف بريطانيا ومصالحها في الخليج والبحر الأحمر. وسوف لا تتأثر معاهدات بريطانيا في عدن والخليج . وسير مارك على ثقة بأن سيادة الشريف في الجزيرة العربية ستكون عملياً منصب شرف فقط.

٣ – ويرى سير مارك أن إقامة حكومة مدنية في العراق أثناء الحرب يجب أن تكون مهمة بريطانيا ويجب أن يشترطوا ذلك.فلولايتي بغداد والبصرة وضع يختلف عن الجزيرة العربية للانقسامات المذهبية واضطراب النظام . وبذلك من الصعوبة بمكان أن تقوم على حكمها دولة جديدة التكوين . وعندما يحل أوان الجلاء فستواجه حكومة الشريف مسألة الشيعة وكربلاء وعليه أن يكون شاكراً لتحمل بريطانيا مسؤولية إدارة الاقليم لفترة من الزمن للحصول على موارد مالية .

والقومية العربية هناك أثرها ضئيل والخلافة لا وجود لها جنوب بغداد في الاراضي المنزرعة .

٤ – ومن الناحية الاستراتيجية والسياسية للهند فإن الدولة العربية المزمعة لا تمثل قوة رهيبة بنفسها إذا ما قامت بريطانيا وفرنسا بحمايتها من الترك والالمان .

فاذا ما منح العرب الفرصة يتوقع سير مارك ما يلي :

تدفق التجارة والأموال عندما تفتح الموانىء السورية وبذلك تهدأ

الأحوال في سوريا وفلسطين وتستمر الحكومة على غرار الادارة التركية بموظفين محليين . وفي بغداد والبصرة يستمر الحكم البريطاني المؤقت بدون تذمر . وسيضطرب النظام لدى حكومات الموصل وأورفا ويحتمل والحالة هذه أن تطلب الدولة العربية مساعدة بريطانيا . سيظل العرب في شمال الجزيرة العربية نفسها في قتال مع بعضهم البعض دون أن يتغلب فريق على الآخر .

٦ - أما إذا تركت تلك الفرصة تفلت من بريطانيا فإن عرب سوريا وشمال العراق سينضمون للترك للحصول على أحسن الشروط لإرضاء مطامعهم القومية من الفريق المنتصر حسب رأيهم ، هذا ما يعتقده سير مارك .

ولأن هذه البرقيات قدمت مقترحات لم تكن موضوع تفكير الحكومة يجب أن يعلق عليها المختصون . وكان مستر كلارك كالعادة أول المعلقين . فهو يرى أنه في الإمكان إقناع حكومة الهند وفرنسا لقبول هذه المقترحات ولكن هذه المسألة برمتها تتوقف على قرار القيام بعمليات عسكرية في الاسكندرونة . وهذا موضوع عسكري ناقشته لجنة الحرب مع الحكومة الفرنسية والمعتقد أنه رفض بإجماع الآراء .

ولا يعلم المستر كلارك فيما إذا كانت المسألة العربية ستفتح الموضوع للمناقشة من جديد ولكنه يرى أن تخطر لجنة الحرب بالموقف . وعليه فلا يمكن مناقشة موضوع كهذا على أسس معلومة سلفاً بعدم قبولها من الحكومتين . وضع بعد ذلك وكيل الوزارة توقيعه بالأحرف الأولى ولم يعلّق . أما السير ادوار جراي فإنه علق بما يلي : « لماذا لا نبحث في الوقت نفسه الفقرتين : الاولى والثانية مع مندوب الحكومة الفرنسية هنا ومن المحتمل أن يكون هذا مقبولاً لدى الفرنسيين » .

(٢٤٨٦) وفي يوم ٢٢ نوفمبر ١٩١٥ تسلمت وزارة الخارجية البريطانية تقريراً كتب في الخرطوم يوم ٢٩ اكتوبر يحوي تفاصيل الرحلة الثانية لرسول رمز إليه بحرف ج (G) الى الحسين بن علي شريف مكة ومرفق معه ترجمة خطاب من الشريف حسين الى السيد علي المرغني الزعيم الديني الكبير في السودان .

غادر ج سواكن المرفأ السوداني في ٢ اكتوبر ١٩١٥ في مركب خاص الى مرفأ في الساحل الشرقي للبحر الأحمر ـ أشير إليه من قبل في تقريره السابق بيوم ٢١ سبتمبر حيث وجد هناك وكيل الشريف ومعه ستة من أتباعه في انتظاره وفي الحال وجه إليه الوكيل سؤالاً فيما إذا كان يحمل شيئاً (مال لحراس الأماكن المقدسة أو صدقات دينة) وأجاب بأنه لا يحمل شيئاً من هذا القبيل . ولكنه يحمل رسالة عاجلة للشريف . وعندما أرسلوه لجدة حيث اتصل ممثل الشريف باتصال تليفوني عاجل بالشفره مع الشريف وسار (ج) الى الطائف حيث وصلها بعد يومين وتشرف بمقابلة الشريف في الحال ونقل إليه الرسالة الشفوية التالية :

« إشارة الى الاتصالات الحديثة واعتباراً لموقفك المعلوم لدينا جيداً ننقل لعظمتك ليكون سراً أن المحمل المصري سيغادر السويس بالسفينة لجدة حوالى ٧ اكتوبر . وليست هناك قوة عسكرية ترافق المحمل هذه السنة وعلى عظمتك والحالة هذه أن تأمر بالترتيبات اللازمة لانزال المحمل في جدة وإرساله بعد ذلك لمكة » وسلم (ج) أيضاً للشريف خطاباً من السيد علي المرغني يحوي السلام واستلام خطاب الشريف وأنه لم يتسلم خطاباً قبل ذلك ويبدو أنه قد ضل الطريق .

وفي الحال أرسل الشريف لمندوبه في جدة لاستقبال المحمل كما أنه أشار الى (ج) ليذهب الى جدة أيضاً ويتحقق بنفسه وينقل لمن أرسلوه

بأن الترتيبات قد اتخذت وأن السلطات التركية لم يسمح لها بالتدخل في الأمر . وبالفعل شاهد (ج) وصول المحمل واستلام السلطات العربية وحدها له .

وعندما رجع للطائف تسلم من الشريف خطاباً ليحمله للسيد علي المرغني وحمّله رسالة شفوية للسلطات البريطانية التي تقول « حضرت سفينة حربية بريطانية في مرسى يقع بين جدة ورابع ويبعد نحو ثماني أو تسع ساعات من الميناء الاولى .

وعندما ذهب شيخ المنطقة للقومندان وسأله عما يريد ، أجاب بأنه ينوي أن يحتل الموقع ويحصّنه . وعندما سأله الشيخ عن السلطة التي أمرت القومندان بهذا العمل أجاب : بأنها ترتيبات متفق عليها مع شخصية اسمها بن عريفان . ونقل الشيخ هذه الحادثة للشريف كما أنها وصلت لمسامع الوالي التركي وكانت النتيجة أن تنبهت السلطات التركية وفرضت رقابتها على الساحل الذي كان من قبل بصفة رئيسية مهمة رجال الشريف . ويعتبر الشريف هذا العمل حركة في غير أوانها وقد تعرّض خططه للخطر . وعليه يرجو أن لا يكرر عمل طائش مثل هذا » . ويختم (ج) تقريره بأن علاقات الشريف مع الزعماء العرب الآخرين ودية وأن اتفاقاً بينه وبين الادريسي محتمل الوقوع في الوقت الحاضر .

أما خطاب الشريف حسين الموجه للسيد علي المرغني فطويل وفيه غموض وفيه تلميحات وإشارات لا يستطيع القارىء تفهمها إلا إذا كان ملماً بالقصة من أولها . فهو يحاول شرح أهدافه من حركته والتي يبنيها على أسس القومية والدين ولكنه في هذا الخطاب للسيد علي الزعيم الديني ومن آل البيت يركز على الدين وحماية الاراضي المقدسة من عبث الترك .

وأشار بعد ذلك إلى أنه لا بد لكل أمة تصبو الى التحرر أن تستعين بقوة أخرى خارجية . ولذلك فإنهم اتصلوا بهذه الدولة التي تحكم مصر لمساعدتهم مقابل إعطائهم الأسبقية على غيرهم في كل ما يحتاجونه من الخارج .

وكان أول وأهم طلب هو حدود هذه الدولة العربية . غير أنهم (الانجليز) أجابوا بأن هذا سابق لأوانه ويمكن مناقشته فيما بعد . ولكن الشريف خالفهم ورأى أنها نقطة أساسية حتى إذا ما عاد السلم وأرادوا تنفيذ الاتفاقيات ظهر الخلاف من جديد . ويرى الشريف أن هذا الأمر يجب حسمه الآن ليوازن بينه وبين البديل الآخر ويختار أخف الضررين . ولعل في هذا إشارة إلى احتمال انضمامه للترك إذا ما رأى من الجانب البريطاني تعسفاً . كل ذلك لما يعود على الدين والقومية بالخير . وتأكيداً للتركيز على الناحية الدينية أشار الشريف الى الفتوى التي أصدرها شيخ الإسلام التركي والتي سمح بها لجنود الترك الإفطار في رمضان على أنهم في حالة جهاد . ولذلك جاهروا بهذا في (مدينة جدك وفي حضرته المقدسة) وهذا في حد ذاته عصيان لله تعالى وأوامره وهم قابعون في المدينة لا عمل لهم ولا هم في حالة جهاد كما يقولون . وهذا ما جعل الشريف ومن معه يتحدون ضدهم . هذا ما أراد الشريف أن ينقله للسيد علي حسب طلب الأخير .

وبعد أن وضّح دوافعه طلب الشريف من السيد علي معاونته في حماية الدين مهما كانت نتيجة هذه الحرب . وليس للشريف من دوافع سوى هذا وليس له من تطلعات للأسماء الرنانة أو الألقاب . وإجابة لسؤال يبدو أن السيد علي وجهه إليه عن متطلباته . قال الشريف إن أول مطلب له أن يحمي السيد علي من الأذى ويمنحه القوة والعافية

ويطلب منه أن يمده بآرائه عن الاصدقاء المذكورين (الانجليز) والذين يسيطرون سيطرة كاملة على البلاد عما إذا كانوا يرون ضرورة لتعديل مطالبنا لحدود الدولة العربية . فإذا كان هذا ما يريدونه فهو أمر مزعج خاصة للعرب ومن المحتمل أن يشمل تأثيره كل المسلمين مما يضطرهم لمواجهة الأحداث بشجاعة وإصرار منذ البداية مهما كانت الجبهة التي يواجهونها .

وللعرب والمسلمين أن يخرجوا بنتيجة واحدة واضحة وهي أن هؤلاء (الانجليز) يضعون هذه العراقيل بهدف القضاء على العرب وتحطيم دينهم ووحدتهم . وفي هذه الحالة لا يختلف الناس مع الأتراك في ندائهم للجهاد. فالحكومة المشار إليها (الانجليز) يجب عليها أن تتفادى هذه النتيجة (خاصة بالنسبة لوجود شخص مثلك لا يقبل سبباً يدعو للملامة في سبيل الله) . ويؤكد الشريف أن ما قاله في هذا الصدد هو الحقيقة المجردة بإخلاص . والمطلب الثاني للشريف هو أنهم في حاجة للمال أولاً للمصروفات التحضيرية والجزء الأكبر منه يحفظ الى حين أوان تنفيذ المشروع .

أما الأسلحة فلا حاجة لها آنذاك لأنها قد تحدث اضطراباً لا داعي له أو تكشف سر المشروع قبل أن ينضج . ولكنه يستدرك ويقول إذا كان ذلك ممكناً فلا مانع شريطة أن يكونوا هم (الشريف) على استعداد . ويختم الشريف خطابه بأن هذا ملخص ما أراد أن يقوله ويطلب منه إحاطته بالسرية الكاملة وأنه يعتمد على رسوله (ج) ولا يستخدم طريقاً آخر للاتصال بأصدقائه (الانجليز) غير طريقه هو (السيد علي) فالشريف في مطالبه الخاصة بحدود الدولة العربية يحمل تهديداً واضحاً لبريطانيا بأنها إذا استمرت في وضع العراقيل في هذا الصدد

فستكون النتيجة الانضمام لجهاد الاتراك . ولكنه نسي أن تهديده هذا لا يؤخذ مأخذ الجدية طالما أنه أخيراً طلب المال للمصروفات الحالية واختزان الجزء الأكبر منه للثورة . فهذا في حد ذاته عقد والتزام لأن يقف بجانبهم .

(٢٤٨٦) في يوم ٢٨ نوفمبر ١٩١٥ وصلت برقية للندن من القاهرة من سير مارك سايكس فيها نذير باحتمال مذابح المسيحيين في سوريا في حالة استعادة الاتراك احتلال سوريا بصفة دائمة بقوات كبيرة وعودة العرب لهم . ففي هذه الحالة حسب رأي السير مارك سيقوم الالمان ولجنة الاتحاد والترقي التركية بمذابح للمسيحيين السوريين على مستوى مذابح أرمينية لهدفين : أولهما لإرضاء العرب المسلمين وانضمامهم إليهم نهائياً . وثانياً : للقضاء على آخر مركز للمثقفين الأحرار في الامبراطورية العثمانية .

ويرى سير مارك أن يؤخذ رأي الموظفين المختصين في وزارة الخارجية أمثال كلارك وويكلي وفيتزموريس فيما إذا كانت هذه الخطة تتفق مع سياسة المانيا واللجنة (الاتحاد والترقي) . ويرى سير مارك أنه إذا ما نفذت هذه السياسة ستكون قاتلة لتطلعات فرنسا في سوريا لأن الاقليم سيصبح خراباً وستصاب الأجهزة التعليمية والاقتصادية الفرنسية بضرر لا يمكن اصلاحه . فقد تهمل فرنسا هذه النقطة ولذلك يجب أن يلفت نظر الحكومة الفرنسية إليها . وختم سير مارك برقيته بالإنذار التالي : (يجب أن يلاحظ أن المذابح هنا ستكون كاملة وليست مخففة كما كانت في عهد عبد الحميد) .

ولا بد والحالة هذه أن يعلق الموظفون الذين ذكرهم السير مارك بالاسم . وأولهم المستر كلارك الذي قال بأنه نسبة لما طلبه منه السير

مارك يرى واجباً عليه أن يعلن رأيه : فقد كان دائماً يعتقد بأن المسيحيين في سوريا معرضين لمذبحة أو على الاقل لاضطهاد . ويحاول الترك استخدام العرب لذلك . ويقول كلارك أنهم نبهوا مسيو بيكو في اجتماعهم مع الوفد الفرنسي في الاسبوع الماضي على أن حكومتهم تخاطر بفقد مصالحها في سوريا لالمانيا . ولكنه لا يبدو أنه أبدى اهتماماً لهذا الاحتمال وبالرغم من القصص التي يقصها مسيو بيكو عن أن أهل دمشق يتضرعون الى الله لمجيء الفرنسيين إلا أن الواقع هو أن الفرنسيين تحصلوا على امتيازاتهم في سوريا عن طريق المسيحيين المحليين وأن لا علاقة للمسلمين بها ولا ينالهم نصيب من هذه الامتيازات , وعليه فالأرض ممهدة تمهيداً كاملاً من هذه الناحية للالمان والترك .

وتناول المستر « فيتزموريس » صحيفة التعليقات وكتب تحتها رأيه أيضاً فقد كان على اقتناع منذ سنين على أن لجنة الاتحاد والترقي تصر على تنفيذ سياسة كانت موضوع بحث ومناقشة عند السلطان سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠) وهي الإبادة الكاملة للمسيحيين في تركيا . فعندما استعادوا أدرنه اجتثوا جذور العنصر السلافي في تراقيا الشرقية والآن أبادوا العنصر الأرمني ما عدا مدينتين .

وبعدها طهروا القرى من العنصر اليوناني ويعني هذا أنهم حرموا من الأرض الزراعية . ولا يجد المستر فتزموريس أي مقدار من الشك في ذهنه على أنه إذا تسنى للترك الرجوع بقوة الى سوريا سيتذرعون بأي سبب للقيام بمذابح لا على طريقة عبد الحميد العتيقة ولكنهم سيقومون بإبادة العنصر المسيحي العربي .

والمستر ويكلي لا يختلف مع زميليه : فالصورة واضحة في ذهنه في أن العرب الذين يتفاوضون معهم الآن إذا ما انحازوا للترك فإن لجنة

الاتحاد والترقي المنتصرة ستثير العرب المسلمين على المسيحيين وسيتأكدون من أن عملية الإبادة قـد تمت كاملة غير منقوصة . وستكون تكراراً على نطاق واسع لمذابح ١٨٦٠ . وهو يتفق مع كلارك في أن العنصر المسيحي له ميول وعواطف نحو فرنسا بخلاف العنصر المسلم .

وصلت صحيفة التعليقات الى السير أرثر نكلسون وكيل وزارة الخارجية وبعد قراءته لآراء المختصين في الوزارة قال : إن تلك اللنبوءات بدون شك محتملة . ولتفادي هذا الخطر يقترح طريقين : أولهما : المحـاولة بمعونة الفرنسيين أن يسبقوا الترك الى العرب لاجتذابهم لجانب بريطانيا. وعليه يجب أن توضح هذا المخاطر بقوة للفرنسيين مرة أخرى . وثانيهما: تنفيذ مشروع النزول في الاسكندرونة ولكن هذا صرف النظر عنه . ولذلك بقي العمـــل بالاقتراح الأول وهو لا يستطيع التنبؤ بمدى النجاح فيه .

وأخيراً كتب الوزير السير ادوارد جراي رأيه بوضوح تام : فهو يقول أن لا شيء يحرك العرب سوى عمل عسكري يعطيهم حماية ضد الترك . فإذا لم تتمكن بريطانيا من القيام بهذا فإن المفاوضات الحاضرة معهم عديمة الجدوى . وعندما عرضت هذه الأوراق على مدير العمليات الحربية واللورد كتشنر ظهرت تأشيرة تقول بتوزيع الأوراق على أعضاء الوزارة مع التعليقات. وفي متابعتي لتطور السياسة البريطانية في الاقاليم العربية المشار إليها لم أجد مسألة أثارت هذا القدر من المناقشة والتخوف مثـــل هذه التي تتحدث عن احتمال مذابح المسيحيين . وتعليق سير ادوارد جراي بنقل الصورة الحقيقيـــة للموقف . فهو لا يتوقع عملاً عسكرياً من العرب ضد الترك إلا إذا قامت بريطانيا بمفردهـــا أو مع حليفتها فرنسا بعمليات عسكرية هجومية أو على الاقل بقطع الامدادات التركية من الوصول لسوريا .

(٢٤٨٦) في يوم ١٤ نوفمبر أبرق ماكماهون للندن ملخصاً لخطاب مطول ورد له من الشريف يتطلب ترجمة دقيقة ولكن أهم نقاطه هي إبعـاد مرسينا والاسكندرونة ولكنه يصر على ولايتي حلب وبيروت ويرجىء مسألة العراق . والرسول نفسه ينقـل معلومات أخرى . ولم يطلب ماكماهون الرد إلا بعد أن يقوم مكتبه بالترجمة الدقيقة وبعدها يبعث بمقترحاته وتعليقاته . والخارجية في لندن من جانبها منهمكة في مفاوضات مع مندوبي فرنسا عن بحث صيغة ترضيهم (فرنسا) وترضي العرب في مسألة سوريا . وتمت الترجمة وأرسلت بالبريد العادي لتصل لندن يوم ٢٦ نوفمبر . وفي ٣٠ نوفمبر بعث ماكماهون ببرقيـة مطولة حوت تعليقه ومقترحاته .

(٢٤٨٦) وقد كان أول رد فعل لماكماهون عندما اطلع عليه الرضاء لأنه يحمل في طياته صورة لتفاهم متبادل على أسس معقولة . وفيـه أيضاً فرصة الاستجابة لرغبات حكومـة الهند فيما يتعلق بالعراق مـع بعض التعديل في الصيغة . ولكن ماكماهون لا يرى شخصياً أية صيغة لصالح المصالح الهندية أفضل من التي قدمها في خطابه السابق بدون أن يثير شكوك العرب . وانتقادات حكومة الهند ووزيرها في رأي ماكماهون تتجاهل الأهمية البالغة التي يوليها العرب للعراق وبغداد لأسباب تاريخيـة ودينية واقتصادية .

فمن المستحيل والحالة هذه الوصول إلى تفاهم مع العرب بدون نوع من الاعتراف بأن العراق ولو نظرياً جزء من البلاد العربية . وفيما يقال عن عدم أهمية الشريف وعن ميـوله التركية لا يرى ماكماهون ما يؤيد ذلك في مصر أو السودان أو بين العرب الذين كانوا على اتصال بهم ولا من موقف الحكومة التركية نحوه . والانطباع العام يبرهن على أن

له نفوذه وأهميته بحكم أصله وشخصيته على أنه لانقطة الالتقاء والتجمع ولا أحد غيره للقضية العربية . ومن جهة أخرى فإن عداءه للترك يجعله في خطر شخصي إذا ما وقع في أيديهم .

وليلفت ماكماهون الأنظار الى ان الحركة العربية الحالية في أساسها قومية وليست قائمة على أسس دينية وتختلف اختلافاً واضحاً من حركة الرابطة الإسلامية التي لا تجد عطفاً لدى الحزب العربي . وهناك عدد كبير من الشيعة في العراق كما يقيم عدد كبير في المنطقة الغربية (سوريا) ومع ذلك لا يمثل أي الفريقين عقبة في سبيل الاتفاق على الخطوط العريضة المقترحة وكل اقليم من الامبراطورية العربية يتطلب إدارة خاصة به تناسب أوضاعه المحلية . وفي هذا ضمان كاف لتأجيل أو استحالة خلق دولة عربية مستقلة موحدة . وبذلك تزول مخاوف الهند .

وفي هذه الفقرة رد على موظفي الخارجية الذين بالغوا في احتمال مذابح المسيحيين السوريين على أيدي المسلمين السوريين بإيعاز من الترك . وهذا يدل على أنهم يجهلون قومية الحركة المرتبطة بالقومية العربية لا الرابطة الإسلامية . فماكماهون ومن معه الذين اتصلوا بالزعماء العرب وتحدثوا إليهم تأكدوا من أن القومية لا الدين هو العامل الفعال في الحركة بينما يجهل هذه الحقيقة الذين يرجعون الى عهد عبد الحميد بل الى عهد سليم الأول . وما فعله جمال السفّاح بالسوريين لا فرق بين مسلم ونصراني الدليل الكافي على قومية الحركة .

ويستطرد ماكماهون قائلاً بأن تأسيس دولة عربية تحت رعاية الحلفاء ستكون خطورتها أقل بكثير من وجود امبراطورية تركية يخضع لها العرب وتحت قيادة الترك ، وسيطرة لجنة الاتحاد والترقي وهذه الأخيرة تحت تأثير الالمان . وهذا احتمال متوقع إذا ما شاهدت نهاية الحرب

تركيا غير مقهورة بجيشها في سوريا وشمال العراق .

ووجـــد ماكماهون نفسه في موقف صعب عندما أراد أن يوضّح مقترحاته للرد على الشريف وسياستهم نحو المسألة العربية إذا ما زالت بريطانيا متمسكة بسياسة الانتظار في مصر مترقبة الغزو التركي الالماني. فهذه السياسة تعرقل أية محاولة للحصول على تعـاون عربي . فليس من الحكمة أن يشار للعرب القيام بعمليات قبل أوانها دون عون بريطاني فعّال لأن النتيجة ستكون التخلي عن بريطانيا والارتماء في أحضان الترك خوفاً من انتقامهم . والموقف الخطير الذي تجـــابهه بريطانيا في مصر والعراق يجعل المباعدة ما بين الترك والعرب في هذا أمراً عظيم الأهمية .

وعليه يجب بذل أقصى مـــا يمكن من جهد للحصول على مساعدة وعطف العرب حتى ولو كانت سلبية . وبعد هذا التحليل للموقف يقترح ماكماهون للرد ما يلي :

١ – تلقوا بمزيــد السرور إخراج اضنه ومرسين من حدود الدولة العربية . ٢ – وتلقوا بمزيد السرور أيضاً التأكيدات بأن العرب يعتزمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب وغيره من الخلفاء الأولين التعاليم التي تضمن حقوق وامتيازات المسلمين والمسيحيين على السواء .

٣ – يتفقون بعد استثناء الأرض حول مرعش وعينتاب فكل من ولايتي بيروت وحلب يقطنها العرب ولكن في الولايتين كما هي الحالة في بقية سوريا فإن الحليفة فرنسا لها مصالح كبرى تود حمايتهـا وتتطلب ترتيبات خاصة . ولأن المسألة تهم فرنسا فإن بريطانيا لا تستطيع أن تفعل شيئاً سوى أن تؤكد للشريف رغبتها المخلصة في الوصول الى حل فيه تسوية للمسألة وبين حاصرتين (يستحسن كتابة عبارات محددة إذا وافقت فرنسا) .

أما فيما يختص بولايتي البصرة وبغداد فالترتيبات التي يقترحها تقدم حلاً مناسباً . فالولايتان انتزعتا من الترك بالقوات البريطانية وعليه يجب أن تظلا تحت الادارة البريطانية الى الوقت الذي يصل فيه الطرفان الى إجراءات مشتركة . (تستطيع حكومة الهند أن تقترح صيغة أفضل[1]).

« وبقدر استطاعتي من دراسة هـذه المسألة واستطلاع آراء الشريف والحزب العربي فإنهم يعترفون بعدم قدرتهم على إدارة الولايتين ويكتفون بتركها في أيدينا . ولكن هناك حاجة لصيغة ترضي شعور وعاطفة العرب » . والواضح أنهم يرغبون في ضمان بأن ينظر في إعانة أو ايجار.

٥ – إعطاء تعهد للشريف فحواه أن بريطانيا العظمى لا تنوي عقد صلح لا تتضمن شروطه الأساسية حرية العرب من نير الترك . (وعلى تعهـد كهذا يعتمد الأمل الوحيد لتفاهم ناجح . وانني أذهب لأبعد من هذا واقترح تعهدات أقوى تقول بالتزام بريطانيا بأن لا تتخلى عنهم أو تعقد صلحاً كما وُضّح من قبل إذا ما قام العرب بدورهم الفعال في الحرب).

٦ – ويستصوبون رغبة الشريف في اتخاذ الحذر ولا يريدونه أن يندفع الى عمل سريع ربمـا يعرقل نجاح أغراضهم ولكنهم في الوقت نفسه من الضروري جداً بذل الجهد في جمع كلمة العرب الى الغـاية المشتركة وحثهم على عدم مد يـد المساعدة الى الأعداء بأي وجه من الوجوه . فعلى نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يتخـذها العرب للوصول الى الغرض عندما يحين وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق وثباته .

٧ – لتسهيل مجهوداته للهدف المشترك يرى ماكماهون إخطار الشريف بأنهم يرسلون إليه بعض المال (منذ أن قطعت الدولة العثمانية إعانتها للشريف فإنه أصبح في حـالة شديدة الى المال لصيانة مكة والمدينة

وللصرف على قواته . ومن اللازم مساعدته بسخاء وأقترح منحه خمسين ألف جنيه تعطى له على أقساط بتطور الأحداث . ولأن تكون فعالة يجب أن يكون المبلغ كبيراً والجزء الأكبر من أي مبلغ يمنح له سيجد طريقه الى موانئنا التجارية) . ويطلب في الختام الرد لأن الرسول ينتظره.

كانت هذه البرقية المطولة في وزارة الخارجية يوم أول ديسمبر ١٩١٥ . وقبل ذلك تسلموا خطاب الشريف (الملحق نمرة ٣) انطونيوس ٥٦٢ .

ولكن لندن لم تبرق لماكماهون إلا في يوم ١٠ ديسمبر . وأثناء ذلك كانوا يتفاوضون مع فرنسا بخصوص سوريا وأثناء هذه الفترة كانوا يحاولون أن يصلوا مع فرنسا الى صيغة تضمن المصالح الفرنسية في سوريا وترضي تطلعات العرب في الوقت نفسه ولكنهم لم يصلوا الى نتيجة . وعليه لا مناص من الرد على الشريف مع التحفظات المطلوبة الخاصة بسوريا . وأثناء ذلك أبرق السردار وحاكم السودان العام « السير ريجنالد ونجت » يؤيد ماكماهون .

فالضمانات التي قدمها ماكماهون في نظر ونجت أقل ما يمكن للعرب قبوله . فنجاح الالمان في البلقان وإيقاف الجيش البريطاني من التقدم نحو بغداد وغموض وعدم استقرار الموقف العسكري عموماً كلها أمور أدت الى تقوية موقف المانيا . وعليه فالموقف العربي أصبح خطيراً بالنسبة لذلك . وليس هناك من شك كما يرى ونجت إذا لم تقم بريطانيا بعمل يكون أثره الفعال في الحال فإن العدو سيجد الحل للمسألة بما يعود بنتائج وخيمة لبريطانيا . وذلك بأن يمنح السلطان بإيعاز من امبراطور المانيا الحكم الذاتي للأقطار العربية . وحكومة جلالة الملك ليست في حاجة لتقدير هذا الموقف الخطير وأثره على الرأي العام الإسلامي إذا ما أعلنت الأمة العربية اشتراكها في عملية الجهاد التركي . ويرى ونجت أن

يرد للشريف في الحال بخطاب يحوي تعهدات تكون مقبولة لدى الزعماء العرب ووعود بتأييد أدبي ومادي عندما يحين الوقت لبريطانيا وأن تكون بريطانيا على استعداد لتأييد الأماني القومية للشريف والعرب بكل الطرق التي في استطاعتهم والتي يتطلبها زعيم الحركة .

(٢٤٨٦) وأخيراً في يوم ١٠ ديسمبر ١٩١٥ أرسلت الخارجية لماكماهون برقية مستعجلة ليكوّن منها الرد على الشريف . فهم من صفة الاستعجال هذه يدركون أنهم أبطأوا نوعاً ما في محاولتهم مع فرنسا لصيغة ترضي الطرفين . فهم يقدّرون أهمية عمليات عسكرية من قبل بريطانيا أو الحلفاء لتجميع القوة العربية . ولكن الموقف الذي يواجهونه في غاليبولي وسالونيكا يمنعهم في الوقت الحاضر من القيام بحملة أخرى . وموقف الحكومة الفرنسية فيما يختص بسوريا متشدد وصعب ولم تستطع حكومة جلالة الملك الحصول منهم على أي ضمان أو تعهد يرضي العرب حقيقة . ومن الجهة الأخرى يجب أن تظل محاولة المفاوضات مع الشريف مستمرة . وعليه فماكماهون مفوض بأن يرد عليه كما يلي :

الفقرة الاولى والفقرة الثانية من برقيته كما اقترحها . أما عن الفقرة الثالثة فعليه أن يقول أنها تحوي مصالح الآخرين فإنها تحتاج الى بحث دقيق من قبل حكومة جلالة الملك وستكون موضوع رسالة أخرى في المستقبل . وعن الفقرة الرابعة تفضل الخارجية هذة الصيغة : « بما أن حكومة جلالة الملك كما يعلم الشريف مستعدة لتعطي تعهداً بمساعدة وحماية المملكة العربية المزمعة بما يمتلكون من قوة ولأن مصالحهم كما اعترف بها الشريف تتطلب إدارة صديقة في ولاية بغداد وحماية تلك المصالح — كل ذلك يتطلب بحثاً وافياً مستفيضاً مفصلاً عن مستقبل العراق مما لا يتأتى مع السرعة التي تتطلبها المفاوضات » . وبين حاصرتين

قالوا في الوقت نفسه لا يستبعد هذا النظر في عقد ايجار مستديم أو أية مقترحات مالية معقولة تقدم لبريطانيا . ولو ان ذلك طبعاً يعتمد على المدى والنجاح من التعاون العربي . وعن الفقرة الخامسة يفضلون التعهد الاول الضيق . وتبقى الفقرتان ٦ و٧ كما اقترحنا .

ويجب أن يوضح للشريف على أنهم عندما يتحدثون عن اتفـــاقياتهم القائمة مع الشيوخ والاعتراف بها فإنهم يعنون العراق كما يقصدون الجزيرة العربية فحكومة جلالة الملك لا تنوي التدخل في شؤون الجزيرة العربية شريطة المحافظة على هذه الاتفاقيات بإخلاص .

(٢٤٨٦) وبعد أن يراجع ماكماهون التعديلات التي أبرقتها الخارجية مع مقترحاته بعث للشريف حسين بالخطاب التالي (ملحق نمره ٣).

وفي اليوم نفسه أرفق النص الانجليزي للخطاب للخارجية مع خطاب قال فيه إنه كما يظهر من الرد حافظ على الكلمات والعبارات التي وردت في مقترحاته مع التعديلات التي تسلمهـا من الخارجية وخاصة في الفقرة المتعلقة ببغداد والبصرة ولكنه حذف كلمة (Mesopotamia) لأنه لا كلمة عربية تقابلهـــا . وحذف كذلك أية إشارة في الخطاب لاحتمال تسوية مقبلة في مسألة العراق على أسس مالية ولكنه أشار إليها شفوياً لرسول الشريف . وقد أرسل مبلغ عشرين ألفاً من الجنيهات وكان الرأي الأول أن ترسل عشرة آلاف ولكن المبلـــغ الكبير سيكون له قيمته الفعّالة للحصول على النتائج المطلوبة سريعاً .

(٢٤٨٦) تقارير سير مارك سايكس

في رحلاته في الشرق الأوسط والبحر الأحمر والهند كان السير مارك

سايكس يمد مدير العمليات الحربية في لندن بتقـــاريره عن الموقف العسكري ولكنه يكتب تعليقاته ومقترحاته عن الموقف السياسي أحياناً أكثر مما يشغل نفسه بالعمليات العسكرية . ففي ٢ ديسمبر ١٩١٥ أبرق من القاهرة يروي محادثاته مع بعض الشخصيات سواء كانت بريطانية أو عربية – فشخصية تدعى (Baird) نقلت لسير مارك رأيهـا عن الفلاح المصري الذي قال عنه أنـــه هادىء آنذاك ولكن وجود قوة كبيرة للعدو في سوريا لا بد وأن تثير قلقاً وعدم اطمئنان . وقد تحدث سير مارك بنفسه مع الشيخ محي الدين الكردي من الأزهر وعلم منه أن أعضاء الجامعة الأزهرية الموالين لبريطانيا بدأوا يفقدون الثقة وأن الحزب الموالي للترك بدأ يستعيد ما فقده من أراضي . وقابل سير مارك أيضاً فارس نمر الذي عبّر عن اعتقاده بأن المذابح الارمنية سوف تتكرر في لبنان إذا ما حشد الترك قوة كبيرة في البلاد وأن قوائم بالاعيان من مسلمين ونصارى قد أعدت .

وخطة الترك هي أن تقتل زعماء الحزب العربي وبعدها تثير الجماهير الإسلامية ضد النصارى . وقابل سير مارك أيضاً سلطـان مصر الذي عبّر عن شعوره بالقلق نحو مستقبل سوريا وأثرهـــا على البلاد العربية عموماً . ويستطرد سير مارك من هذا قائلاً : إن رحلته أثارت في نفسه قلقاً نتيجة الموقف السلبي للدفاع عن القنال ، فإذا ما احتل الترك سوريا بقوات كبيرة يتوقع تشديد قبضتهم على العرب وقتل النصارى وتركيز أقدامهم بصفة مستديمة في الاراضي المقدسة مع وضع شريف رمزي بدون سلطة . وحتى إذا لم يهاجموا القنال فجو التهديد بالخطر وحده كاف لإثارة القلق في مصر . وفوق ذلك ستضطر بريطانيا لزيادة قواتهـا في العراق وإذا ما قدّمت المانيا عروضاً سخية في فرنسا وبلجيكا والصرب وايطاليا وروسيا ، ستمكن تركيا من الاحتفاظ بأراضيها في آسيا كاملة . وذلك

نسبة الى رغبة جماهير الحلفاء للسلم . ففي هذه الحالة سيكون موقف بريطانيا في الشرق خطيراً . وقد لا تستطيع بريطانيا الاحتفاظ بالعراق بدون قوة كبيرة وستضطر في هـذه الحالة إما للانسحاب منه نتيجة الصلح أو الاحتفاظ به تحت رحمة الترك .

وستتم سكة حديد بغداد تحت إرشاد وسيطرة المانيـــا والحامية البريطانية المستديمة في مصر تزداد قوتها عما كانت عليه من قبـــل . وسيكون تأثير الترك على حجاج الهنود المسلمين عاملاً أساسياً مستديماً في سياسة المسلمين الهنود . وفي نظر المسلمين عامة ستغلب بريطانيـــا على أمرها بيد الاتراك إن لم يكن بيد المانيا . فمواجهة بريطانيا لمثل هـذا الموقف في حالة إعياء في أعقاب الحرب يمثل في نظر سير مارك أكبر الاخطار على مستقبل بريطانيا في الشرق . وقد لا تستطيع فرنسا تقدير هـــذا الموقف لان مركزها في شمال افريقيا بني على حق الفتح مؤيداً بسياسة الاستعمار وقتل روح القومية في الاراضي التي فتحتهـا بينما تبني بريطانيا نفوذها وسيطرتها على الهيبة والموقع الجغرافي .

(٢٤٨٦) غير أن تقرير سير مارك المطوّل والذي دوّن فيـه كل ملاحظاته وتعليقاته عن الموقف من ناحيته العسكرية والسياسية كان أمام المختصين في وزارة الخارجية يوم ٩ ديسمبر أي قبـــل ارسال التعليمات بيوم واحد . ولم يتمكنوا من قراءته آنذاك لان المستر كلارك كتب عليه أنه يستحق القراءة ويقترح ارسال صور منه للجنة الحرب .وطلب موظف آخر أن تبدي وزارة الهند رأيها في التقرير . والتقرير يحوي مذكرة من السير مارك وخطـــاب مرفق كتبه على ظهر الباخرة خيبر (Khyber) في البحر الاحمر يوم ١٥ نوفمبر ١٩١٥ .

قال في خطابه أنه يرسل مذكرته التي ضمنها انطباعاته عن نقـاط

مختلفة نتيجة رحلته في الشرق . وهي تنتهي في ٢٨ اكتوبر لأنه كان آخر تاريخ كان فيه على اتصال بالموقف . وهو يروي تفاصيل عن الموقف العسكرى وعدد الجيوش في العراق وسوريا ولكن الذي يهمنا في هـذا الصدد هو أنـه يرى قفل أبواب سوريا الشمالية أمام تدفق قوات الترك لسوريا والعراق . وقـد اقتنع سير مارك بأن تعاون دول الحلف أمر لازم وضروري في الشرق وأن قوات الترك في سوريا في حالة تعب واستنزاف للقوة وفي اليمن قطع عليهم خط الرجعة وبدأوا يفرون الى عدن .

وفي المذكرة يتحدث السير مارك عن موقف القوات البريطانيـــة في العراق . فهو يؤكد بأن هزيمة واحدة لتلك القوات ستؤدي الى تحطيم كل القوة وإبادتهـا . فالسكان سينهضون عن بكرة أبيهم بكل تأكيد للنهب ومضايقـة القوات البريطانية إذا ما علموا أنهم يتقهقرون . وسير مارك شخصيـاً لا يرى أي أمل في التقهقر نحو البصرة تحت هــذه الظروف . وعليه فسواء احتلت القوات البريطانية بغداد أم لم تحتلهـا ففرقة كاملة ترسل مدداً أقل ما يتطلبه الموقف .

وعن الموقف السياسي في العراق يرسم سير مارك صورة قاتمة أيضاً لأن السكان لا يعرفون نوايا بريطانيا . فقد تحدث سير مارك الى عدد من الأعيان في البصرة ذكر منهم أخ النقيب وعدداً من عائلة باش عيان وشيخ الزبير والوجيه شيخ أبو طالب . فالجميع يودون أن يعرفوا الحقيقة وخاصة فيما إذا كانت بريطانيا تنوي احتلال بغداد . فهم يتخوفون من انسحاب القوات البريطانية ورجوع الاتراك مرة أخرى . أمـا الجماهير سواء كانوا من البدو أو شبه البدو أو المزارعين من السنّة أو الشيعـة — فجميعهم يرحبون بالحـكم البريطاني ولكنهم في الوقت نفسه على استعداد للتنكر والعداء إذا حدثت انتكاسة للقوات البريطانية .

وعن السياسة المقبلة التي يجب اتباعهـــا في العراق فإن السير مارك يحذّر من استخدام الادارة الهندية كنموذج وبموظفين هنود . فقد تكون هذه الادارة الهندية والموظفون الهنود ضرورة في أول الأمر ولكن يجب أن يكون هذا مؤقتاً . فتقاليد الهند وحضارتهـــا تختلف عن تقاليد وحضارة العراق . فليس هنـاك من شك في أن المستوى الاجتماعي في مصر وسوريا أعلى منه في الهند . وبحكم اللغـة والعنصر فإن العراق من الطبيعي أن تتجه إليهما كنموذج يحتذى . وليس من الحكمة أن تفرض على شعب ما حضارة مهما كانت درجتها بينما هم يتوقون الى حضارة أعلى في مستواهـا . ويعترض سير مارك أيضاً على استعمار وهجرة هندية في العراق . ولعله تحسس نيات حكومة الهند نحو جعل العراق مجالاً حيوياً للهنود بحكم الدماء التي سالت فيها كما علمنا نحن ذلك من رسائلهم السابقة .

وبعد حديث طويل عن مسلمي الهند يلخّص مـــا يراه من سياسة عربية وهو ما يهمنا من مذكرته :

١ – الاعتراف باستقلال الحجاز تحت حكم الشريف .

٢ – عقد صلح بين الإدريسي والإمام يحيى وتعويض الأخير على حساب محميات عدن وحضرموت إذا كان هذا ضرورياً مقابـل إقصاء الاتراك من اليمن .

٣ – إعلان حماية خارجية للساحل العربي من الكويت الى الحديدة .

٤ – إعلان حماية بريطانية خارجية وداخلية على مناطق جنوب سوريا والعراق بالاتفاق مع فرنسا وروسيا .

٥ – إعلان حماية فرنسية خارجيـــة وداخلية على الاراضي التي تقع شمالي المنطقة البريطانية .

٦ - اتفاقية بين دول الحلفاء تضمن تعاوناً سياسياً وعسكرياً دون المساس بالوضع القانوني لأقاليم خاصة وبذلك ليتسنى استخدام الجنود من بريطانيا وفرنسا وايطاليا وروسيا في كل المناطق .

٧ - إثارة مطلب العرب لخلافة الشريف إذا كان ذلك في حيز الإمكان .

قد كانت الاتصالات مع فرنسا عن سوريا بدأت آنذاك كما علمنا والسير مارك سايكس بعد رجوعه لانجلترا كان في آخر الأمر مندوب بريطانيا مع مسيو بيكو مندوباً لفرنسا وانتهت بمعاهدة سايكس - بيكو أخيراً . وبمراجعة بنودها نجد أن أسسها وضعها سير مارك سايكس وهو على الباخرة خيبر بينما كانت تمخر عباب البحر الاحمر قريباً من الشريف حسين الذي تركوه على أمل الدولة العربية التي تشمل أراضي خارج الحجاز مع تحفظات بطريقة غامضة عن المصالح الفرنسية في سوريا .وفي بحثهم عن صيغة ترضي العرب والفرنسيين ما كانوا يذكرون مسألة حماية كاملة كالتي اقترحها سير مارك . واستمر سير مارك يقدم مقترحات أخرى بديلة ويبين مزاياها وصعوباتها بتفاصيلها . ثم يتحدث سير مارك بعد ذلك عن الموقف العسكري لا يهمنا الكثير من تفاصيله ولكن لفت نظري رأيه عن موقف بريطانيا الفاشل في الدردنيل وأثره على الموقف العسكري في البلاد العربية . فالاتراك حسب رأيه إذا لم يحشدوا هذه القوات الهائلة للمجابهة في الدردنيل لكانت هذه القوات نفسها تدفقت على سوريا والعراق بأعداد وعتاد لا قبل لبريطانيا بها . ولكان الترك والالمان في حالة سيطرة تامة على تلك المناطق ولأصبح السكان متعاونين مع الترك .

(٢٤٨٦) وفي يوم ١٦ ديسمبر ١٩١٥ أبرق ماكماهون للخارجية في لندن يحمل إليها مدى نفوذ شريف مكة وازدياده نسبة للآراء التي تقلل

من أهميته . فمن تقرير مصدره البصرة مأخوذ من رواية عرب أتوا من حائل يروي أن الشريف عبدالله دخل بعض نواحي نجـد وأخضع بعض القبائل وأخذ الضريبة الشرعية من بعضها . وقد ُقبض على ضابط تركي في عسير في الاسبوع الماضي حيث روى أن الشريف له سلطـة مستقلة على الأشراف ويجمع ضريبته في المنطقـــة التي تحد على وجه التقريب بالمدينة والى الخط ١٩ في الجنوب . ويقول هـذا الضابط أيضاً أنه إذا ما شبت الحرب في الحجاز بين الترك والشريف فإن الأخير هو الذي ينتصر .

ومن خطابات ضبطت عند ضابط تركي آخر يتضح منهـا الأهمية التي توليها الحكومة التركية لموقف الشريف . فمن هـــذا ومن أدلة أخرى يتأكد أن قوة واتساع الرقعة التي تمتد إليهـــا سلطة الشريف الزمنية زادت كثيراً في السنتين الأخيرتين . وكذلك زاد نفوذه بنفس النسبة وظهر تعليق على هذا لعله من مستر ويكلي يقول بأنه ليس من السهـل معرفة ما يتمتع به الشريف من نفوذ بين العرب من بدو وغيرهم بدقة .

(٢٧٦٧) لقد مضى عهد البرقيات السريعة التي تصدر من القـاهرة بحمل النقاط الرئيسية وملخص خطابات الشريف وتتطلب الرد السريـع. فقد وصل رد من الشريف وجلس ماكماهون في قصر الدوبارة بالقـاهرة يكتب رسالة يعلق فيها على خطاب الشريف ويقترح ردّه دون أن يتطلب موافقة لندن . ففي ٢٤ يناير ١٩١٦ أرسل ماكماهون ترجمـــة خطاب الشريف مع تعليقاته عليه في خطاب مطول . وبصفة عامة فإن ماكماهون يعتبر هذا الخطاب مرضياً وأنه لا يتطلب حلاً في الوقت الحاضر لمشكلة العراق أو غيرهـا . وفي رأي ماكماهون كل شيء لا يعتمد على المدى والنجاح الذي يتأتى من التعاون العربي أثناء الحرب بل عـــلى

طبيعة الأحوال التي تجد فيها بريطانيا والعرب أنفسهم في العراق عند انتهاء الحرب .

وكما تعلم حكومة جلالة الملك فإن الاعتراف بشكل من الأشكال بعلاقة العرب مع العراق أمر واضح الضرورة كشرط لاجتذاب عواطف الحزب العربي وتعاونهم . وفي اعتقاد ماكماهون أن التعهدات التي أعطيت لهم في هذا الصدد كافية لتأدية الغرض الآن دون أن تكون مصدر إزعاج لبريطانيا في المستقبل .

ولعل أهم ما استنتجه ماكماهون من خطاب الشريف ورسائله الشفوية ومن المعلومات التي حصل عليها من مصادر عديدة أخرى هي أن بريطانيا نجحت في انضمام الشريف إليها بعواطفه وفي الوقت نفسه لقد اختفت بوادر الشعور المعادي لبريطانيا في الأوساط العربية بشكل واضح .وكانت إثارة هذا العداء هدفاً للدعاية الالمانية وكانت تلك المفاوضات مع العرب هي الدعاية المضادة لالمانيا وهنا يشعر القارىء بارتياح ماكماهون لهذه النتيجة لا سيما وأنه كان المباشر لتلك المفاوضات من الجانب البريطاني . ومع كل هذا فان هناك جانب من خطاب الشريف لا يجب إهماله . فبالرغم من حالة الرضاء العامة الظاهرة من قبوله في الوقت الحاضر بالعلاقة المقترحة بين فرنسا والعرب فإن إشارته لتلك العلاقات تحمل في طياتها عنصر إثارة متاعب ليس من الحكمة تجاهلها . وقال ماكماهون إنه أوضح لحكومة جلالة الملك في أكثر من مناسبة كراهية العرب العميقة لاحتمال ادارة فرنسية لأي جزء من الأراضي العربية . فهذه الحقيقة أكدها بقوة وبصفة مستمرة لماكماهون كل من عرف العقلية العربية . وبدون أن يتملق الشعور البريطاني فإن الشريف كان واضحاً في هذا الموضوع . وفي رأي ماكماهون فإن الفرنسيين يخطئون إذا ما ظنوا أن العرب سيرحبون بهم في أراضيهم . والحقيقة أن العكس هو الصحيح .

ومن هذه الحقيقة تنبع خطورة مستقبل العلاقات البريطانية ـ الفرنسية. فإذا لم تُخطر فرنسا منذ الآن بها وتقتنع هي بغلطتها فسوف تتهم بريطانيا بأنها هي المحرضة للعرب ضد فرنسا عندما تتضح لها الحقية فيما بعد . فإذا ما رأت بريطانيا إخطار فرنسا فليس من الحكمة كما هو واضح أن تربط الشريف بذلك فقد يزيد هذا في الصعوبات التي تلاقيها بريطانيا عن المسألة العربية .

والشريف في خطابه لا يتطلب رداً محدداً عن أية نقطة . وعليه فماكماهون يعمل على أن يرد عليه مرحباً برسالته الودية في عبارات عامة ولكن في الوقت نفسه يؤكد له مذكراً أن الحلف الذي يربط بريطانيا بفرنسا دائم ولا يقتصر على فترة الحرب وحدها . وفي رسالة شفوية يحملها رسوله عريفان سيهيب بالشريف اتخاذ الاجراءات الممكنة التي تحول دون وقوع إمدادات الأغذية في أيدي الترك لتحولها لإطعام حامياتها . والخطاب الذي بعث به ماكماهون للشريف (ملحق نمره ٤) .

(٢٧٦٧) زيادة على الاتصالات الرسمية بين الشريف حسين وسير هنري ماكماهون كانت هناك اتصالات جانبية بين الشريف والسير ريجنالد ونجت حاكم السودان العام وسردار الجيش المصري في الخرطوم عن طريق السيد علي المرغني الزعيم الروحي الكبير ومن آل البيت . وقد قام رسول الخرطوم والذي يرمز إليه بحرف (ج) (G) برحلته الثالثة للحجاز وأتى بخطاب من الشريف للسيد علي تاريخه ٢٨ ديسمبر ١٩١٥ . وترجم الخطاب ومعه تقرير الرسول في يوم ٢٥ يناير ١٩١٦ بالخرطوم . وفي يوم ٧ فبراير أرفق ماكماهون الترجمة مع تعليقاته وبعث بها الى لندن لتصل يوم ١٦ فبراير ١٩١٦ .

ويهمنا في هذا الصدد ما فهمه ماكماهون والذي علق عليه أهمية لا التفاصيل المطولة التي وردت فيه .

وأول ما لاحظه ماكماهون من تقرير (ج) هو ازدياد نفوذ الشريف وهيبته . وكما وضح لماكماهون في خطابه فإن الشريف لا يود أن يدخل في مفاوضات مع فرنسا فيما يتعلق بسوريا . وفي خطابه هـــذا يؤكد الشريف مرة أخرى أنه يتبع سياسة الترقب والانتظـار – حتى تحين الفرصة المناسبة وعندها يعلن ثورته . ويشير الشريف بتحديد ووضوح أكثر مما ورد في رسائله السابقة لموضوع الخلافة وأنه هو أحق من غيره ولكنه يود أن يركز سلطته الزمنية قبل أن يدعي الخلافة . ويذكر مرة أخرى أنه سيسعى لمنـــع مهدي الصومال من الاستمرار في التمرد على بريطانيا وكان السيد علي المرغني طلب منه ذلك .

ولا يمكن للشريف أن يغفل مسألة حدود الدولة العربية فقد أشار إليها على أنهـــا أساس ضروري ولازم للمفاوضات . وفي الوقت نفسه وصل ماكماهون الى نتيجة وهي أن الشريف بعد أن يتأكد من حدوده فإنه على استعداد لإجراء تعديلات كبيرة فيها .

وهكذا ختمت مرحلة المفاوضات وبدأت مرحلة الاستعداد سرّاً دون أن توقع معـاهدة بينهما بينما في الوقت نفسه توصل الحليفان (بريطانيا وفرنسا) الى اتفاقية سايكس ـ بيكو ولم ينقصها إلا التوقيـع الرسمي .

ملحق نمره ١

المعاهدة الانكليزية المعقودة مع ابن السعود ١٩٥١

من كتاب وحيد علم الدين :
«العهود المتعلقة بالوطن العربي ١٩٠٨–١٩٢٢ »

بسم الله الرحمن الرحيم

بين الحكومة البريطانية من جهة ، وبين عبد العزيز بن عبدالرحمن بن فيصل السعودي أمير نجد والاحساء والقطيف وجبيل وجميع المدن والمرافىء التابعة لهذه المقاطعات من جهة أخرى .

الحكومة البريطانية باسمها ، وعبد العزيز باسمه وباسم ورثته وأخلافه ورجال عشيرته عينت الحكومة البريطانية السر برسي كوكس معتمدها في سواحل خليج العجم مفوضاً لأجل أن يعقد معاهدة مع عبدالعزيز بن عبد الرحمن فيصل السعود ضمن المقصد الآتي .

توطيد وتوكيد الصداقة الموجودة بين الطرفين منذ زمن طويل ،وتأييد منافعهما المتقابلة .

إن الكولونيل السر برسي كوكس وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن

فيصل السعود المعروف بابن السعود اتفقا وتعاقدا على المواد الآتية :

أولاً – إن الحكومة البريطانية تعترف وتقبل بأن نجد والاحساء والقطيف وجبيل وملحقتها التي تعين هنا ، والمرافىء التابعة لها على سواحل خليج العجم – كل هذه المقاطعات هي تابعة للأمير ابن السعود وآبائه من قبل ، وهي تعترف بابن السعود حاكماً فيها مستقلاً على هذه الأراضي ورئيساً مطلقاً على جميع القبائل الموجودة فيها ، وتعترف لأولاده وأعقابه الوارثين من بعده على أن يكون خليفته منتخباً من قبل الأمير الحاكم ، وأن لا يكون مخاصماً لانكلترا بوجه من الوجوه ، أي أنه لا يكون ضد المبادىء التي قبلت في هذه المعاهدة .

ثانياً – إذا تجاوزت إحدى الدول على أراضي ابن السعود أو أعقابه من بعده دون إعلام الحكومة البريطانية ، ودون أن تمنح الوقت المناسب للمخابرة مع ابن السعود لأجل تسوية الخلاف ، فالحكومة البريطانية تعاون ابن السعود ضد هذه الحكومة ، وفي مثل هذه الظروف يمكن للحكومة البريطانية بمساعدة ابن السعود أن تتخذ تدابير شديدة لأجل محافظة وحماية منافعه .

ثالثاً – يتعهد ابن السعود أن يمتنع عن كل مخابرة أو اتفاق أو معاهدة مع أية حكومة أو دولة أجنبية ، وعلاوة على ذلك فإنه يتعهد بإعلام الحكومة البريطانية عن كل تعرض أو تجاوز يقع من قبل حكومة أخرى على الاراضي التي ذكرت آنفاً .

رابعاً – يتعهد ابن سعود بصورة قطعية أن لا يتخلى ولا يبيع ولا يرهن ولا بصورة من الصور أو يقبل بترك قطعة أو التخلي عن الاراضي التي ذكرت آنفاً .

ولا يمنح امتيازاً في تلك الاراضي لدولة أجنبية أو لتبعة دولة أجنبية

دون رضا الحكومة البريطانية ، وأنه يتبع نصائحها التي لا تضر مصالحه.

خامساً – يتعهـــد ابن سعود بأن يبقي الطرق المؤدية الى الأماكن المقدسة مفتوحة ، وأن يحافظ على الحجاج أثنـاء ذهابهم الى الاماكن المقدسة ورجوعهم منها .

سادساً – يتعهد ابن سعود كما تعهد والده من قبل أن يمتنع عن كل تجاوز وتداخل في أرض الكويت والبحرين وارضي مشايخ قطر وعمان وسواحلها ، وكل المشايخ الموجودين تحت حماية انجلترا والذين لهم معاهدات معها .

سابعاً – الحكومـة البريطانية وابن سعود يتفقان فيما بعد بمعاهدة على التفصيلات التي تتعلق بهذه المعاهدة .

٢ كانون الاول ١٩١٥ التوقيـع

ملحق نمره ٢

المعاهدة المعقودة بين الانكليز وبين الادريسي
في ٣٠ نيسان سنة ١٩١٥

من كتاب وحيد علم الدين :
« العهود المتعلقة بالوطن العربي ١٩٠٨–١٩١٢ »

١ – إن هذه المعاهدة التي هي معاهدة صداقة وولاء قد وقع عليها الماجور جنرال (شو) المعتمد في عدن باسم حكومة بريطانيا العظمى، والسيد مصطفى بن السيد عبدالله باسم حضرة السيد محمد علي بن محمد بن أحمد بن أدريس – السيد الادريسي أمير (صبيا) وأصرافها .

٢ – المقصد من هذه المعاهدة هو إعلان الحرب على الاتراك وتوطيد عرى الصداقة ما بين حكومة بريطانيا ، والسيد الادريسي المذكور آنفاً وأعضاء قبيلته .

٣ – الادريسي يتعهد بقتال الترك ، وأنه سيجتهد لطردهم من مواقعهم في اليمن ، وأن يتعقبهم ، وله أن يوسع أراضيه على حساب الاتراك .

٤ – عمل السيد الادريسي الأساسي يتجه ضد الترك فقط ، ويمتنع عن

كل حركة عدائية ضد الإمام يحيى ما دام هذا لا يضع يده بيد الترك .

٥ – تتعهد الحكومة البريطانية بالمحافظة على أراضي السيد الادريسي من كل اعتداء يقع من قبل أي عدو كان على السواحل وبضمانة استقلاله في أراضيه الخاصة ، وباستعمال كل الوسائط السياسية عند ختام الحرب في سبيل تأليف مطالب السيد الادريسي مع الإماء يحيى أو أي خصم آخر.

٦ – إن الحكومة البريطانية لا تقصد توسيع أراضيها في غرب البلاد العربية ، ولكنها تتمنى بصورة صريحة أن ترى رؤساء العرب في حالة سلمية وأخوية ، كل منهم في منطقته ، وكل موال للحكومة البريطانية.

٧ – إنه كدليل على تقدير الحكومة البريطانية للأعمال التي سيقوم بها السيد الادريسي فهي ستعاونه بالمال والمؤونة ، وتستمر على معاونته طول الحرب ، وستكون هذه المعاونة متناسبة مع ما يقوم به الادريسي من الأعمال .

٨ – تسمح الحكومة البريطانية للادريسي أثناء الحصار البحري المضروب على سواحل تركيا في البحر الأحمر أن يتاجر مع عدن وسواحلها ، وهي تضمن استمرار هذه الحالة ما دامت العلاقات الحسنة موجودة بين الطرفين .

٩ – تكون هذه المعاهدة نافذة المفعول على أثر موافقة الحكومة الهندية .

يوم الجمعة في ٣٠ نيسان سنة ١٩١٥

التوقيع : السيد مصطفى بن السيد علي   التوقيع : ب. ج ل. شو

توقيع : هاردنج   معتمد بريطانيا في عدن

حاكم الهند العام

ملحق : تعطى جزيرة فرسال للادريسي منعاً لمطالب ايطالية .

ملحق نمرة ٣

مذكرة السير هنري مكماهون الثالثة الى الشريف حسين

من كتاب جورج انطونيوس
« يقظة العرب »

القاهرة في ٩ صفر سنة ١٣٣٤ (١٣ كانون الاول ـ ديسمبر ـ سنة ١٩١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى صاحب الاصالة والرفعة وشرف المحتد سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر والنسب الفاخر دولة الشريف المعظم السيد حسين بن علي أمير مكة المكرمة قبلة الإسلام والمسلمين . أدامه الله في رفعة وعلاء .

وبعد ، فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ ذي الحجة ١٣٣٣ وسرني ما رأيت فيه من قبولكم إخراج ولايتي مرسين وأضنة من حدود البلاد العربية .

وقد تلقيت أيضاً بمزيد السرور والرضا تأكيداتكم أن العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره

من السادة الخلفاء الاولين – التعاليم التي تضمن حقوق كل الاديان وامتيازاتها على السواء .

هـــذا ، وفي قولكم أن العرب مستعدون أن يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين يعلم منه طبعاً أن هـــذا يشمل جميع البلاد الداخلية في حدود المملكة العربية لأن حكومة بريطانيا لا تستطيع أن تنقض اتفاقات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء .

أما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنها ودونت ذلك عندها بعناية تامة – ولكن لمـــا كانت مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيها فالمسألة تحتاج الى نظر دقيق – وسنخابركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب .

إن حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فأخبرتكم مستعدة لأن تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها الى المملكة العربية ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب إدارة ودية ثابتة كما رسمتم ، على أن صيانة هذه المصالح كما يجب تستلزم نظراً أدق وأتم مما تسمح بـه الحالة الحاضرة والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات .

وإننا نستصوب تماماً رغبتكم في اتخاذ الحذر ولسنا نريد أن ندفعكم إلى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جداً أن تبذلوا مجهوداتكم في جمع كلمة الشعوب العربيـة إلى غايتنا المشتركة وأن تحثوهم على أن لا يمدوا يد المساعدة الى أعدائنا بأي وجه كان . فإنه على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعليـة التي يمكن للعرب أن يتخذوها لإسعاف أغراضنا عندما يجيء وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته .

وفي هذه الأحوال فإن حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي أن

أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوي إبرام أي صلح كان إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الالمان والاتراك .

هذا وعربون على صدق نيتنا ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فإني مرسل مع رسولكم مبلغ عشرين ألف جنيه .

وأقدم في الختام عاطر التحيات القلبية وخالص التسليمات الودية مع مراسم الإجلال والتعظيم المشمولين بروابط الالفة والمحبة الصرفة لمقـــام دولتكم السامي ولأفراد أسرتكم المكرمة .

مع فائق الاحترام .

المخلص

نائب جلالة الملك بمصر

(السير أرثر هنري مكماهون)

ملحق نمرة ٤

مذكرة السير هنري مكماهون الرابعة الى الشريف حسين

من كتاب جورج انطونيوس
« يقظة العرب »

القاهرة في ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٤ (٣٠ كانون الثاني - يناير - سنة ١٩١٦)

تلقينا بسرور كتابكم المؤرخ في ٢٥ صفر بواسطة رسولكم الموثوق به وأطلعنا منه على رسالتكم الشفوية .

وإننا لنقدر حق التقدير الدوافع التي تقودكم في هذه القضية الهامة ونعرف جيداً أنكم تعملون في صالح العرب وأنكم لا ترمون الى شيء - في عملكم - غير صالحهم وحريتهم .

وقد عنيت عناية خاصة بملاحظاتكم بشأن ولاية بغداد ، وسنبحث هذا الموضوع باهتمام وعناية زائدين عندما تتم هزيمة الأعداء ونصل الى التسويات السلمية .

أما ما يتعلق بالجهات الشمالية فقد كتبت ملاحظة عن رغبتكم في تجنب كل ما من شأنه الاساءة الى تحالف انكلترا وفرنسا وسررت

جداً بإبداء مثل هذه الرغبة .

وأظنكم تعرفون جيداً أننا مقررون قراراً نهائياً بألا نسمح بأي تدخل – مهما قل شأنه – في اتفاقنا المشترك في إيصال هذه الحرب الى الفوز ثم متى انتهت الحرب فإن صداقة فرنسا وانكلترا ستقوى وتشتد ، وهما اللتان بذلتا الدماء الانكليزية والفرنسية جنباً الى جنب في سبيل الدفاع عن الحقوق والحريات .

والآن وقد قررت البلاد العربية أن تشترك معنا في الدفاع عن الحقوق وتعمل معنا في سبيل هذه القضية العامة فإننا لنرجو الله أن تكون نتيجة هذه الجهود المشتركة وهذا التعاون الوطيد ، صداقة دائمة ، تعود على الجميع بالسرور والغبطة .

وقد سررنا جداً للحركة التي تقومون بها لإقناع الشعب بضرورة الانضمام الى حركتنا والكف عن مساعدة أعدائنا . ونترك لفطنتكم وتقديراتكم تقدير الوقت المناسب ، لاتخاذ تدابير أوسع من هذه .



طبع على مطابع
دار لبنان
للطباعة والنشر
هاتف ٢٥٧٤١١ - ٢٩٤٢٠٤ - ٢٩٣٠٤٣
بيروت - لبنان - ص.ب ٥٦٢٠

٧٠/٣٢٠٠/١٩٧١